

الروشي
الظرف والظرفاء

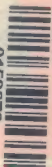
تأليف الطبيب محمد بن اسماعيل بن يحيى الوشاء

تصديق

الروشي



0159673



Bibliotheca Alexandrina

الموشى
الظرف والظرفاء

مؤلى الطيب محمد بن اسماء بن يحيى الوشاء

تحقيق

الطبيب

الطبعة الثالثة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر مكتبة النخاسى بالقاهرة

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
وبعد ، فهذا كتاب الموشى ، أو الظرف والظرفاء^(١) ، لأبي الطيب
محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء ، الذى عاش فى النصف الأخير من القرن
الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة (٨٦٠ - ٩٣٦ م) .

وهو كتاب فريد فى بابهِ ، يمثل آداب عصر القرنين الثالث والرابع الهجريين .
ولقد رعى المؤلف إلى إعطاء صورة عن الرجل الظريف ، وما يجب أن
يتحلى به من محاسن ، وما يجتنب من مساوئ .
وعسى أن يكون هذا الكتاب أول ما ألف فى صور الظرف ، وآداب

(١) كان المرحوم السيد محمد أمين الخانجى الكتبى أول من نشر هذا الكتاب بمصر ،
وقد أطلق عليه « الظرف والظرفاء » ، وقدمه بهذه الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

تباركت اللهم أحسن الخالقين . ونصلى ونسلم على نبيك سيدنا محمد الامين وعلى آله
وعصبه أجمعين .

(وبعد) فاقى عند ما صدرت للاختصار فى الكتب صيب الله إلى نشر النافع منها فكنت
أرجع فى اختيارى إلى مصنفات الصدر الاول لموقع اختيارهم فيما يدونوه من العلم فى كل
فن . وهذا كتاب عرف بالموشى تأليف أبى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء أحد
أئمة الادب فى القرن الثالث ومن أخذ عن أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف
بالمبرد وقت إلى نسخة منه فانتحطت له اسم (الظرف والظرفاء) ليطابق مسماه ويكون
عنونا على حليته وحلاه واه المستعان على كل حال

كتبه

محمد أمين الخانجى الكتبى

السلوك والليقان ، وهي ما تسمى الآن في العرف الافرنجي « بالانتيكيت » ،
وانه ليدل على أن المسلمين قد شغلوا بهذه الصور ، وألقوا فيها ، قبل أن يشغل
بها الغريون ويؤلفوا فيها بأكثر من ألف سنة .

الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهد المؤلف :

كانت الدولة العباسية دولة فارسية ، يعلوها خليفة عربي ، فالفرس هم
الذين أوجدوها وأيدوها ، فكانوا ركن الخلافة ودعامتها ، وولاتها وساستها ،
وكفاتها وقادتها ، ومشيرها ووزراءها ، ومفكرها وعلماءها ، وكتابتها وشعراءها ،
فاصطبغت الدولة بصبغة فارسية ، وتغلبت هذه الصبغة على الحضارة العربية .
وانتقلت الخلافة من بلاد العرب إلى العراق الفارسي ، واتخذت قصبها
بغداد ، أقرب الأمصار إلى بلادهم ، وأصبحت بغداد خلفا من المدائن .
وأطلق الخلفاء أيدي الموالي في سياسة الدولة ، فاستقلوا بشؤونها ،
واستبدوا بأمورها .

ودخلت في تكوين الدولة عناصر أخرى : تركية وسريانية ورومية
وبربرية ، وتمازج العرب بهذه العناصر بالتزاوج والتناسل ، واختلطت
المدنية الآرية بالمدنية السامية ، ولكل منهما لغة ، وأخلاق وعادات ،
واعتقادات ، أثرت في الأخرى .

وبلغت الدولة في زمن العباسيين ذروة المجد والحضارة ، فعم الأمن ،
وكثر الخير ، واتسعت أبواب الرزق ، وتفرغ القوم للتمتع بما فاض لديهم ،
ورتموا في مجبوحة العيش ، وتألقوا في أنواع الترف ، من مطعم وملبس ،
وزخرف البناء والرياش^(١) والمعاش^(٢) وصقلت^(٣) طباعهم ، وورقت أذواقهم ،

(١) الرياش : الزينة .

(٢) صقلت : جلجت .

وأُمسّت بدواتهم أُرأ بعد عين ، وأصبحوا يتقلبون على الطنافس^(١) الحريية
في القصور المذبة تحيط بها الحدائق الغناء ، ويلبسون الخز^(٢) والديباج^(٣) ،
ويطعمون الفالوذ^(٤) والسكياج^(٥) ، وهيات... زمان كانوا يحسبون فيه
الكافور^(٦) ملحاً ، والرقاق كاغدا^(٧) .

ولمأن اتسعت رقعة البلاد ، واختلط العرب بعدة شعوب ، وانتقلت
إليهم حضارات جديدة ، وطغت هذه الحضارات ، وانغمس الناس فيها ،
أخذت رهبة الدين تنحسر عن قلوبهم ، فاستمتعوا بكل ما حوت البلاد من
عيش ناعم ، وملك باسّم ، وزهو ولهو ، وعزف وقصف .

ولقد أُلجِب الفرس على العرب بكل ما يصيب القلوب ، من سماع وشراب ،
وكواعب أتراب ، وأغرقوهم في بحر طام من السرف والترف^(٨) ، والمحارم
والمآثم ، وراح العرب يخطرون في مطارف^(٩) الفرس ، ويلعبون في
ملاعب الفرس ، ويشربون في مشارب الفرس ، ويتأدّبون بآداب الفرس ،
ويتخلّفون بأخلاق الفرس .

وضعف سلطان الدين في قصور الخلافة ، واعتلى الحكم فيها ملوك
يتوارثون الحكم ، واطلقت الحرية في الدين ، فشاعت المقالات المختلفة في
الاحاد والسياسة .

(١) الطنافس : البط ، ومفرد ما طنّسه (بضم الأول والثالث وكسرهما) .

(٢) الخز : نسج من الحرير والصوف .

(٣) الديباج : نسج من الحرير الخالص .

(٤) الفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والصل .

(٥) السكياج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٦) الكافور : صمغ أبيض قوي الرائحة يؤخذ من شجر الكافور .

(٧) الرقاق : الخبز المتبسط الرقيق . والكاغدا : الورق .

(٨) الترف : الترفه .

(٩) المطارف : جمع مطرف ، رداء من خز ذو أعلام .

وكان بما أفاء الفتح الاسلامي على العرب كثرة الجوارى ، فنظروا إلى الساحة العريضة ، واقتاتوا من العرب ، وأقحموهن في حياتهم ، فكان من عوامل بنائها الاجتماعي ، وسأيرت النساء العربيات في تكوين الأسر في الأوساط المختلفة ، حتى أصبح الجمهرة الساحقة من خلفاء بني العباس من أولاد الجوارى (٣٦ من ٣٩ خليفة) .

ولما راجت سوقهن ، وكثر إقبال الناس عليهن ، غنى النخاسون ومواليهن بأعدادهم لهذه الحياة على خير الوجوه وأكلها ، فغلبوا من الرواية والشعر والاجازة والمطارحة والغناء ، وكلما نبغت جارية في هذه الضروب غالى صاحبها في الثمن ، واشتط في التقدير .

ولقد انتشرت تجارة الرقيق في ذلك العهد ، وكان في بغداد شارع يسمى « شارع دار الرقيق » انتهب في الفتنة بين الأمين والمأمون ، وبكاه شاعر في قصيدة طويلة آخرها :

ومهما أنس من شيء توَلَّى فَإِنِّي ذَاكَرُ دَارِ الرِّقِّقِ

واشتهر في ذلك العصر كثير من النخاسين في بغداد ، وسبب شهرتهم ما لهم من جوار حسان ، يأوى اليهن الشعراء والأدباء .

فمنهم نخاس يُكنى « أبا عُمَيْر » كان له جوار قيان لهن ظرف ، وكان من جواريه جارية تسمى « عَبَّادَة » هُوَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْيَوَابِ فيقول :

لَوْ تَشَكَّى « أَبُو عُمَيْر » قَلِيلًا لِأَتَيْتُاهُ مِنْ طَرِيقِ الْعِبَادَةِ
قَضَيْتُهَا مِنْ الْعِبَادَةِ حَقًّا وَنَظَرْنَا فِي مَقَلَّتِي « عَبَّادَةَ »

ومنهم « أبو الخطاب » النخاس ، كان له جارية تعرف بذات الحال ، كان يهواها إبراهيم الموصلي .

ومنهم « حرب بن عمرو الثقفي » كان نخاسا ، وكان له جارية مغنية ، وكان

الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، وينفقون في منزله النفقات الواسعة ، ويرثونه ويهدون إليه ، وفيها وفيه يقول أشجع :

أَشْكُو الَّذِي لَأَقَيْتُ مِنْ حُبِّهَا وَبُغْضِ مَوْلَاهَا إِلَى الرَّبِّ
مِنْ بُغْضِ مَوْلَاهَا وَمِنْ حُبِّهَا سَقِمْتُ بَيْنَ الْبُغْضِ وَالْحُبِّ
فَاخْتَلَجَا فِي الصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوَى أَمْرُهُمَا فَاقْتَسَمَا قَلْبِي
تَعْجِلُ اللَّهُ شِفَائِي بِهَا وَعَجَّلَ السُّقْمَ إِلَى حَرْبِ

وكان قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء تعج بالجواري والقيان ، من أمم متعددة ، تختلف في الطباع والعادات واللغات ؛ وكانوا يتخذون منهم ، في مجالس الأنس وليالي الصفو ، بلابل يصدحن بأعذب الألحان ، بين رنين الكؤوس وبهجة التدمان .

ويقول أبو الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني : ودخل احد بن صدقة على المأمون في يوم السعانيين^(١) ، وبين يديه عشرون وصيفة جلبا روميات مزنرات ، قد زينن بالديباج الرومي ، وعلقن في أعناقهن صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والزيتون ، فقال المأمون : ويحك يا أحد ، قد قلت في هؤلاء أبياتاً فغنتي فيها ، ثم أنشدني :

طِبَاءُ كَالذَّنَابِيرِ مِلَاحٌ فِي الْمَقَاصِيرِ
جَلَامُ السَّعَانِينَ عَلِيًّا فِي الزَّنَابِيرِ^(٢)
وَقَدْ زَرَقْنَا أَصْدَاغًا كَاذَنَابِ الزَّرَازِيرِ^(٣)

(١) يوم السعانيين ، عيد للتصاري ، ويسمى عيد الزيتونة ، والسعانيين ، وتفسيره بالمرية : التسليح ، ويعملونه في سابع أحد من صومهم .
(٢) الزنار : ما يشد على الوسط .

(٣) زرقن شعره : جعله كالزرافين ، وهي الخنازير الصغيرة واحدها زرقين . الزرازير : جمع ذرذور ، طائر من نوع الصفور .

وأقبلن بأوساط كأوساط الزناير

ودعاهم الشغف بالغناء الى تعليمه الجوارى ، للتمتع بغنائهن ومنظرهن معا ، وتعلم الغناء استبح تعلم الأدب ، لأن الناس في ذلك العصر كانوا يتغنون بالشعر العربي الفصح ، والمغنية لا تحسن أن تغنى هذه الأشعار إلا إذا حفظت كثيراً من الشعر ، وأجادت بخارج الحروف ، واطلعت على كثير من الأدب . ولقد نبغت الجوارى في العصر العباسي نبوغاً عظيماً ، ووصل فن الغناء على أيديهن الى أبعد غاية من التقدم والرقى ؛ وعن العباسيون بالتأديبات النابتات منهن ، حتى قيل ان الرشيد اتخذ ألنى جارية في قصره ، لكل منهن صنعة وفن وميزة في الأدب والموسيقى والطرب .

ورغب الناس في الجوارى ، ولا سيما المتأديبات المغنيات منهن ، وتنافسوا في شرائهن أسوة في ملوكهم .

وتسربت روح الأدب من الجوارى المتأديبات الى طبقة من بنات البيوتات ، فكان للجوارى أثر كبير في انطلاق الكثيرات الى قرض الشعر ومطابقة كبار الشعراء .

وكان لمجالس الخلفاء العباسيين روح دنيوية ، وكانت مجالس الغناء في عصر الرشيد والواثق وأمثالهما من خلفاء بني العباس تعد من عجائب الفن . وكان من أثر الجوارى في الأدب قرضهن الشعر في أغراضه المختلفة من مدح وهجاء ورناء وغزل وعتاب ووصف ، لأن أعدادهن لتلك الحياة العربية الرائعة الفخمة نبت في كثير منهن ملكة قرض الشعر ، لحسن استعدادهن الفطري ، وكثرة ما روين من الأشعار الكثيرة في الأغراض المختلفة .

ويقول الجاحظ في رسالة القيان : وروى الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت^(١) فصاعداً ، يكون الصوت فيما بين البيتين بي أربعة أبيات ، عدا ما يدخل

في ذلك من الشعر ، اذا ضرب بعضه ببعض كان من ذلك عشرة آلاف بيت ...
وكان كثير من هؤلاء الجوارى يحسن الشعر وصناعته ، كما يحسن الغناء ،
وكن يدافعن الشعراء والمغنين بالمناكب ، ويفرغن على الشعر العربي حلة
مذهبة النسيج ، واضحة النهج ، صافية الديباجة ، خفيفة الروح .

وكان العصر العباسي عصر مطارحة للشعر بين الرجال والجوارى ،
يبتدى الشاعر بيت من الشعر ، فتعارضه الجارية بمثله على وزنه ورويته وفي
بقية معناه ، وأكثر ما تكون الغلبة للنساء ، فقد كن أسرع بديهة ، وأرق طبعاً
ومن حديث ذلك ان اعرابياً ذهب إلى عنان جارية الناطق ، وصاحبة
أبي نواس : فقال : بلغنى انك تقولين الشعر ، فقولي بيت ، وكان السلوى
الشاعر عندها ، فقالت : قل أنت ياعم ، فقال السلوى :

لقد جدّ الفراق وعيل صبرى عشيةً عيرهم اللين زُمَّتْ
فقال الأعرابي :

نظرت إلى أواخرها ضحياً وقد بانَتْ وأرضَ الشام أُمّتْ
فقالت عنان :

كتمت هواكم في الصدر منى على أن الدموع على نمتْ
فقال الأعرابي : أنت والله أشعرنا ، ولولا أنك بحمرة رجل لقبلتك ،
ولكني أقبل البساط .

وقال بكر بن حماد الباهلي : لما انتهى إلى خبر عنان جارية الناطق ،
وأنها ذكرت لهارون الرشيد ، وأنها أشعر الناس ، خرجت معترضاً لها ،
فأراغني إلا الناطق مولاه ، فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ،
ومجالسة عنان ؟ فقلت : ما بعد عنان مطلب ؛ ومضينا حتى أتينا منزله ، ثم دخل ،
فقال : هذا بكر شاعر باهله يريد مجلسك اليوم ؛ فقالت : لا ، واقه إلى

لكسلاة ، فحمل عليها بالسوط ، وقال لى : ادخل ، ودعمها يتحدر كالجان ،
قلت أجزى :

هذى عنان أسبلت دعمها كالدَّرَّ إذ يفسل من خيطه
قالت :

فليت من يضربها ظالما تحفُّ كفاه على سوطه
ثم أنشدتها :

فأزال يشكو الحب حتى حبته تنفّس فى أحشائه فكلمها
قالت :

ويكى فأبكى رحمة لبكائه إذا ما بكى دعمًا بكيت له دما
قلت لها : فأعندك فى إجازة هذا البيت ؟

بديع حُسن بديع صدّ جلت خدّى له ملاذا
فأطرقت ساعة ، ثم قالت :

فمصابره فنتفوه فأوعدوه ، فكان ماذا ؟

فإذا قدر الانسان الزمن الذى قلت فيه هذه الاجازة ، أصبح فى فنى عن
التعليق عليها ، والاعجاب بقدرة عنان ، والتناء عليها فى موقف كهذا ، قد
يسجز أنبغ الشعراء .

ومن بديع المطارحة أن على بن الجهم ألقى على فضل الشاعرة بمحضرة
المثوكل بيتًا غريب القافية ليمجزها ، فقال :

لاذ بها يشتكى اليها فلم يجد عندها ملاذا

فألبث أن قالت :

ولم يزل ضارعا اليها تهطل أجفانه رذاذا

فمصابره ، فزاد ، عشقا فأت وجد أفكان ماذا ؟

ولما دخلت فضل على المتوكل قال لها : أشاعرة أنت؟ قالت : كذا زعم
الذي باعني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدتنا شيئاً من شعرك ، فقالت :

استقبل الملكَ إمام الهدى عام ثلاثٍ وثلاثين
خلقة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرين
أنا لنرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانين
لا قدس الله أمراً لم يقل عند دعائي لك : آميناً

ولما أكرهت محبوبة ، جارية المتوكل ، على الغناء في مجلس أعدائه ، بعد
أن قتل ، وصدف عن زهرة الدنيا ، حداداً عليه ، ووفاء له ، وزهداً في
الدنيا بعده ، قالت :

أى عيش يطيب لى لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذاها م وحزن قد برا
غير محبوبة التي لو ترى الموت يشتري
لاشترته بملكها كل هذا لتقبرا
إن موت الكتيب أصم لح من أن يعمرأ

وإن في هذا الشعر للوئاع صادقاً من العاطفة والتبل .

ومن فضل الشواعر من الجوارى على نظرائهن من الرجال أنهن كن
يجمعن بين الشعر والغناء ، فكانت الجارية تقول الشعر ، ثم توقعه ، ثم
تغني به ، فتخرجه أحسن مخرج ، وتؤثر به أفعز تأثير .

يقول الأغاني في عريب : كانت مغنية محنة ، وشاعرة صالحة الشعر ،
وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال والظرف ،
وحسن الصورة ، وجودة الضرب ، واتقان الصنعة ، والمعرفة بالنغم
والأوتار ، والرواية للشعر والأدب . . .

ويقول في دنانير ، جارية البرامكة : كانت من أحسن الناس وجها ، وأظرفهم وأكلمهم وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم رواية للغناء والشعر .

ويقول في مقيم : كانت صفراء مولدة من مولدات البصرة ، وبها نشأى وتأديت وغنت ، وأخذت عن اسحاق الموصلي وعن أبيه من قبله ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً ، وكانت تقول الشعر ، ليس بما يستجاد ، ولكن يستحسن من مثلها . . .

ويقول في فضل : كانت مولدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولدات العمامة ، بها ولدت ، ونشأت في دار رجل من بني عبد القيس ، وباعها بعد أن أذهبها وخرجها ، فاشتريت وأهديت إلى المتوكل ... وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة ، سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر ، ولم يكن في زمانها أشعر منها .

ولقد نشر الجوارى نوعاً من الثقافة ، وهو الفنون الجميلة ، وما يتبعها من رقى في الذوق الفني ، فقد كانت بجانب الحركة العلمية في ذلك العصر : حركة أخرى لا تقل عنها شأنًا ، وهي الحركة الفنية ، من غناء وتصوير ورقص ، وكان الجوارى أكبر عامل في نشر الشعور بالجمال ، وما يتبعه من فنون جميلة ، فإن العباسيين لم يكتفوا بالجوارى من ناحية جملان الخلفي ، بل شغفوا بهم من ناحية الجمال الفني أيضا . ليجمعوا بين الجمالين ، فكانوا يميلون إلى الغناء والرقص : وإلى التفتن في الملابس ، وإلى غير ذلك من ضروب الفن . فأخذوا يعلون الجوارى هذه الفنون ، وسرعان ما تحول التبوغ فيها من الرجال إلى الجوارى .

ونشر الجوارى أنواعا من الطرافة ، قلدهن الناس فيها ، وجروا على أثرهن ، كحب الأزهار وتعشيقها ، فكانت مقيم ، جارية علي بن هشام ،

يعجبها بنفسج جداً . وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب . حتى أنها من
شدة إعجابها لا يكاد يخلو من كمها الريحان ، ولا تراه الا كما قطف من البستان .
وظن الناس إذ ذاك الى دلالة الأزهار على المعاني ، فيقول الشاعر :

أهدت اليه بنفسجاً يسليه تمّيه أن بنفسها تُفديه
فارتاح بعد صباية وكآبة ورجا لحسن الظن أن تُدنيه

ويقول آخر :

سُرّ بالأس الذي أهدت له ثم لما أهدت الورد جَزَع
ذاك أن الأس باق دائم ولأن الورد حيناً ينقطع

ونشر الجوارى نوعاً آخر ظريفاً ، وهو كتابة الأشعار الرقيقة ،
والجلل الظريفة ، تطرّيزاً على الأقشة والآردية والآكام ، والعصائب ،
ومشاد الطرر ، والذوائب ، والزناير والمناديل ، والوسائد والبسط ،
والنعال والخفاف ، وبالحناء على الأقدام والراح . . .

وسيجد القارئ كثيراً من ذلك في هذا الكتاب

ونجح الجوارى في اشعار الناس بالظرف ، والتزام حدوده ، حتى أصبح
للظرفاء عرف خاص في الزى والنظر . والطعام والشراب ، وما الى ذلك . . .
وهو ما دونه المؤلف أدباً للظرفاء .

ونشر الجوارى فن التجميل ، فقد كن يعملن الى أساليب اصطناعية
متعددة في اظهار جمالهن ، منها العناية بالحواسب وتدقيقها وترقيقها ومدّها ،
واحداث البلج بالافراج بين الحاجبين ، لأن العرب كانوا يحصون ذلك
في شروط الجمال .

وأدت الوسائل التجميلية إلى إخفاء العيوب التي تختص بها الحواجب

من قرن^(١) ، وزيب^(٢) ، ومعط^(٣) ، واستعاضت بعض الجوارى دقيق الكحل عن الشعيرات المتهاككات ، مما يدل على المستوى الذى بلغه فن التجميل إذ ذاك ، بعد أن نقلت كل واحدة من هؤلاء الجليات أسرارها عن قومها وأضافت ما تعرفه إلى حيل رفيقاتها وأساليهن .

وتفتت الجوارى الى السواك ، المأخوذ من الأراك ، فاستخدمته فى تنظيف الأسنان ، وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام .

ولقد قن الشعراء بشجر الأراك الذى تأخذ منه الحبيبة سواكها ، فغنوا أن يكونوا واحدة منها ، للثم ما يتقدم الأسنان ، وتناقوا الأحاديث عنها ، منها قول الشاعر :

نَقَلَ الْأَرَاكُ بَأْنَ رِيْقَةَ نَفْرِهِ مِنْ قَهْوَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْكُوْنِ

وقول الآخر :

أَقُولُ لِمِسْوَكِ الْحَبِيبِ لَكَ الْهَنَاءُ يَلْثَمُ فَمِ مَا نَالَهُ نَفْرٌ عَاشِقٍ

وعرف العصر العباسى نوعاً من الجوارى مقشبات بالفتيان ، وهن المظموات الشعر ، المسحيات بالغلاميات ، وتعداهن هذا الزى الى الحرائر فى قصور الخلفاء والأمراء والقواد . فأخذت المرأة عهدئذ بقص الذنوبة^(٤) الى مستوى الرقبة ، وبمد الوفرة^(٥) حول الأذن ، والعقرب على الجبين ، أو رسم طرة عليه ، وذهب بعضهن الى رفع شعورهن ورسم هينات متعددة ، وجعلن حول رؤوسهن عصاية مزركشة بالألوان ، وكتبن عليها

(١) القرن : اتصال الحاجبين .

(٢) الزيب : كثرة الشعر فى الحاجبين .

(٣) المعط : تساقط الشعر من بعض أجزاء الحاجبين .

(٤) الذنوبة : الناصية ، وهى شعر فى مقدم الرأس .

(٥) الوفرة : ما سأل من الشعر على الأذنين .

بالخيوط الذهبية أو الفضية شعراً أو آية كريمة ، وأكثرهن كان يؤرن الشعر الغزلى ، تقرباً من مواليهن ، ومغلاة في الفتنة ، وقد رسم أحدهم على عصاة جارية له هذين البيتين :

تمت ، وتمّ الحسن في وجهها فكلّ شيء ما سواها محال
للناس في الشهر هلال ، ولّى في وجهها كل صبح هلال
وجعل بعضهم في عصابات الجوارى درّاً ، يشرونه بأشكال هندسية ، أو ينسجون به خطوطاً وحروفاً وكتابات .
وغالين أحياناً في هذه العصابات المزركشة بالمرشّة بالرسوم والخطوط ، وفي رفع شعورهن تاجاً فوق مفارقهن .

وقد وجد الشعراء في مثل هذه العصابات موضوعاً شائعاً للنظم والغزل ، فيرون مثلاً أن الدر يزدان بالوجه الذي تحته ، كقول أحدهم :

وإذا الدرّ زانَ حسنَ وجوهٍ كانَ للدرِّ حسنَ وجهكِ زيناً
وكان الجوارى أقرب النساء الى قلوب الخلفاء ، فأخذ نفوذهن يقوى شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحن المرجع الرئيسى في كثير من القضايا .

ولقد ملكت « ذات الخال » زمام الرشيد ، حتى أنه أقسم يوماً أنها لا تسأل شيئاً الا قضاء لها ، فطلبت منه أن يولى أحد المقربين إليها الحرب والمخارج بفارس سبع سنين ، فامثل لها ، وكتب عهداً به ، وشرط على ولى عهده بعده أن يتمها له ، ان لم تتم في حياته .

وكان هارون الرشيد أول من غالى من العباسيين في تفضيل الجوارى وتقريبهن ، فان معظم أولاده كانوا أولاد إماء ، منهم : عبد الله المأمون وأمه أم ولد فارسية يقال لها مراجل . والقاسم المؤتمن وأمه أم ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو اسحاق المتعصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وهى

تركية الأصل ، وكان لها أثر كبير في أخلاق ابنها ، فدعاه منيله الى أمه الى استدعاء الأتراك الذين أضعفوا النفوذ في الفارسي والعربي ، وانتزعوا من الخلفاء العباسيين كل سلطان ؛ ومن أولاد هارون : صالح وأمه أم ولد يقال لها رثم ؛ ومحمد أبو غيسى وأمه أم ولد يقال لها عرابية ، ومحمد أبو يعقوب وأمه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمه أم ولد يقال لها خبث ، ومحمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها رواح ، ومحمد أبو علي وأمه أم ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو احمد وأمه أم ولد يقال لها كتمان .

ولقد قام بعض الجوارى بأدوار حاسمة في تاريخ العباسيين ، فاشترك في المؤامرات التي حيكّت لخلع خليفة ومبايعة آخر .

فمنهن الجارية أم المقتدر الذي ولاه الأتراك الخلافة وهو صبي في الثالثة عشرة من عمره ، ظنا منهم أن بوسعهم التصرف باسمه بشؤون الخلافة كما يشاءون ، لضعفه وصغر سنه ، فإذا بهم يلاقون عتسا شديداً من أمه ، وهي أم ولد رومية ، فقبضت على أزمة الأمور ، وقادت شؤون الدولة بحزم وحكمة مدة ربع قرن ، وهي أطول مدة تولى فيها عباسي الحكم آنذاك ، وخلع الخليفة أثناء حكمه مرتين ، فكانت أمه تسمى إلى إعادته الى كرسي الخلافة ، حتى تألب عليه الخصوم ، فخرج لقتالهم فصرعوه .

ومنهن الجارية الشيرازية حسن ، التي عاشت أيام الخلفيتين المتق والمستنكفي ، فهي التي سعت إلى إقصاء الأول عن الخلافة ، وأوعزت الى غلامها السندي بسمل عينيه ، عندما أحجم القواد عن فعل ذلك ، وتسلطت على الثاني ، حتى أقضت مضجعه ، وقضت عليه فيما بعد .

ومنهن الجارية صبيحة^(١) ، فقد اشتركت في الغدر والطيش ، وأوغلت

(١) ساهم التوكل في قبيحة ، اقام العين ، قد كانت أبرج النساء جمالا .

في الكيد ، فأشارت على ابنها أبي عبد الله المعتز ، حين كان خليفة ، أن يقتل أخاه المؤيد — من أيه — ليتخلص منه ، فقتله .

وإن موقفها من ابنها لأسوأ موقف تقفه أم إزاء ولدها ، فقد طالبه الجنود بأرزاقهم ، وبيت المال خال ، فأرسل إلى أمه ، وكانت ذات ثروة طائلة : يسألها أن تعطيه مالا يعطيهم ، فأبت أن تعطيه شيئاً ، وأنكرت أن يكون عندها شيء . فدخل إليه القوم وجروا يرجله إلى باب الحجرة ، وتناولوه بالدابيس ، فخرج وقيصه مخرق في مواضع ، وآثار الدم على منكبته . فلقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر ، فصار يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه ، ثم خلعوه ، وسلبوه إلى من يعذبه ، فنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حصة من ماء البئر ، فنعه . وبقى بعضهم يلطمه على وجهه ، وهو يتقي بيده ، ثم أدخلوه سرداباً وحصصوا عليه . فأتى : ثم نقوا أمه إلى مكة ، وصادروا أموالها وكنوزها ، وجردوها من حليها وجواهرها^(١) .

وكان الجوارى متعدّدات المصادر والأجناس والألوان . مختلفات في الدين ، ينتمين إلى الإسلام أو النصرانية أو اليهودية أو المجوسية ، وكان مواليهم يحترمون دينهن ، ويسهلون لهن القيام بالطقوس والفروض الخاصة في المواسم والأعياد ، وكثيراً ما كانت تقام الشعائر النصرانية واليهودية والمجوسية في قصور الخلفاء .

(١) يقول علي بن أبي طالب في كتابه : مختصر أخبار الخلفاء : « وجد لها مطمورة تحت الأرض فيها ألف ألف دينار عينا ، ووجد لها سبط فيه مكوك ذمرد وفي سبط آخر مكوك لؤلؤ وفي سبط آخر كيلجة ياقوت لا يوجد مثله عند ملك ، فحمل جميعه إلى صالح ابن وصيف ، فقال : قبح الله قبيحة ، عرضت ابها للقتل لأجل خسين ألف دينار . وعندها هذه الأموال العظيمة .

ولقد أدى تدين الجوارى بغير دين سادتهن ، وتسربهن الى جميع القصور ،
والخطوة التي كانت لمن في القلوب الى ظهور نفوذ الأحوال الأعاجم من
فرس وترك وروم ، فكان للمقتدر خال رومي يخاطبه الناس بالإمرة ، وكان
ذا سلطان ، يرهبه الناس ، ويتقربون اليه في سبيل الوصول الى ما يريدون
من نعم الخلافة .

وان ما أُلِّمَ بالآمة من تغير الحال ، لفساد الحكومة ، وتوالي النكبات
على الخلفاء ، حول همّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد ،
وأقوال الحكماء ، وسير رجال العدل والحزم ، التي يترتب عليها العظة
والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم ، لرد الناس عن غيهم ، فأخذوا
يجمعون ذلك في كتب الأدب ، ويرتبونها في أبواب مبينة على الحكمة
المستفادة منها ، كاصنع الوشاء في الأبواب الثلاثة عشر الأولى من هذا الكتاب .
موضوعات الكتاب :

(ا) تحدث المؤلف في الثلاثة عشر باباً الأولى عن حدود الأدب ، والنهي
عن عمارحة الأخلاء ، والحث على انتخاب الأقران والاختدان ، وصحبة الاخوان ،
وصفة المتحابين في الله ، والبشاشة بالاخوان ، واتفاق القلوب على مودة الصديق ،
والنهي عن استعمال الافراط في حبه ، وشرائع المودة وصفتها ، وفضل الصدق ،
وكره الكذب ، وقبح خلف المواعيد ، والحث على كتمان السر
(ب) كما تحدث في الباب الرابع عشر عن سنن الظرف ، وان العشق من
تسُنن الظرفاء .

(ج) ثم تناول في الأبواب التالية من الخامس عشر الى الثاني والعشرين :
الحديث عن مات من شدة العشق ، ووصف الحب ، ومن تعفّف في محبته ،
وذم القيان ، ومصارمة ذوى الغدر ، والنهي عن الهوى ..

(د) ولعل أبرز ما في الكتاب تلك الأبواب التي تناول فيها الحديث عن زى الظرفاء في الطعام والشراب، وتصنيف الموائد والأطعمة، وكيفية الأكل من وجوب تصغير اللقم، والتحرز من الشره، وعدم تلطيط الأصابع أو تجاوز ما بين الأيدي، أو التخلل على المائدة قبل أن تفرغ، وإفساد الرائحة بأكل الثوم والبصل ونحو ذلك.

ثم ذكر الظرفاء، وزينهم في اللباس، والوان الملابس، ومناسبتها للحفلات، ومناسبة بعضها لبعض، ومناسبتها للتكك والتعال والخفاف، وزينهم الخصوص في الخواتيم والفصوص، والتعطر والتطيب.

وذكر متطرفات النساء في اللباس، وزين المخالف لزي الرجال، في لبس التكك والخفاف والتعال....

ثم ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها، وما قيل في صفة الورد، والتفاح، وما جاء في السواك....

وصفة ذري التطرف، وما ينتهم لذوى التكلف.

(هـ) وأخيرا ذكر ما اختير من ألفاظ الأدباء في المكاتبات، وما ضمنوه كتبهم من الأشعار، وما كتبوه على العناوانات، وما كتب على الفصوص، والتفاح، والقناني والكاسات والأقداح، والأقلام، والدرام والدنانير....

ثم ما كتبه الجوارى والقيان على ذيول الأقصة والأعلام، وطرر الأردنية والأكام، والكرازن والعصائب، ومشاد الطرر والنواب.

والخفاف والتعال، والوطاة والشاح، والأقدام والراح، والجبين والحد، والعيدان والمضارب، والطبول والمعازف، والدقوف والنايات....

نسخ الكتاب :

اعتمدت في إبراز هذا المطبوع على ثلاث طبعات :

(أ) إحداهما المطبوعة في لندن سنة ١٢٠١ هـ (١٨٨٦ م) بإشراف المستشرق رودلف برونو^(١).

(ب) والثانية التي نشرها المرحوم السيد محمد أمين الخانجي الكتبي سنة ١٢٢٤ هـ ، وهي منقولة عن الطبعة السابقة، فقد نشر هذين البيتين :

لا تأتقن من الخضوع ع لمن تحب وداره

إخضع له فظالماً ملكت حل إزاره

كما وردا بالنسخة الألمانية كهذا :

لا تأتقن من الخضوع لمن تحب وداره

إخضع له فظالماً ملكت حل إزاره

(ج) والثالثة التي طبعت على نفقة المرحوم مصطفى فهمي الكتبي بجوار الأزهر بمصر سنة ١٢٢٤ هـ وهي نسخة من المطبوع الذي نشره المرحوم

(١) ولادة ١٨٥٨ م في آن أدبور من أعمال ميشين . وتوفي سنة ١٩١٧ ، وهو من أصل ألماني أمريكي ، وتلقى دبلومه العربية في ألمانيا ، وعين في سنة ١٩١٠ أستاذاً للغات السامية في جامعة برنستون بأمريكا ، واشتهر في العلوم الآشورية ، وقد تولى حضرات حوران . ويقول في مقدمته للوشى : أنه نشره عن مخطوط بمكتبة لندن ، وهو الوحيد الموجود في أوروبا ، ويبدو أنه كان غير معروف في الشرق ، فلم يذكر عنه شيئاً حاجي خليفة (مؤلف كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون) .

ويقول في وصف المخطوط : طوله تسع بوصات ، وعرضه ست بوصات ، ويحتوي على إحدى وتسعين ومائة ورقة ، ومكتوب بخط النسخ ، وهو لا يعمل تاريخاً ، ولكن الخط يدل على أن عمره حوالي خمسين عاماً ، والنسخة الأصلية جيدة ، ولكن يوجد بها بعض الأخطاء ، وعناوين الأبواب مكتوبة بالحبر الأحمر ، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول للكتاب قطعة من الورق القديمة ، وعليها قطعة جديدة مكتوب عليها بخط اليد الحديث :

هذا الكتاب الموشى تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الطيب

محمد بن إسحق بن يحيى الموشى رحمه الله تعالى

وفهرست الأبواب أضيف حديثاً أيضاً . . .

الخاتمي ، قد وردت بها آيات محرقة وناقصة ، كما جاءت بمطبوع المرحوم الخاتمي ، مثال ذلك هذا البيت :

طلبتُ امرأً مُحَضًّا صحيحاً مسلماً نقيّاً من الآفات في كلِّ مَوْسِمٍ

فقد نشر في المطبوعين الثاني والثالث هكذا :

طلبتُ امرأً صحيحاً مسلماً نقيّاً من الآفات في كلِّ موسم

آثارنا في الكتاب :

ولقد عانيت كثيراً لإخراج الكتاب في طبعته هذه ، فقد كان هناك

تصحيف وتحريف في كثير من الأسماء ، ونقص في الآيات الشعرية .

ولم أشأ حذف بعض الألفاظ المكشوفة من الشعر ، لأنه يمثل الحياة الاجتماعية في عصر العباسيين ، تلك الحياة التي كانت مزيجاً من التقى والفجور ، واللهو والسرور ، وكان هذا الشعر يصف أحاسيس النفس ورغباتها وشهواتها في حرية وانطلاق .

ما صار إليه الكتاب :

وتم لنا بحون الله وفضله : إبراز هذا الكتاب ، بعد تصحيحه وضبطه ، وإكمال النقص ، وكشف غامضه ، ووضع فهرس للأعلام .

ونرى أنه قد برز في ثوب أنيق ، وعسى ألا يجد فيه القارئ مغمراً ولا مطعناً .

رجاء :

وإني لأضيق هذا المطبوع بين أيدي حفاظ الأدب العربي : وأرجو أن

يحوز قبولا . كما أحمّد لمكتبة الخاتمي المصرية عملها بإخراج هذا الكتاب

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقني إلى نشر آثار السلف الكريم ،

وخدمة لغتنا العربية الجليلة . في هذا العهد الزاهر السعيد ، إنه على ما يشاء

كامل مصطفى

قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير

٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧
١٨ من فبراير سنة ١٩٥٣

حلوان الحمامات في يوم الأربعاء

التعريف بالمؤلف

نسبه :

أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى ، ويُعرف بالوشاء ، والأعرابي
وقيل : ابن الوشاء .

مولده :

لم يرشدنا التاريخ على وجه صحيح إلى مولده
وقد ذكر المستشرق رودلف بروفو أنه عاش في النصف الأخير من
القرن الثالث الهجرى (٨٦٠م) . ولعله اعتمد في تحديد هذا التاريخ على أنه
أخذ عن ثعلب والمبرد ، وقد ولد أولها سنة ٢٠٠ هـ (٨١٦م) وتوفي سنة
٢٦١ هـ ، وولد الثاني سنة ٢١٠ هـ (٨٢٦م) وتوفي سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩م) .

عصره :

تحدثنا في التصدير ، عن الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهده .

عليه :

كان أدبيا ، فاضلا ، نحويا ، حسن التصنيف ، مليح الأخبار .
والغالب عليه تصنيف كتب الأخبار كالشعر والمقطعات .
أخذ عن أبى العباس ثعلب والمبرد ، وغيرهما من الأئمة الاثبات .
وحدث عن أحمد بن عبيد بن ناصح ، والحارث بن أسامة .
وروى عن عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته .
ويقول ابن النديم : وكان نحويا معلما لمكتب العامة .
ويقول القفطى : وكان يعلم في دار الخلافة ورَوَّعَتْ عَنْهُ مَنِيَّةُ السَّائِبَةِ
جارية أم ولد المعتمد على الله .

(١) الوشاء : الذى ينى الثياب ، أى ينقشها ويخزفها .

وحدثت منية إملاء من لفظها قالت : حدثني أستاذي محمد بن اسحاق ابن يحيى النحوى المعروف بالوشاء قال : حدثني عبد الله بن عمر الوراق ، حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى ، أخبرني عبد العزيز ابن عمران ، عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرَكِ الْغُصْنَ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ؛ وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرَكْهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ .

شعره :

للوشاء شعر لطيف رقيق ، لم يبلغ حد الجودة ، ولكنه حسن النظم ؛ ولقد ذكر منه الكثير في هذا الكتاب .

ويقول ياقوت : نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد الثوقاني : أنشدني الشافعي أحمد بن محمد : أنشدني أحمد بن محمد بن حفص : أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لَا صَبْرَ لِي عَنْكَ سِوَى أَنِّي أَرْضَى مِنَ الدَّهْرِ بِمَا يَقْدُرُ
مَنْ كَانَ ذَا صَبْرٍ ، فَلَا صَبْرَ لِي مِنِّي عَنْ مِثْلِكَ لَا يَصْبِرُ
ومن خطه وإسناده للوشاء :

يَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
لَا تَحْبِسْنِي خِلَى الْبَالِ مِنْ سَهْدٍ (١)
حَاشَاكَ مِنْ أَرَقِي ، حَاشَاكَ مِنْ قَلَقِي
حَاشَاكَ مِنْ طُولِ مَا أَلْقَى مِنَ الْخَمْدِ

حُزِنِي عَلَيْكَ لَا تَفَادَ لَهُ
أَوْهَى فُؤَادِي وَأَوْهَى عُقْدَةَ الْجِلْدِ (١)
وَالصَّبْرُ عَنْكَ قَلِيلٌ مُضْرِمٌ قَلَقًا
بَيْنَ الصَّلَوحِ كَصَبْرِ الْأُمِّ عَنْ وَلَدِ (٢)

مصنفاته :

يقول القفطي : وللوشاء التصانيف الحسنة المشهورة .

وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو . كتاب الجامع في النحو . كتاب في المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الإنسان . كتاب خلق الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزاهر في الأنوار والزهري . كتاب السلوان . كتاب المذهب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتطرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الظرف الكبير . كتاب الموشى .

ويقول القفطي : وله كتاب « زهر الرياض » ، وهو كبير في عدة مجلدات ، ملكت منها نسخة بخطه ، في عشر مجلدات ، تشتمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمشور في حسن اختيار ، تدل على كثرة الاطلاع والبحث .

ويقول جورج زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية : ذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين كتابا في النحو والأدب ، لم يصلنا منها إلا كتابان :

(١) كتاب الموشى : وهو فريد في باب « يمثل آداب ذلك العصر » ، ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف ، وفيه وصف الأزياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات ، وما اختير

(١) أوهى : جعله وإميا مشغوقا . (٢) مضرم : مشعل انزعاجا واضطرابا .

من الألفاظ للمكائبات ، وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الأشعار على الثياب والأعلام والعصائب والزناير والمتاديل والستور والوسائد حتى النعال ، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان .

ومنه نسخة خطية في ليدن ، وقد طبع فيها سنة ١٨٨٦ ، وفي مصر سنة ١٢٢٤ وسموه كتاب الطرف والطرفاء .

(٢) كتاب تفريغ المهج وسبب الوصول إلى الفرج .

منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين .

وبدار الكتب المصرية كتاب : وصايا الملوك وأبناء الملوك ، يبحث في وصايا الملوك وأبنائهم من ولد قحطان بن هود النبي عليه السلام وما ورد في ذلك من أخبارهم وأشعارهم .

وهو منسوب إليه ، وطبع في مطبعة الديار ببغداد سنة ١٣٣٢ ، وهو ثلاثة أجزاء ، ويوجد بالدار الجزء الأول فقط .

وبالدار نسخة خطية غير كاملة ، ضمن مجموعة ، من هذا الكتاب .

وفاته :

مات أبو الطيب سنة خمس وعشرين وثلثمائة من الهجرة (٩٣٦ م) .

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ بَسْرَ وَأَعِن. باسم الله يكون الابتداء، ويعونه تم الأشياء، وبمشيئته تصرف الدهور، وعلى إرادته تنقلب الأمور، ومنه التوفيق والتأييد، ويده الإعانة والتسديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبتوفيقه إرشاده.

قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الموشى، المؤلف لهذا الكتاب، وهو الكتاب الموشى (نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه، ونستفتح له استفتاح اللاجىء إليه ونستكفيه: يَجِبُ على المتأدب اللبيب، والمتطرق الأريب، المتخلق بأخلاق الأدباء، والمتحلى بحيلة الظرفاء: أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعله، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه، تبيين الظرف، وشرائع المروءة^(١)، وحدود الأدب، فانه لا أدب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا ظرف له، ولا ظرف لمن لا أدب له.

وقد وصفنا في كتابنا هذا، على قدر ما بلغه علمنا، واحتوى عليه فكرنا، وجعلناه حدوداً محدودة، ومَعَالِمَ مقصورة، وشرائع بينة، وأبواباً نيرة، وشرطتُنا على قارىء كتابنا: الاقتصارُ عن طلب عيوب خطائنا، والصفحُ عن ما يقف عليه من إغفالتنا، والتجاوزُ^(٢) عن ما ينتهى إليه من أماناتنا، وإن أداه التصفح إلى صواب نشره، أو إلى خطأ ستره، لانه قد تقدمنا بالاققرار، ولا بُدَّ للامنان من زلل^(٣) وعثار^(٤)، وليس كل الأدب عرفاء، ولا كل

(١) مروءة: المروءة، وهما بمعنى: النخوة وكال الرجولة.

(٢) تجاوزته: أغضى وعفا.

(٣) زلل: زلق وسقط، وعن الحق: انحرف.

(٤) عثر: سقط.

العلم رويته ؛ وعلينا في ذلك الاجتهاد ، والى الله الارشاد .

وقل مانجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة ، أو باحث عن خطية ، وقد كان يقال : من ألف كتابا قد استشرف ^(١) ، وإذا ما أصاب قد استهدف ^(٢) ، وإذا أخطأ قد استغذف ^(٣) ؛ وكان يقال : لا يزال الرجل في فُسخة ^(٤) من عقله ما لم يقل شعرا أو يضع كتابا ، وقال الشاعر في ذلك :

لا تَرْضَ لِلشَّعْرِ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ فِي أَبْحَرِهِ جِسْرًا
فَلَنْ يَزَالَ الْمَرْءُ فِي فُسخَةٍ مِنْ عَقْلِهِ مَا لَمْ يَقُلْ شِعْرًا
وأنشد في ذلك :

الشَّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَرْضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصَّرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَاقِدُ يَذْهَبْنَ بِالْحَصْلِ ^(٥)

وكان يقال : اختيار الرجل واقد عقله .

وقيل : دل على عاقل اختياره .

وقيل لبعض العلماء : اختيار الرجل قطعة من عقله ، قال : لا ، بل يبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد : لا يُحَيِّنُ الاختيار إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ .

وقال الشعبي : العلم كثير ، والعمر قصير ، تخفوا من العلم أرواحه ، ودعوا ظروفه .

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، تخفوا من كل شيء أحسنه .

(١) استشرف : انتصب .

(٢) استهدف الشيء : أرتفع واستقبل ، ومنه قولهم : من صف قد استهدف .
أي انتصب كالنرض يرى بالأناويل . (٣) استغذف الرجل : رماه وانتهه بريية .

(٤) فُسخة : سمة . (٥) الحصل : إصابة النرض .

قال الشاعر :

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَتَمُّ مَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَرُوضٍ مُزْمِرٍ فَتَخَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

(ونحن) نستعين الله، ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرة، وفصولاً مجبرة، على غير نقص مثلاً، لما في كل باب، ثلاثا يطول به تأليف الكتاب، ولأن غرضنا في الاختصار، لما عليه النفوس من ملل الاكثار، ولتنجو من مقالة حاسد، أو اعتراض معاند.

مطلب في الحسد :

على أنه لا بد للحاسد، وإن لم يجد سبيلاً إلى وفن^(١)، ولا سبيلاً إلى طعن، أن يحتال لذلك بحسب ما ركب عليه طبعه، وتضمنه صدره، حتى يخلص إلى غفلة، أو يصل إلى زلة، فيتشبث بالمعنى الحقير، ويتشبث بالحرف الصغير، إلى ذكر المثالب^(٢)، وتغطية المناقب^(٣)، ولأن^(٤) من طبع أهل الحسد، وأرباب المعاندة والتكبد، تغطية محاسن من حسدوه، وإظهار مساوئهم من عاندوه.

وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، وبشر بن موسى بن صالح الأسدي، قالا : حدثنا الأصمعي قال العلاء بن أسلم قال ربيعة بن العجاج قال : قال لي فلان : قصرت وعرفت، ثم قال لي : يا ربيعة عساك مثل أقوام إن سكنت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني، قلت : أرجو أن أكون كذلك، قال : فأعداء المروءة، قلت : تنجرتي، قال بنوع السوء^(٥) إن رأوا خيراً استروه، وإن رأوا شراً أذاعوه.

أنتقدني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

(١) الوهن : الضعف (٢) المثالب (جمع مثلبة) : العيب

(٣) المناقب (جمع منقبة) : المخرجة، والفعل المذكر

(٤) لأن (٥) السوء : الفساد

(٤) ويروى : إذ

عَيْنُ الْحَسودِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةً تَبْدَى الْمَكَاوِي وَالْإِحْسَانَ مُخْفِيَةً
يَلْقَاكَ بِالْبِشْرِ يُبْدِيهِ مَكَاشِرَةً وَالْقَلْبُ مُضْطَفَنٌ^(١) فِيهِ النَّزَى فِيهِ
إِنَّ الْحَسودَ بِلَا جُرْمٍ عِدَاوَتُهُ فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَذْرًا فِي تَجَنُّبِهِ
وَأُنْشِدُنِي أَبُو جَعْفَرٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

إِنْ يَعْطُوا الْخَيْرَ يُخْفِزُهُ ، وَإِنْ عَلُوا شَرًّا أَذْبَعَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْطُوا كَذَّبُوا
وَأُنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَارِي :

وَتَرَى اللَّيْبَ مُحْدًا لَمْ يَجْتَرَمْ شَمَّ الرِّجَالِ وَعِزُّهُ مَشْتَوِمٌ
حَسَدُوا الْفَقْرَ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ
كَضُرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوَجْهَهَا حَسَدًا وَبَقِيًّا اللَّهُ لِلنِّمِ
وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ بِلَالٍ بْنِ جَرِيرٍ :

مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسَدُهُ ذَوُو الْتَغْصَانِ
يَا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمٌ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَظَاهَرُ نِعْمَةُ الرَّحْمَانِ
وُخْبِرْتُ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ : مَا أَسْرَعَ
النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ؛ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنَّ الْعَرَاتِينَ^(٢) تَلْقَاهَا مُحْدَةً وَلَا تَرَى لِلثَّامِ النَّاسَ حُسَادًا
كَمْ حَاسِدٍ لَهُمْ قَدْ رَامَ سَتِيمَهُمْ مَا نَالَ مِثْلَ مَسَاعِيهِمْ وَلَا كَادًا
وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :
قَوْمٌ سَيِّئَاتُ آبَائِهِمْ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَائِبُوا وَطَابَ مِنَ الْآوِلَادِ مَا وَلَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُدُودًا
وَأُنْشِدُنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَنْشَدُنَا الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ :

(١) مضطفن : منطوي على الحقد (٢) العرائن : جمع الرعين وهو من كل شيء : أوله .

إِنِّي نَشَأْتُ وَحْدَادَى ذُوو عَدَدٍ إِذَا الْمَعَارِجُ لَا تَنْقُصُ لَهُمْ عَدَدَا
مَا زِلْتُ أَقْدِمُ أَفْرَاسِي مَكَلَّمَةً حَتَّى اتَّخَذْتُ عَلَى حُسَادِهِمْ بَدَا
وَأَنْشِدْتُ:

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تُرْجَا إِمَاتَهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ: أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُوَالِيِّ يَحْسُدُونَهُ، فَقَالَ:
إِنْ يَحْسُدُونِي فَلِأَنِّي غَيْرُ لَاتِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَحْسُدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَعْدًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ: كُلُّ خَصْلَةٍ رَدِيئَةٍ فِيهِ دُونَ الْحَسَدِ، لِأَنَّ
الْحُسُودَ يُسَمَّى عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَيُنْفِي الْفَوَائِلَ^(١) لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ بَعْضَ الْحُسَادِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ
ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمُظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ: حُزْنٌ لَازِمٌ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ.
وَقَالَ حَاتِمُ طَبِي:

يَا كَتَبُ مَا إِنْ تَرَى مِنْ بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ إِلَّا لَهُ مِنْ بَيْوتِ الشَّرِّ حُسَانَا
وَالْتَحَرَّزُ مِنَ الْحُسَادِ مَا لِسَبِيلِ كُنَّا إِلَيْهِ: وَالتَّحَفُظُ مِنَ السُّبْهَةِ مَا لَا يَنْقَدِرُ
عَلَيْهِ، لَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا يَهْزُ الْبَحْرُ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ
(وَأُصْدِرَ) كِتَابِي هَذَا، مُسْتَعِينًا بِأَقْبَاهِ، رَاغِبًا إِلَيْهِ، بِذِكْرِ الْأَدَبِ وَصِفَتِهِ،
وَمَا يَحْتَاجُ الْأَدْبَاءُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَأَشْفَعُهُ بِأَشْيَاءَ يَسْتَحْسِنُهَا الْأَدِيبُ، وَيُرْغَبُ
فِي دِرَاسَتِهَا الْأَرِيبُ، وَبِأَقْبَاهِ التَّوْفِيقِ.

١ - باب المياد من حدود الأدب

وما يجب على الأدباء من الفحص والطلب

اعلم أن أول ما يجب على العاقل ، المنفصل بصفته عن الجاهل ، أن يتبعه ويميل إليه ، ويستعمله ويحرص عليه : بحالسة الرجال ذوى الألباب ، والنظر في أفانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الأخبار والأشعار ؛ وأن يُحسن في السؤال ، ويتثبت في المقال ؛ ولا يُكثر الكلام والخطاب ، إن سئل عما يعملُه أجاب ، وإن لم يُسأل صمت للاستماع ، ولم يتعرض لمكروه الاقطاع ، فقد روى في الخبر المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أَعْدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك ^(١) . والصمت أحسن بالرجل من الهذر ^(٢) في منطقه ، والكلام فيما لا يعنيه ، والتسرع إلى ما يكون على وجَلٍ ^(٣) منه ، وقد قال بعض الشعراء :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
وقال أبو العتاهية :

إِذَا كُنْتَ عَنْ ابْنٍ تَحْنِنَ الصُّفْتَ عَاجِزًا
فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ
يُخَوِّضُ نَاسٌ فِي الْمَقَالِ ^(٤) لِيُوجِزُوا وَلِلصُّفْتِ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَاتِ أَوْجَزُ ^(٥)
وقال أيضاً ^(٦) :

(١) روى بالجامع الصغير للحافظ : وأعد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك ، (٢) الهذر : سقط الكلام الذي لا يعبأ به (٣) الوجَل : الخوف (٤) في ديوانه : فأن ، وقد روى البيتان الثاني أولاً ثم الأول ثانياً (٥) في ديوانه : الكلام (٦) في ديوانه : ولصمت في بعض الأحاديث أوجز (٧) ينسب هذان البيتان في ديوان أبي العتاهية لابنه محمد ، وكان شاعراً ، وبهما : يا عجباً لأمري . ظنوم مستيقن أنه يموت

قَدْ أَفْلَحَ السَّامِكُ^(١) الصُّمُوتُ كَلَامُ رَاغِي الْكَلَامِ قُوتُ
مَا كُلُّ نَفْطٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا تَسْكُرُهُ^(٢) السَّكُوتُ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليسكت ، وقال : من صمت نجما .

وكان أعرابي يجالس الشَّعْبِيَّ يطيل الصمت ، فقال له يوما : لم لا تتكلم ؟
فقال : أسمع لأعلم وأسكت فأسلم .
وقال أبو هريرة : ثمرة القلب اللسان .

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : ما مبدى علم القلب وجهه ؟ قال :
اللسان ، قال : فأين يلزم الصمت ؟ قال : عند من هو أعلم منكم ، وعند الجاهل
إذا جالسكم .

وقال بعض الشعراء :

تَعَاذَ لِسَانُكَ إِنَّا أَلْسَا نَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وهذا اللسان يريدُ القَوَا دِ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وقال آخر :

لَسَرِ النَّفْسَ مَا اسْتَطَعَتْ بِصَمْتٍ إِنْ فِي الصَّمْتِ رَاحَةٌ لِلصُّمُوتِ
وَأَجْمَلَ الصَّمْتَ إِنْ عَيَتْ جَوَابًا رَبُّ قَوْلٍ جَوَابُهُ فِي السَّكُوتِ
وقال أبو العتاهية^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا مَ إِذَا اهْتَدَيْتَ عَلَى عُيُونِهِ
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَقَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ

وقال لقمان لابنه : يَا بُنَيَّ إِنْ غُلِبْتَ عَلَى الْكَلَامِ فَلَا تُقَلِّبْ عَلَى الصَّمْتِ ،

(١) تروى : السالم

(٢) تروى : ما تكرر

(٣) ترتيب البيهقي في ديوانه : الثاني فالأول

فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، إني ندمت على الكلام مرارا . ولم أندم على الصمت مرة واحدة .

وقال ابراهيم بن المهدي في هذا المعنى فأحسن :

إن كان يُعجِبُكَ السَّكُوتُ فَانْهَ قد كان يُعجِبُ قبلك الاختيارُ
ولئن ندمتَ على سكوتك مرةً فلقد ندمتَ على الكلام مرارا
إنَّ السَّكُوتَ سَلامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الكلامُ عداوةً وضرارا
لخفيق على الأديب أن يخزن لسانه عن نطقه ، ولا يرسله في غير حقه ، وأن ينطق بعلم ، وينصت بعلم ، ولا يعجل في الجواب ، ولا يهجم على الخطاب ، وإن رأى أحداً هو أعلم منه ، نصت لاستماع الفائدة عنه ، وتحذر من الزلل والسقط ، وتحفظ من العيوب والغلط ، ولم يتكلم فيما لا يعلم ، ولم ينظر فيما لا يفهم ، فانه ربما أخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب ، وكان فيه نقصه عند ذوى الآلاباب ، وقد قال الأغور الشَّيْءُ فأجاد :

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الْفَوَادِ لِسَانَهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ النَّعَمِ
وَكأنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ وَنَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى يَصِفُ وَيَصِفُ فَوَادَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
ومثله قول الأخطل أيضا :

إنَّ الكلامَ مِنَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا
وَأخبرني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزني
يُقِلُّ الكلامَ ، ف قيل له في ذلك ، فقال : لسانِي سَبُعٌ إِنْ تَرَكْتُهُ أَكَلَنِي ، وَأَشْدُّ
لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ شَذَانُهُ فَلَا يَزَعُ مِنْ غَرَبِهِ فَهُوَ أَكَلُهُ
وما العيُّ إِلَّا مَنْطِقٌ مَبْرُغٌ سِوَاهُ عَلَيْهِ حَقٌّ أَمْرٌ وَبَاطِلُهُ

قال أبو الطيب : قوله — شذاته — أى حده .

وقال بعض الحكماء : إلزم الصمت نُعدَّ حكيماً كنتَ أم عليماً .

وقال المهيم بن الأسود النخعي :

من يستعز بالصمت يوماً فانه يقال له لبٌ نهاه أصيلٌ

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصة^(١) على عوراته لدليلٌ

وكان يقال : الصمت صونُ اللسان وسترُ العي .

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب الخطفي بن بدر :

عجبتُ لأزراء العيِّ بنفسه وصمتُ الذي قد كان بالقول أعلياً

وفي الصمت سترٌ للعيِّ وإنيما صحيفةُ لبِّ المرء أن يتكلما

والعرب تقول : عيٌّ صامتٌ خير من عيٍّ ناطق .

وكان ربيعة الرأي كثير الكلام ، فتكلم يوماً وأكثر ، ثم قال لأعرابي

عنده : أتعرف ما العيُّ ؟ قال : نعم ، ما أنت فيه منذ اليوم .

وقال أكرم بن صيني ، حنف^(٢) الرجل بين لحيته .

وأنشدني أحمد بن عبيد لأبي محمد اليزيدي :

حنفُ امرئٍ لسانه في جدّه أو لعبه

بين الله^(٣) مقتله رُكْبَ في مُركِبِه

ورُبَّ ذي مزجٍ أُمِيتَتْ نفسه في سبيّة

ليس الفتى كُلّ الفتى إلّا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسيبه

(١) الحصة : العقل والرأى

(٢) الحنف : الموت

(٣) الها : جمع الهاء : العمة المشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم

وكان يقال : لسانك عبدك ، فإذا تكلمت صرت عبده
وقال بعض الحكماء : أنا بالخيار ما لم أنكمم ، فإذا تكلمت صار الكلام
عليّ بالخيار .

وقال آخر : لسانى فى حبس بدنى ما لم أطلقه على نفسى ، فإذا أطلقته
صار بدنى فى حبس لسانى .

وقال آخر : الكلمة أسيرة فى وثاق^(١) الرجل ، فإذا تكلم بها صار فى وثاقها
وقال الشعبي : أنا على أتباع ما لم أوقع أقدر منى على ردّ ما أوقعت .

وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات ، خرجن كلّهن بمعنى ؛ قال كسرى :
أنا على قول ما لم أقل ، أقدر منى على ردّ ما قلت . وقال قيصر : لا أندم على
ما لم أقل ، فانا أندم على ما قلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة
ملكنتى ولم أملكها . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة ، إن حكيت
عنه ضرته ، وإن لم تذكر لم تنفعه .

وقال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزّن عليه لسانه فليس على شيء ميواه بخزان

وقالت الفلاسفة : اللسان خادم القلب .

وقالت العلماء : اللسان كاتب القلب إذا أملّى عليه شيئاً أتى به .

وأشدنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

رأيت لسان المرء راعى نفسه وعاذره إن ليم أوزل سائرته

فمن لزمته حجة من لسانه قد نمت راعيه وأفجم عاذره

ولئن كان السكوت جيلاً لقد جيل الكلام جيلاً ، ما لم يمدّ التكلم فى

(١) الوثاق : بفتح الواو وكسرهما ، : ما يشد به من قيد وحبل وغيره

(٢) ألجم : أسكت بالحجة فى خصومة أو غيرها ، ولم يستطع جواباً

كلامه ، ويتجاوز في الكلام حد نظامه .

وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

ما في الكلام على الأنام أثم بل فيه عندى النقص والإبرام
لولا الكلام لما تبيّن الهدى وتعطلت في ديننا الأحكام
فون الكلام إذا أردت تكلماً ودع الفضول ، في الفضول ملام
إن أنت لم ترشد أخاك إذا أتى فليكن منه هجنة ^(١) وأنك
والنطق أفضل من صمكت ^(٢) منهم جاء الكتاب بذلك والاسلام
هذا البيان فلا تكن ممّارياً فالصمت عي والكلام نظام
وليس بعيد على الأديب ، وإن كان مستقلاً بما لديه ، استحقاؤه ^(٣)

للتقدم في العلم عليه ، ولا في سؤاله فيما غيّبت معرفته عنه ، من هو أعلى
درجة في العلم منه .

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

تمام العنى طول السكوت وإنما شفاء العنى يوما سؤالك من يدري
وروى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن عبد المطلب :
ماذا يريد في العلم ؟ قال : التعلّم . قال : فإذا يدل على العلم ؟ قال : السؤال .
أنشدني أحمد بن عبيد ، قال : أنشدني ابن الأعرابي لبشامة بن عمرو المزي :
إنا ما يهتدى لبي هداي وأسأل ذا البيان إذا خيمت
وأجنب المقاذع ^(٤) حيث كانت وأترك ما هويت لما خشيت

(١) الهجنة من الكلام : العيب والفسح ، أو ما يبيه الإنسان ، وفي العلم : إضاعته ،
يقال : احتفظ عليك من الهجنة

(٢) الصمات : السكوت (٣) استعذى : اعتدى

(٤) قدح في عرجه : ظن فيه عابون نقصه ، ويروى : المقاذع ، أى الخنا والنفس

وكان يقال: من رُقَّ وجهه عن السؤال دقَّ علمه ، ومن أحسن السؤال عليم .
وقال الشاعر :

إِذَا كُنْتُ فِي بَلَدٍ جَاهِلًا وَلِلْعِلْمِ مُلْتَمِسًا فَاسْأَلْ
فَإِنَّ السُّؤَالَ شِفَاءُ الْعَمَى كَمَا قِيلَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ
ورُوينا عن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال :
لا يتعلم من استحميا وتكبر .

وقال رجل من بني العباس للأمين : أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم ؟
فقال : نعم ، والله لأن تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل .
فقال : إلى متى يحسن بي وقد جاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الحياة :
وقال الخليل : ذاكرْ بعلبك ، فذكر ما عندك ، وتستفيد ما ليس عندك

وقال الخليل أيضا : كنتُ إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته .
وأخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني ابن الأعرابي قال : أخبرنا أضر
السيان قال : قال الزهرى : الأخبارُ ذُكْرَانُ لا يحبها إلا ذُكْرَانُ الرجال ،
ولا يكرها إلا مؤننوم .

وقال الطرماح :
وَلَا ادْعُ السُّؤَالَ إِذَا تَعَيَّنَتْ عَلَى مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتُ
وَيَنْفَعْنِي إِذَا اسْتَيْقَنْتُ عِلْمِي وَأَقْوَى الشُّكِّ عِنْدِي الْيَبْتِكَاتُ
فهذه جملة تحت الأدب ، على الطلب ، وصدرت بغيره العقلاء من حدود الأدب ،
(ومنه أيضا) : ترك مازحة الاخوان ، إذا كان مما يوغر صدور الخللان ،
وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة ، وألفاظها ممتعة . فيها لك كفاية ،
ولنوى الأبواب نهاية ، إن شاء الله تعالى .

٢ - باب النهى عن معاملة الأوفياء،

والنهي عن مفاكة الأوداء.

اعلم أن من زىّ الأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وذوى المروءة والظرفاء :
قلّة الكلام في غير أرب، والتجالّل " عن المداعبة واللعب، وترك التبذل
بالسخافة، والصياح بالفكاهة، والمزاح لأن كثرة المزاح يُذلّ المرء، ويضع
القدر، ويُزيل المروءة، ويُفسد الأخوة . ويجترى على الشريف الحر :
أهل الدناءة والشرّ .

وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعيّ عن رجل من العرب
قال : خرجت في بعض ليالي الظلم، فإذا أنا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن
نفسها . فقالت : يا هذا، أمالك زاجرٌ من عقل، إذا لم يكن لك واعظ من
دين ؟ قلت : والله ما يرانا إلا الكواكب ! قالت : يا هذا، فأين مُكوّكبها ؟
قلت : إنما كنت أمزح ؛ قالت :

فَايَاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالْدِّنْسَ التَّنْذِلَا
وَيُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ وَضَائِهِ وَيُورِثُ بَعْدَ الْعِزِّ صَاحِبَهُ ذُلًّا
وقال سليمان بن داود عليهما السلام . المزاح يستخفّ فؤاد الحليم،
ويُذْهِبُ بِيَهَاءَ ذِي الْقُدْرَةِ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكثر من شيء عُرفَ به، ومن
مازح استُخِفَّ به، ومن كثر ضحكك ذهب هيبته .

وكان يقال : لكل شيء بذرٌ، وبذر العداوة المزاح .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إمنعوا الناس من المزاح، فانه

يُذهب المروءة ، وَيُوغِرُ^(١) الصدر .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَازَحَ أَخَاكَ إِذَا أَرَدْتَ مُزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جَمَاحًا^(٢)
فَلَرُبَّمَا مُزَحَ الصَّدِيقُ بِمَزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ عِدَاوَةٍ مِفْتَاحًا
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : اِمْتَسِعُوا مِنَ الْمَزَاحِ تَسْلِمَ لَكُمْ الْأَعْرَاضُ ،
وَقَالَ خَلْفُ بْنُ صَفْوَانَ : الْمَزَاحُ سَبَابُ التَّوَكُّي^(٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

تَلَقَّى الْفَتَى بَلَقَى أَخَاهُ وَخِذْنَهُ فِي لَحْنٍ مُنْطَقُهُ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ بِمَازِحًا وَمَلَاعِيًا هِيَّاتِ تَارِكٍ فِي الْحَشَا سَتُسْرُ
الْمُحِبَّتِهَا وَطَفَقَتْ تَضْحَكُ لَهَا يَا عَمَّا بِهِ وَفَوَادُهُ يَتَفَطَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتُ وَمِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْفَرُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْحُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقُلُوبَ ، وَتَتَبَّثُ فِيهَا النِّفَاقُ ،
وَالْمَزَاحُ يُذْهِبُ بِيَهَاءَ الْعِزِّ .

وَحَدَّثَنِي الْبَاغَنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ
قَالَ : قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بُنَيَّ لَا تَمَازِحِ الصِّيَانَ قَتَهُونَ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَوْصَى يَعْلَى بْنُ مُثَنَّبَةَ بْنِهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِيَّاكُمْ وَالْمَزَاحَ ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ
بِالْبِهَاءِ ، وَيُعْقِبُ النَّدَامَةَ ، وَيُزْرِي بِالْمَرْوَةِ .

(١) وَغَرَهُ عَلَيْهِ : أَغْرَاهُ بِالْجَدِّ عَلَيْهِ

(٢) جَمَعَ الرِّجْلُ : رَكِبَ هَوَاهُ فَلَمْ يُمْكِنْ رَدُّهُ

(٣) التَّوَكُّي : جَمَعَ الْأَتْرُكُ : الْأَحْمَقُ ، السَّاجِدُ الْجَاهِلُ

وقال مسر بن كيدام الهلالي لابنه :
ولقد منحتك يا كيدام نصيحتي فاسمع لقول أبٍ عليك شفيق
أما المزاحمة والمراء فدعهما خلُقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما لمجاور مجاور جاورته ورفيق
وكان سعيد بن العاص يقول : لا تمازحنَّ الشريفَ فيحقد عليك .
ولا الدنيا فيجترى عليك .

وقد توارت بالنهي عن ذلك الأخبار، وتكاثفت فيه الأشعار، ولعمري
إن ترك ما نهى عنه ذوو الأدب، من المداعبة واللعب، أولى بذى التَّهْنِية^(١)
والأرب؛ وقد يجب على العاقل الأديب أن يتفق أخوانه، ويتخير أصدقاءه،
ويفتش عن الأصحاب، ويخالس ذوى الألباب، ويستخلص أهل الفضل،
وأهل المروآت والعقل، فأنها غنة الأديباء، وفراسة العلماء، وإنما يعرف
الرجل بأشكاله . ويقاس بأمثاله، ويوسم بأخداذه، ويُنسب إلى أقرانه .
وقد شرحتُ في ذلك جملةً من الآثار، وما روى فيه من التَّنَفُّفِ
والأخبار، فتَقَفَ عليه يَبِينُ لك ما فيه إن شاء الله تعالى .

٣ - باب الأمر باقتناء الصوفى

واختخاب الأقران والأخذان

رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اختبروا الناس باخوانهم ، فإن
الرجل يخادن من يُعْجِبُهُ نحوه .
وقال مجاهد : إني لَأَتَقِي الاخوان ، كما أَتَقِي أطايب الثمر .
وقال بعض الشعراء :

(١) التَّهْنِية : القل

إِنْحَضَ^(١) مَوَدَّتَكَ الْكَرِيمَ فَأَمَّا
وإِخَاءُ أَشْرَافِ الرِّجَالِ مَرُوءَةٌ
يَرْغَى ذَوَى الْأَحْصَابِ كُلِّ كَرِيمٍ
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِخَاءِ لُثَمٍ
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْبَيْمٍ :

وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حَرًّا فَأَمَّا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ
يَزِينُ وَيُزِرِي^(٢) بِالْفَتَى قُرْنَاؤُهُ
فَنَادِ بِهِ فِي النَّاسِ هَذَا جَزَاؤُهُ
وَرَوَى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ : لَا تَحْكُمُوا لِلرَّجُلِ بِشَيْءٍ
حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يَخَادُنُ .

وَقَالَ عَدَى بْنُ زَيْدٍ الْعَبَادِيُّ :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أَهْلَهُ
فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
وَقَالَ عَتَبَةُ بْنُ هُبَيْرٍ الْأَسَدِيُّ :

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
فَاخْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا
أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ
وَاخْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ
وَعَلَى الْفَتَى يَطْبَاعُهُ سِمَةٌ^(٣) تُلَوِّحُ عَلَى جَبِينِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُيَيْدٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيِّ :

وَمَنْ يَصَاحِبُ صَاحِبًا يُنْسَبُ إِلَى مُسْتَضْعَبَةٍ
بِزَانِيَاتٍ زُشْدِهِ أَوْ شَاتَاتٍ رِيَمِهِ

(١) انْحَضَ فَلَا الْوَدَّ أَوْ النَّصَحَ : أَخْطَأَهُ إِيَّاهُ

(٢) يَزِينُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ : يَزِينُ عَلَيْهِ

(٣) السِّمَةُ : الْعَلَامَةُ

ورأسُ امرٍ لا مرئى خيرٌ له من ذَنبِ
وذو النُهي لَيْسَتْ تَبَا عاتُ^(١) الهوى من أَرَبِ
وقال آخر: ولا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وإِيَّاكَ وإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى^(٢) حَلِيمًا حِينَ أَخَاهُ
وَالشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ مَقَامِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَامُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وأنشدني أبو العباس الشيباني لأبي آمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم :
وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فِي جُلُوسٍ فَاحْذَرِ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَقَعُدِ
وَذَرِ الْعَوَاةَ الْجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ يَذْكُرُونَكَ فَاقْعُدِ
فليؤاخ الأديب أكفاه ، وليصحب نظراه ، ومن يأمن من غدره ،
وغيب^(٣) أمره ، وبواثق^(٤) شره ؛ وأنى يكون ذلك ولن يجتمع إلا في أهل
الحياء ، فمنهم كرم الوفاء ، وإذا اجتمع الحياء والوفاء ، صَحَّ الإِخاء .
وقد أخبرني مخبرٌ عن عبد الله بن طاهر أنه قال : لا دواء لمن لا حياء له ،
ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ولا إخاء لمن أراد أن يجمع
بين أهواء أخلائه ، حتى يحبوا ما أحب ، ويكرهوا ما كره ، وحتى لا يرى من
أحد ختلا^(٥) ولا زلا ، ولا تفرطاً ، ثم أنشد :

طَلَبْتُ أَمْرًا مَخْضًا^(٦) صَحِيحًا مَسْلًا نَقِيًّا مِنَ الْآفَاتِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ

(١) التباعات : جمع التباعة : ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر
(٢) أردى الرجل : أسقطه
(٣) الغيبة
(٤) البواثق : جمع الباتقة : الداية ، أو الشر
(٥) ختله : خدعه
(٦) المخض : الخالص الصريح عمومًا .

لأمنحه وُدِّي فلم أُدرِك الذي طلبتُ ومَن لي بالصحيح المسلَّم
صبرتُ ومَن يصبرُ يحدِّثُ غِبَّ صبره ألدَّ وأشهى من جنى النحل في النعم
ومَن لا يَطِبُّ^(١) نفساً ويستتبقِ صاحباً ويفقرُ لأهل الوُدِّ يضرُم ويضرُم^(٢)
وقال محمود الوراق :

إلبسْ أخاك على تصنعِهِ فلربَّ مفتضحٍ على النصِّ
ما كذتُ أخفص عن أخى ثقةٍ إلا ذمتُ عواقبَ الفخصِ
وليصحب نظراؤه ، ومن يأمن غدره ، وغب أمره ، وبواتق شره .
وأنشدني محمد بن يزيد المبرد للبُطِيع بن لُبَّاس :
ولئن كنت لا تصاحبُ إلَّا صاحباً لا تزلُ ما عاش نَفْلُهُ
لا تجذبه ولو حرصتَ وأنى لك بالجلِّ ليس يوجدُ مثْلُهُ
وقال يونس بن عُبيد : أعيانُ شيثان : أخ في الله ، ودرهم خلال .
وقيل لبعض الحكماء : من أبعد الناس سفراً ؟ فقال : من كان في طلب
صديقٍ يرضاه .

وقال رجل للفضل بن عياض : ابغني رجلاً أحدثه سرى ، وآمنه على
أمرى . فقال : تلك ضالةٌ^(٣) لا توجد .

وأنشدني المهلب بنُ نفسه :
إلبسْ أخاك على ما كان من خُلُقٍ واحفظْ مودَّتَه بالغيبِ ما وصلَا
فأطولُ الناس عَمًّا من يريدُ أخاً ذا خُلَّةٍ^(٤) لا يرى في وُدِّه خلاً
وأنشدني أيضاً :

أقدمتُ بالله لا يتفكَّ متغفراً ذنبَ الصديق وإن عَمًّا وإن صرماً

(٢) صرمة : هجرة ، وقاطمة

(١) طابت النفس : أنشرح

(٤) الخلة : الصداقة

(٣) الضالة : الشيء المفقود الذي تسمى وراءه

والعمرُ يَقْصُرُ عَنْ هَجْرٍ وَعَنْ صَلَةٍ وَعَنْ تَجَنُّيٍّ وَعَنْ يُوْرَثِ السَّقَمَا
فَتَرْكُ مُصَارَمَةِ الْخُلَّانِ ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْ هَفَوَاتِ الْإِخْوَانِ ، وَالِاسْتِكْثَارُ
مِنَ الْإِخْلَا ، وَرَفْضُ مُعَانَدَةِ الْأَعْدَاءِ ، أَوَّلَى بِأَهْلِ الْأَدَبِ ، وَذَوِي الْمُرُوَّةِ
وَالْأَرْبِ ، وَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحَسَبِ .

وقد حكى الأصمعيّ قال : سمعت أعرابيا يقول لآخر له : أى أخى ، إن
الصديق يحول بالجفاء ، وإنى أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ،
فلا تزدحم فى أعدائك .

وقال عبد الله بن الحسن بن علىّ لابنه رضى الله عنه : إياك وعداوة
الرجال . فإنها لن تُعْدمَكَ مكرَ حليم ، أو مفاجأة لثيم

وروى أن سليمان بن داود قال لابنه : يا بُنَيَّ لا تستكثر أن يكون لك
ألف صديق : ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد
وروى أن على بن أبى طالب عليه السلام قال :

وَأَكْثَرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتَ لِنَهْمٍ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ
وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خُلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَ كَثِيرُ
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَّ إِلَى ذِي اللَّبِّ ، وَلَا أَحْسَنَ مَوْقِعًا فِي الْقَلْبِ ، مِنْ مُحَادَثَةِ

الْعُقْلَاءِ . وَجَالَسَةِ الْأَدْبَاءِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَفْتَقُّ بِهِ الْأَذْهَانَ . وَيَنْفَسِحُ بِهِ الْجَنَانُ ،
وَيَزِيدُ فِي اللَّبِّ ، وَيَحْيَا بِهِ الْقَلْبُ . كما قال بعض الشعراء :

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كُنَّا نَعُدُّهُمْ قَلِيلًا قَدْ صَارُوا أَقْلًا مِنَ الْقَلِيلِ

وقيل للحرقّة ابنة النعمان : ما كانت لذة أيبك ؟ فقالت : إدمان الشراب
وجالسة الرجال .

وقال عمرو بن مرة الجهني ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَصَحَّوْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وقال معاوية بن أبي سفيان لعمر بن العاص : ما بقي مما تستلذه ؟
فقال : مجالسة الرجال .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عدة من الصحابة رضي
الله عنهم ، من الأحاديث في الحث على صحة الإخوان ، والرغبة في الخلان ،
ما إن ذكرناه طال به الكتاب ، وكثر به الخطاب ؛ وسند ذكر بعض ذلك
ونختصره ، ونأخذ من أحسنه ما يكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى .

٤ - باب الحث على صحة الأمور

والإغراء على مودة الخلان ، والرغبة في أهل الصلاح والإيمان
رُوي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المرء على دين
خليله ، فليُنظر أحدكم من يُخال .

ورُوي عن أبي عمرو العوفي قال : كان يقال : اصحب من إن صحبته
زناك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك خصاصة ^(١) مانك ^(٢) ، وإن
رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سقطة سترها ، ومن إن قلت صدق
قولك ، وإن أصبت سدد صوابك ، ومن لا يأتيك بالبواقي ، ولا تختلف
عليك منه الطرائق .

وقال الفضل بن غسان البصري : كان يقال : اصحب من ينسى معروفه عندك
ورُوي عن معاوية بن قرة قال : نظرت في المودة والأخاء ، فلم أجد
أثبت مودة من ذى أصل .

(٢) مانه : قدم له مؤنته وقام بكنائته

(١) الخصاصة : الفقر

وأنشدونا لعمر بن عبد العزيز ، ولا يعرف له غير هذه الآيات :

إِنِّي لَأَمْنَحُ مَنْ يُوَالِصُنِي مَتَى صَفَاءَ لَيْسَ بِالْمَذَقِ^(١)
وَإِذَا أَخْتُ لِي حَالَ عَنِ خُلُقِي دَاوَيْتُ مِنْهُ ذَاكَ بِالرَّقِي
وَالْمَرْءُ يَصْنَعُ نَفْسَهُ وَمَتَى مَا تَبَلَّهُ يَنْزِعَ إِلَى الْعَرِيقِ
ومثله قول زهير بن أبي سُلي :
وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَأَمَّا

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيجُهُ^(٢)
وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
وَالْأَبْنُ يَنْشُو عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ
وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ الْكِنَانِيُّ :

عِنْدِي لِمَصَالِحِ قَوْمِي مَا بَقِيَتْ لَهُمْ حَمْدٌ ، وَنَمَّ لِأَهْلِ الذَّمِّ مَعْدُودُ
أَجْرِي عَلَى سُنَّةٍ مِنَ وَالِدِي سَبَقَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ^(٣) مَا يُنَبِّتُ الْعُودَ
وَأَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَخَاهُ لَهُ فَقَالَ : أَيُّ أَخِي ، أَخُ الْكَرِيمِ الْإِخْوَةَ ،
الْكَامِلِ الْمَرْوَةِ ، الَّذِي إِنْ غَبَتَ خَلْفُكَ ، وَإِنْ حَضَرَتْ كَنَفُكَ^(٤) وَإِنْ لَقِيَ صَدِيقَكَ
اسْتَزَادَهُ ، وَإِنْ لَقِيَ عَدُوَّكَ كَفَّهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ ابْتَهَجْتَ ، وَإِنْ تَأَيَّتَهُ اسْتَرَحْتَ .
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا رَزَقَكَ اللَّهُ مَوْدَّةَ امْرِئٍ مَسَلِمٍ فَتَشَبَّثْ بِهَا .
وَكَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ كَثِيرًا مَا يَتِمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّنَ إِخَاءَهُمْ وَتَقَقَّسَدَ

(٣) مذاق الود : شابه بكدر ولم يخلصه

(٢) الخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح .
الوشيج : شجر الرماح

(٤) كنف الشيء : صانه وحفظه

(٢) الارومة : أصل الشجرة

فإذا وجدتَ أخا الأمانة والتقى
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ فِي الرَّخَاءِ مُسَاعِدٍ
ومثل ذلك قول الآخر :

أَخٌ مِنْ أَخِيَّتٍ عَنْ خَيْرَتِهِ
لَا وَلَا الْأَجْسَامُ مَا لَمْ تَبْلُغْهُ
منه ما ليست له مَنَظَرَةٌ
وَرَى مِنْهُ أَيْقَانًا نَبَتْهُ
وقال آخر :

مَنْ حَمَدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ
ثُمَّ بَلَاهُمْ ذَمٌّ مَنْ يَحْمَدُ
وصار بالوَحْدَةِ مَسْتَأْنِسًا
يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ
وروى أن رجلا من عبد القيس قال لابنه : أَيْ بُنَى لَا تُؤَاخِ أَحَدًا
حتى تعرف موارد أموره ومصادرها ، فإذا استبطنت الخير ، ورضيت منه
العشرة ، فأخه على إقالة العثرة ، والمواساة عند العُصرة .

وأنشدني محمد بن يزيد المبرّد :
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيْظِي
عَلَى حَتَّى وَأَشْرَقَتْ بَرِيقِي
غَفَرْتُ ذَنْبِي وَكَطَمْتُ غِيْظِي
عَنَاءَةً أَنْ أَكُونَ بِإِلَى صَدِيقِي
وأنشدني لبشار بن بُرْدِ الْمُعْتَمِلِي :
أَخْوَكَ الَّذِي لَا يَنْقُضُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ
وَلَا عِنْدَ صَرْفِ الدَّهْرِ يَزْوَرُ^(١) جَانِبُهُ
تُخَذُّ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوُ وَاغْفِرْ ذَنْبِي
وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَجَانِبُهُ
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُمَاكِبُهُ

(١) الطور : جمع الطرة ، الجهة

(٢) النور : الضيف

(٣) ازود عن كذا : عدل وانحرف

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ^(١) ظمئت وأى الناس تصفون مشكربته
وقال آخر :

ومن لا ينمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يموت وهو عابث
ومن يتتبع جاهداً كل عسرة يحذها ولا يسلم له البحر صاحب
وأشدنى أحمد بن يحيى لسعيد المساحق :

فخذ عفو من أحبت لا تبرمته فعند بلوغ العذر رقت ^(٢) المشارب
وقال أبو الأسود الدؤلى :

ولست مستيقياً أخاك لا تصفح عما يكون من زلة
من ذا الذى هذبت خلاقه فى ريشه ^(٣) إن أتى وفى عجلة
لا أصحب الخائن اللئيم ولا أقطع وصل الخليل من ماله
أجزيه بالمعرف ما حيت ولا يعدم صفحى للشر من صمله
ومثله قول النابغة الذبياني :

ولست بمستيقٍ أخاً لا تلمه على شعث ، أى الرجال المذهب
وأجاد والله الذى يقول :

إذا ما أذاني مفصل قطعته بقيت ومالى للنهوض مفصل
ولكن أدويه فإن صح كانى وإن هو أدوى ^(٤) كان فيه تحامل ^(٥)
وأشدت لرجل من طي :

أرخص على الناس ثوب سترهم أو اجن حلو الثمار من شجره

(١) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه

(٢) رقت الماء : اختلط فيه الطين فكدر .

(٣) الريث : مقدار الملة من الزمن ، قال : أمهله ربنا فل ذلك ، أى مقدار ما فعل ذلك .

(٤) أدواه : أضره . (٥) تحامل فى وبالامر : تكلفه على مشقة .

وَاسْتَبَقَ مَا لَمْ تَرِدْ قَطِيعَتَهُ يَسْتَرِهِ مَا اسْتَقَرَّ فِي سِتْرِهِ
فَرُبَّ بَاكِيٍّ الْجِيلِ مِنْهُ إِذَا قُتِرَ أَبَدَى التَّفَتِيشِ عَنْ عَوْرَةِ
وَاسْتَصْلَحَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ وَلَا تُسْرِعْ إِلَى ضَرٍّ مُبْتَغَى ضَرَرِهِ
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَحَبُّ أَخَوَانِي إِلَى أَخٍ إِنْ
غَبَتْ عَنْهُ عَذْرَتِي ، وَإِنْ جَسَتْ قَبِيلَتِي

وَقِيلَ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَى إِخْوَانِكَ أَوْجِبَ عَلَيْكَ حَقًّا ؟ قَالَ : الَّذِي
يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَيَغْفِرُ زَلَّتِي ، وَيَقِيلُ عَثْرَتِي

وَقَالَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ :
إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْ بَ وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلُهُ
لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَلَالَةَ إِفْكًَا وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فَضْلُهُ
وَصَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمٌ وَيَوْمٌ يُضْمِرُ الْمَجْرِمَ يَنْبِتُ حَبْلُهُ ^(١)
وَأَحَقُّ الرِّجَالِ أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْ بَ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤَفَّرُ عَقْلُهُ
وَفِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ كَثِيرُ بَأْخِيهِ

وَكُتِبَ لِأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَاذْأَقْدَمَ عَلَيْكَ ، أَخُ
مُوَافَقِكَ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ ، كَانَ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ ، فَإِنَّ الْآخَ الْمُوَافِقَ ، أَفْضَلَ مِنْ
الْوَلَدِ الْمُخَالَفِ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَرَ فِي طَلَبِ الْإِخْوَانِ ،
وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مِنْ ظَفَرٍ بِهِ مِنْهُمْ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصَّدَقِ فَكَتْسُ بَوْمٍ ، فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي
الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ

وسئل بعض الحكماء: أى الكنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله، فالأخ الصالح.
(واعلم) أن خير الإخوان من كانت إخوته ومحبه في الله، ولم تكن
خُلَّتُهُ^(١) ولا مواخاته لطمع قليل، ولا لغرض عاجل، وليس شيء بذوى
العقول، وأهل الديانات والفضل: أفضل من إخلاص المودة في الله، ولعمري
أن ذلك يحسن بجميع أهل الملل والأديان، وهو من أوثق عرى الإيمان،
وقد روى فيه أحاديث كثيرة، اقتصرنا على بعضها، واختصرنا من أحسنها،
وفي البعض كفاية إن شاء الله.

٥ - باب صفات المتحابين في الله عز وجل

رُوى عن البراء بن عازب أنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال: أندرون أى عرى الإيمان أوثق؟ قلنا: الصلاة. قال: إن الصلاة
لحسنة، وما هي بها. قلنا: الزكاة. قال: وحسنة، وما هي بها. فذكروا شرائع
الاسلام. فلما رأهم لا يصيبون. قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله
وتُبغض في الله

وأخبرني أبي رحمه الله بإسناد ذكره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لعمودا من ذهبٍ عليه منابر من زبرجد
تضيء لأهل الجنة كما يضيء الكوكب الدرّى في أفق السماء؛ قلنا: لمن هذا
يا رسول الله؟ قال: للمتحابين في الله^(٢)

(١) الجنة: الصدقة.

(٢) الكوكب الدرّى (بتثنية الدال): الثاقب المضئ كالنور. وقد روى الحديث
بالجامع الصغير للحافظ السيوطي: «إن في الجنة لعموداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد
لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرّى يسكنها المتحابون في الله تعالى والمتجالسون
في الله تعالى والمتلاقون في الله».

وَرَوَى أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تَحِبَّ
فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الْإِيمَانُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا
نَسَبٌ قَرِيبٌ، وَلَا مَالٌ أُعْطَاهُ إِيَّاهُ، لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَرَوَيْنَا عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاقِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَطُولُ اللَّيْلَةُ عَلَى أَحَدِهِمَا حَتَّى
يُرى أَخَاهُ

وَرَوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَمَلْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لِقَاءُ الْأَخْوَانِ جِلَاءُ الْأَحْزَانِ

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْقَى: لِقَاءُ الْأَحِبَّةِ مِثْلَةُ الْمَهْمِ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَمَّ جِلَاءُ حَزَنِي

وَرَوَى عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ: مَنْ أَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، وَأَحَبَّ اللَّهَ،
وَأَبْغَضَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ

وَقَدْ كَانَتْ الْحِكْمَاءُ تَقُولُ: إِنَّ مَا يُجِبُّ لِلْإِخِّ عَلَى أَخِيهِ مَوَدَّتُهُ بِقَلْبِهِ،
وَتَزِينَتُهُ بِلِسَانِهِ، وَرِفْدُهُ^(١) بِأَمَالِهِ، وَتَقْوِيمُهُ بِأَدَبِهِ، وَحَسْنُ الذَّبِّ^(٢) وَالْمَدَافَعَةِ
عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ.

وَأَنشدني أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُبْغِضْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَائِبًا يَوْمًا كَمَا هُوَ شَاهِدُهُ
فَلَا خَيْرَ فِيهِ فَالْتَمَسْ غَيْرَهُ أَخَا
فَإِنْ غَيْبَتْ يَوْمًا أَوْ شَهِدَتْ فَوْجَهُ
كِرِيمًا عَلَى وَصْلِ الْكَرِيمِ تَمَاهِدُهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاجِدُهُ

(٢) ذَبَّ عَنْهُ: دَفَعَ وَحَامَى

(١) الرِّفْدُ: الْعَنَاءُ وَالْمَعُونَةُ

أُنشدني أحمد بن يحيى ، لكثير عزة :

وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبتُ عنه باعنى بخليل
ولكن خليلي من يدوم وفاؤه ويحفظ سري عند كل دخيل
ولست براضي من خليلي بناتيل قليل ولا أرضى له بقليل
وأُنشدني بعض الأدباء ، قال : أُنشدني أعرابي ببلاد نجد :

وليس خليلي بالمزجي^(١) ولا الذي إذا غبتُ عنه كان عوناً مع الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني إن كان من ذوي البحر
وأُنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي :

تودُّ عدوى ثم زعمُ إنني أودك ، إن الرأي عنك لعازب^(٢)
وليس أخى من ودني رأى عينه ولكن أخى من ودني وهو غائب
وأُنشدني يوسف الأعور قال : أُنشدني يعقوب بن السكيت
لأوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويؤذيك مقبلاً
ولكن أخوك النائي ما كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً^(٣)
وأُنشدني أبو العيلاء ، قال أُنشدني الجاحظ :

أخوك الذي إن سرك الأمر سره وإن غبت يوماً ظلّ وهو حزين
يقرب من قرئت من ذي مودة ويقصى الذي أقصيته ويهين
وأُنشدني أحمد بن يحيى :

إذا أنت راقت الرجال فكُن قَيَّ كأنك ملوك لكل رفيق

(٢) عزب فهو عازب : بعد وغاب .

(١) المزجي : الضميف .

(٣) أعضل الأمر : اشتد واستغلق .

وَكُنْ مِثْلَ طَعْمِ الْمَاءِ عَذْبًا وَبَارِدًا عَلَى الْكَئِيدِ الْحَرَّى^(١) لِكُلِّ صَدِيقٍ
وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَا تَأَلَّفَ بِهِ النَّاسَ قُلُوبَ أَخْلَاقِهِمْ، وَتَقْوَاهُ لِلصَّنْعِ^(٢)
عَنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ، الْبِشْرُ بِهِمْ عِنْدَ حُضُورِهِمْ، وَالتَّقَدُّ لِأُمُورِهِمْ، وَحَسَنُ
الْبِشَاشَةِ، فَذَلِكَ يُنْبِتُ الْحُبَّةَ وَالْإِخَاءَ؛ وَمِنْهُ أَحَادِيثٌ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا،
وَقَصَدْنَا فِيهَا فِيهِ قِنَاعَهُ.

٦ - بَابُ الْبِشَاشَةِ بِالْوُضْعِ

والصبر على تألف قلوب ذوى الأضغان

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي يَبِينُكَ وَيَبِينُهُ عِدَاؤُهُ سَكَأَتْهُ وَلِيَ حَيْمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).

وَقَالَ تَعَالَى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : رَأْسُ الْعَقْلِ
بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ^(٣)

وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ الْكَرَمُ وَالْبَذْلَةُ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ
وَرَوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فَقَالَ : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ مِنْذُ
أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَى فِي الْأَتْبَاعِ فِي وَجْهِهِ.

(١) الحرى : الشديد العطش . (٢) الصنع : الحقد .

(٣) روى بالجامع الصغير : رأس العقل بعد الإيمان بآفة التودد إلى الناس واصطناع
الخير إلى كل بر وفاجر .

وقال المنصور : اذا أُجِبتَ المحمّدة من الناس بلا مؤونة ، فآلقهم
ببشر حسن .

ورُوي عن كعب الأخبار قال : مكتوب في التوراة : ليكن وجهك سبطاً ،
تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .

وأشدني أبو علي العنزي :

إلني بالبشر من لقيت من النّاس من جميعاً ولاقيهم بالطلاقة
تجن منهم به جني ثمار طيب طعمه لذيق المذاقة
ودع التيه والعُبوس عن النّاس من فإن العُبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادي عاديست صديقاً وقد تُعز الصدّاقة
أشدني لبعض بني طيء :

خالق الناس بخلق واسع لا تكن كلباً على الناس تهر
والقهم منك ببشر ثم كن للذي تسمع منهم مفتقر
وقال أبو العاتية :

والن جاحك تعفّد في الناس محمّدة يمينه
قرّبما اختقر الفتى من ليس في شرف يدونه

وكان يقال : أول المروة طلاقة الوجه ، والثانية التودّد إلى الناس ،
والثالثة قضا حوائج الناس .

وروي أن أعرابياً قال : يارسول الله ، إنّا من أهل البادية ، فنجب أن
تعلنا عملاً لعل الله أن يفتننا به . قال : لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن
تقرغ من دلوك في إناء المستقي ، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منطلق
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لن تسعوا الناس بأموالكم ،
فدعوم ببسط الوجه والخلق الحسن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : تامل تحياتكم المصافحة .

وقال الحسن البصري : المصافحة تزيد في المودة

وروى مجاهد عن مُعَاذٍ قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا تَقَيَّأَ فَضَحَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَدَهُ تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتَّتْ وَرَقُ الشَّجَرِ ^(١) وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا صَلَحَتِ النَّيَّاتُ ، وَخَلَصَتِ السَّرِيرَاتُ ، صَلَحَتِ أَصْفِيَّةُ ^(٢) الْمَوَدَّةِ ، وَتَثَبَتِ الْحُبَّةُ ، وَانْفَقَتِ الْقُلُوبُ ، وَاغْتَفِرَتِ الذُّنُوبُ ؛ وَإِذَا قَدَّتِ النَّيَّاتُ ، وَخَبِثَتِ السَّرِيرَاتُ ، بَطَلَ خَالِصُ الْإِخَاءِ ، وَانْحَلَّتْ عُرَى ^(٣) الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ ؛ وَقَدْ شَرَحْتُ فِي ذَلِكَ بِأَبَا ، تَقَفَّ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

٧ — باب انقاس القلوب

على مودة الصديق ، وقلة الخلاف على الرفيق

رُويْنَا عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ الْوَلِيدِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مَجْنُونَةٌ ، فَاتَعَارَفَ مِنْهَا اتِّلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ ^(١) اخْتَلَفَ .

وقال بعض الشعراء :

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مَجْنُونَةٍ لله فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعْرِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهِيَ مُؤْتَلِفَةٌ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ
وَقَالَ طَرَفَةُ :

وَأَنْ أَمْرًا لَمْ يَغْفُ يَوْمًا فُكَاهَةً لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سِوَاهَا لَجْهُولُ

(١) تحات الورق من الشجر : تناثر .

(٢) أصنى فلانا الود ، وأصنى له الود : أخلصه له .

(٣) الرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٤) تناكر القوم : عادوا وأنكر بعضهم بعضا .

تَعَارَفُ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا تَلَقَّوْا فَنَهَمَ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ
وكان يقال : المودة قرابة مستفادة .

وقيل لخالد بن صفوان : أخوك أحب إليك ، أم صديقك ؟ فقال : إن
أخي إذا كان غير صديق لم أحبه .

وروينا عن واصل مولى ابن عيينة قال : كنت مع محمد بن واسع بمرو ،
فأتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمد : أى عمل فى الدنيا
أفضل ؟ قال صيحة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان ، إذا اصطحبوا على الأمن
والتقوى ، فحينئذ يذهب الله بالخلف من بينهم ، فواصلوا وتواصلوا .

وروى عن بشر بن السرى قال : ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبك
وقال عبد الله بن صالح : اجتمعت أنا ومحمد بن نصر الحارثى ، وعبد الله
ابن المبارك . وفضيل بن عياض ، فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمد بن نصر
علينا فى شيء أصلا . فقال له عبد الله : ما أقل خلافاك ! فقال محمد :

وَإِذَا صَاحِبْتَ فَاصْحَبْ مَا جَدَا ذَا حَيَاءٍ وَغَفَافٍ وَكَرَمٍ
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ : لَا ، إِنْ قُلْتَ : لَا وَإِذَا قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : نَعَمْ
وقال آخر :

هُمُومٌ رِجَالٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمَى مِنَ الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُسَاعِدٌ
إِذَا غِيَتْ عَنْهُ لَمْ أَغِبْ عَنْ صَبِيرِهِ كَأَنِّي مُقِيمٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَاهِدٌ
نَكُونُ كَرْوَجَ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فُرْقَا لَجْنَتَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ
وَأُنَشِدُنِي آخِرَ :

وَالْقَيْنِ كَالنَّصْنَيْنِ ضَمَّهُمَا الْهَوَى فَرَوَحَاهُمَا رُوحٌ وَقَلْبَاهُمَا قَلْبٌ
إِذَا غَابَ هَذَا سَاعَةً عَنْ خَلِيلِهِ بَحَلَّاهُ يَوْمًا عِنْدَ فِرْقَتِهِ كَرَبٌ
فَيَأْمَنُ رَأَى الْقَيْنِ صَانَا هَوَاهُمَا فَبِذَا يَبْذَا صَبٌّ وَهَذَا يَبْذَا صَبٌّ

وَأَنْشِدْتُ لِلْحَكَمِيِّ :

رُوحَهَا رُوحِي وَرُوحِي رُوحَهَا وَلَهَا قَلْبٌ وَقَلْبِي قَلْبُهَا
فَلَنَا رُوحٌ وَقَلْبٌ وَاحِدٌ حَسْبُهَا حَسْبِي وَحَسْبِي حَسْبُهَا
ولعمري إن ذلك لحسن جميل ، والذي قيل في ذلك كثير طويل .
وقد نهى قومٌ عن استعمال الميل في المودة ، واعلم أن ذلك مع دوام المحبة ،
وصفاء المودة ، لحسن غير مدفوع ؛ غير أنه قد نهى عن استعمال الميل في المودة ،
وكثرة الإفراط في المحبة ، وإدمان الزيارة في كل يوم وساعة ، لموضع الملل
والسلوان ، الذي هو طبع الانسان ، وأمرنا بالقصد في كل الأمور ، بدوام
المحبة والسرور ، وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مفتح .

٨ — باب النهي عن استعمال الإفراط في حب الصديق

رُوى عن بعض الحكماء أنه قال : لا يفرط الأديب في محبة الصديق ،
ولا يتجاوز في عداوة العدو ، فإنه لا يدري متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ،
ولا متى تنتقل عداوة العدو صداقة .

وحكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : أحب حبيبك
هو نأماً^(١) عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هو نأماً ، عسى
أن يكون حبيبك يوماً ما .

ورُوى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لا يكن حبك كلفاً ،
ولا بغضك تلفاً .

ومن أمثال أكثم بن صفي : الاقتباس من الناس مكسبة للعداوة ،
وإفراط الأنس مكسبة لللال . قال أبو عبيدة : يريدان الاقتصاد أدنى إلى السلامة .

(١) أحب حبيبك هو نأماً . . . أي حبا مقتصدا لا إفراط فيه ، وإضافة ما
تفيد التقليل ، يعني لا ترف في الحب والبغض فمضى أن يصير الحبيب بغيضا والبغض
حبيباً ، فلا تكون قد أسرفت في الحب فتقدم ولا في البغض فتستحي .

قال أبو زيد : من أمثالهم : لَا تَكُنْ حُلُومًا قَسَرَطَ^(١) وَلَا مَرًّا أَشَقَى^(٢)
أى تُلَقِظْ مِنَ الْمَرَارَةِ .

ومثله قول مُطَرِّفِ بْنِ الشَّخِيرِ : الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، وَخَيْرُ
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

وكان يقال : لَا تَهْذِرْ فِي مَنْطِقِكَ ، وَلَا تُخْبِرْ بِذَاتِ نَفْسِكَ ، وَلَا تَفَرَّ
بِعَدْوِكَ ، وَلَا تَفِرْ فِي حُبِّ صَدِيقِكَ ، وَلَا تَفِرْ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ، وَلَا
تَأْتِ مَنْ لَا يَرْشُدُكَ ، وَلَا تَبْغِضْ مَنْ لَا يَنْصَحُ لَكَ ، فَإِنَّ شَرَّ الْأَخْلَاقِ مَلَالَةُ
الصَّاحِبِ ، وَتَقَرُّبُ الْمُبَاعَدِ .

وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ الْكِنْدِيُّ :
وَكُنْ مَعْدَنًا لِلْجِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأِي مَا عَلِمْتَ وَسَامِعُ
وَأَجِيبْ إِذَا أُجِيبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغِضْتَ غَيْرَ مُبَاعِدٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى لِسَعِيدِ الْمَسَاحِقِيِّ :

فَهَوِّنْكَ فِي حُبٍّ وَبَغْضٍ فَرَبَّمَا يَرَى جَانِبٌ مِنْ صَاحِبٍ بَعْدَ جَانِبٍ
وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَأَحْسِبُهُمَا لَهُ :
إِذَا أَنَا أَكْرَمْتُ الْيَتِيمَ فَعُدْنِي مَيْمَنًا لَهُ حَقَّقْتُ بَاطِلًا مَا عَدَا
فَإِنَّ صَلَاحَ الْأَمْرِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فُسَادًا إِذَا الْإِنْسَانُ جَزَتْ بِهِ الْحُدَا
وَهَذَا طَوِيلٌ يُقْنَعُكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ .

وَأَمَّا طَوْلُ الزِّيَارَةِ ، فَقَدْ يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الصَّدَاقَةِ تَرْكُ الْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهَا ،
وَكثرةُ الْجَنُوحِ^(٣) إِلَيْهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْلُقُ الْحُبَّ ، وَيَذْهَلُ الصَّبُّ ، وَيَضْجُرُ

(١) سُرَطُ الثَّيِّ : ابْتَلَمَهُ . (٢) عَنِ الْأَمْرِ : كَرِهَهُ . وَأَعْنَى : صَارَ مَرًّا .

(٣) جَنَعَ إِلَيْهِ : مَالَ .

المزور ، وبعدم السرور ، وبوقوع البذل ، وببدي الملل ؛ وقد شرحنا في ذلك بابا فاعرفه وقف عليه إن شاء الله تعالى

٩ - باب الأمر باغلب زيارة الأوصياء

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : زُرْغِبًا تَزِدُّ حُبًّا

وقال بعض الحكماء : من كثرت زيارته قلت بشاشته

وقال آخر : من أدام زيارَةَ الأصدقاء : عَدِمَ الاحتشادَ عند اللقاء . وقال آخر :

أَقْلِيلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقِ قَدْ تَكُونُ كَالثُّوبِ اسْتَجَدَّهُ

إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِأَقْلَالِ الزَّيَارَةِ إِنَّمَا تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْبَحْرِ مَسْلُكًا

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَطْرَ يُسَامُ دَائِبًا وَيُسْأَلُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ ^(١)

وأنشدني لأبي تمام ، حبيب بن أوس :

وَطُولَ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ غُلُوقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاعْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ ^(٢)

فَلَمَّا رَأَيْتُ الشُّمْسَ زَيْدَتْ حَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ ^(٣)

وأنشدني لأبراهيم بن المهدي :

إِنِّي كَثُرْتُ عَلَيْهِ فِي زِيَارَتِهِ وَالثَّيِّبُ مُسْتَنْقِلٌ جِدًّا إِذَا كَثُرَا

وَرَأَيْتُ مِنْهُ أَنِّي لَا أَزَالُ أَرَى فِي طَرَفِهِ قِصْرًا عَنِّي إِذَا ظَنَرَا ^(٤)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

(٢) غلق : بال أو غمق . الديباجة : الخد .

(١) القطر : المطر .

(٤) الطرف : العين .

(٣) السرمد : الدائم .

لَا نَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا^(١)
وَصِلِ الصَّدِيقَ إِذَا كَلَفْتَ بِحُبِّهِ^(٢) وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا^(٣)
فَلَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لَا يَلُ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ^(٤) فَيَقُولُ آهَ وَطَالَ مَا لَنِي^(٥)
وَقَالَ آخِرُ :

أَغْبَى الزِّيَارَةَ لَمَّا بَدَأَ لَهُ الْهَجْرُ أَوْ بَعْضُ أَسْبَابِهِ
وَمَا صَدَّ هَجْرًا وَلَكِنَّهُ طَرِيدٌ مَلَالَةً أَحْبَابِهِ
وَكُتِبَ بَعْضُ الظَّرْفَاءِ رُقْعَةً وَطَرَحَهَا فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
حَيْثُ حُرِّمَ الْقِيَانُ :

عَرَمَاتُ الْأَمِيرِ أَصْلَحَهُ إِلَّا هُ يُحْسِنُ الْإِرْشَادَ وَالتَّوْفِيقَ
بَاعَدْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُجَابٍ وَمُدِيرِلٍ وَمُنْصِفٍ وَصَدِيقٍ
فَوَقَّعَ مُحَمَّدٌ فِي ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
حُسْنَ رَأَى الْأَمِيرَ فِي الْعَشَاقِ وَفَرَّ الْحِظَّ فِي بَعَادِ التَّلَاقِ
خَافَ أَنْ يَمُحِّثَ الْوِصَالَ مَلَالًا فَتَلَاقَى الْهَوَى بِبَعْضِ الْفِرَاقِ
وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا وَإِلَى حَيْنٍ أَغْيَبُ صَبًّا

(١) الرب :- مفعول ثانٍ لتجعلن . ويطلق في اللغة على المالك والسيد والدمير والرب
والقيم والمنعم .

(٢) كلف به :- أحبه حباً شديداً وأولع به :- وىروى :- إذا سفت به . واطو الزيادة :
أطفاها . غب غيًّا :- جاء زائراً بعد أيام ، وغب عنه وعليه :- أنه يوماً وتركه آخر .

(٣) مل الشيء :- شمه وضجر منه ، آه :- توجع . لي :- أجب النداء وىروى :-
لا يمل يملك ثم تدعو باسمه فيقول آه وطالما لي

فهِجَرْتُ لَا لِمَلَالَةٍ حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَعْدَدْتُ ذَنْبًا
 إِلَّا لِقَوْلِ فَيِّنَا زُورُوا عَلَى الْآيَلَامِ غِيَا
 وَلِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِيَا مَا مِنْكُمْ يَزْدَادُ حُجَا
 وَهَجَرْتُ حِينَ هَجَرْتُ كَيَّ أَرْدَادَ بِالْمِجْرَانِ قَرِيَا
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَكَ أَخْلَصُ الثَّقَلَيْنِ قَلْبًا^(١)
 أَرْغَى لَكَ الْوُدَّ الْقَدِيدَ مَ وَإِنْ جَنَيْتَ عَلَى حَرْبَا
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ الْعَتَابِيَّ دَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ ، وَكَانَتْ
 لَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : خُلُوبٌ ، تُجَالِسُ الْأَدْبَاءَ ، وَتَتَأَمَّلُ الشُّعْرَاءَ ، قَالَتْ لَهَا :
 سَلِيهِ لَا يَطَّأُهُ عَنَّا جَائِزَةٌ ، فَقَالَتْ لَهُ : قُلْ عَلَى هَذِهِ الْقَافِيَةِ .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى قُورٌ مُتَوَارِا^(٢) وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حُبًّا قُورٌ غِيَا
 فَأَنَا يَقُولُ :

بَقِيتُ بِلَا قَلْبٍ لِأَنِّي هَامٌ فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ يَا خُلُوبُ بِكُمْ قَلْبًا
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ أَنَّكَ مُنْتَقِي فَكُونِي لِعَيْنِي حَيْثُ مَا ظَهَرَتْ نَضَا
 عَسَى اللَّهُ يَوْمًا أَنْ يُرِيْفِيكَ خَالِيَا فَأَجْنِي بِلَحْظِي مِنْ عَاسِكُمْ نَجَا
 يَقُولُونَ لَا تَكْثِرْ زِيَارَةَ صَاحِبٍ فَانْكَ أَنْ أَكْثَرْتَهُ كَرِهَ الْقَرِيبَا
 وَكَيْفَ يُطْلِقُ الصَّبُّ سُلُوَانَ حَبِيَّةٍ إِذَا كَانَ مَشْعُورًا قَدْ اسْتَشْمَرَ الْكَرْبَا^(٣)
 وَقَدْ قَالَ يَتِيمًا مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ خَلِيٌّ مِنَ الْأَحْزَانِ لَمْ يَذُقْ الْحُبَّاءَ
 إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى قُورٌ مُتَوَارِا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حُبًّا قُورٌ غِيَا

(١) الثَّقَلَانِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ .

(٢) قَلَى الرَّجُلُ : أَبْغَضَهُ . وَانْزِلَ الْكِتَابُ : أُرْسِلَ مِنْهَا فِي أَثَرِ بَعْضٍ ، وَبُرِيدَ أَنْ
 تَكُونَ الزِّيَادَةُ مُتَوَاصِلَةً .

(٣) شَفْهُ الْحَبِّ : غَشَى قَلْبَهُ وَغَلَبَهُ .

فقال له : قد أبوك أحسنتَ ، خذ يدها فمى لك ، وأمر له بألف درهم .
واعلم أن كلَّ ما رسمناه في هذه الأبواب ، وذكرناه . وشرطناه على
الآدياء ، ووجدناه داخلا في باب حدود الأدب على ما أصبناه غير خارج منه ،
ولا منفصل عنه ، وأن يكون الآديب عاقلا ، واللييب كاملا ، حتى تكون
له مودة قد قرننا بأدبه ، وثابر عليها في طلبه ، فاذا جمع ذلك ، رَهَبَ منه
الآعداء ، ورَغِبَ فيه الآدياء .
وسنذكر من أنشأته المروءة ما يكون فيه بلاغ وهداية ، إن شاء الله تعالى .

١٠ - باب شرائع المروءة وصفها

اعلم أن المروءة هي عماد الآدياء ، وعناد^(١) العقلاء ، يرأس بها صاحبها ،
ويشرف بها كاسبها ، ولا شيء أزين بالمرء من المروءة ، فهي رأس
الظرف والفتوة .

وقد قال بعض الحكماء : الأدب يُحتاج معه إلى المروءة ، والمروءة لا يحتاج
معه إلى الأدب ، وربما رأيتَ ذا المروءة الخامل ، وذا السخاء الجاهل ، قد
غطت مروءته على عيوبه ، وستره سخاؤه من معيبه .
وأهل المروءات محسودة أفعالهم ، متبعة أحوالهم ، وقل ما رأيتَ حاسداً
على أدب ، وراغباً في أرب .

من ذلك ما حكى عن محمد بن حرب أنه قال : كنتُ على شُرطة جعفر
بالمدينة ، فأثيت بأعرابيٍّ من بني أسد يُستعدى^(٢) عليه ، فرأيتُ رجلاً له بيان ،
يَحتمل الصنعة^(٣) فرغبتُ في اتخاذاها عنده ، فتخلصتُ ، ثم لم يلبث أن رُدَّ

(١) العناد : ما أعد لأمر ما .

(٢) استعدى الرجل : استعان به . (٣) الصنعة : الإحسان .

إلى قلت : حَاسٍ ، فقال لي : حاس واقع ، قلت : ما أرجعك ؟ قال : الشر ، وما قاله رجل منّا يقال له خالد ، فأنشدني :

عَادَا مَرُوتَنَا فَضُلَّ سَعِيهِمْ وَلِكُلِّ يَتِّ مَرُوءَةٍ أَعْدَاهُ

لَنَا إِذَا عُدَّ الْفَخَّارُ كَعَشْرِ أَزْرَى بِفَعْلِ أَبِيهِمِ الْآبَاءُ

قال : فتخلّصتُ ثانية .

وقيل لبعض حكماء الفُرس : أى شيء للمرؤة أشد تهجيناً ؟ قال : للبلوك صغرٌ في الحِمة ، وللعامة الصلفُ ، وللفقهاء الهرى ، وللنساء قلة الحياء ، وللعامة الكذب ، والصبر على المروءة صعبٌ ، وتحملها عبثٌ .

وقد قال خالد بن صفوان : لولا أن المرؤة اشتدت مؤونتها ، وتقل حملها ، ماترك اللثام للكرام منها شيئاً ، ولكنه لما نقل حملها ، واشتدت مؤونتها ، حاد عنها اللثام ، فاحتملها الكرام .

وقال بعضهم : المكارم لا تكون إلا بالمكاره ، ولو كانت خفيفة لتناولها السفلة بالقلبة .

وقال ابن عمر : ما حمل رجل خيلاً أثقل من المرؤة ؛ فقال له أصحابه : صف لنا ذلك . فقال : ماله عندي حدٌ أعرفه إلا أنى ما استحييتُ من شيء قط علانية إلا استحييتُ منه ميراً .

وقام رجل من بني مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أأست أفضلَ قومي ؟ فقال : إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإن لك مال فلك حسبٌ . وإن كان لك دين فلك تقى ، وإن كان لك تقى فلك دين .

وروى الهلالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من قهيف

ما المروءة فيكم؟ قال : الصلاحُ في الدين ، وإصلاحُ المعيشة ، وسخاءُ النفس ،
وصلةُ الرحم ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذلك هي فينا .
وقال عمر بن الخطاب : المروءةُ الطاهرة ، الثيابُ الطاهرة ، يعنى النقيّة
من الذنوب .

وقيل للأخف : ما المروءة ؟ قال : إصلاحُ المعيشة ، واحتمالُ الجريرة .
وقال معاوية لصمصعة بن صفوان : ما المروءة قال : الصبر على ما ينوبك ،
والصمت حتى تحتاج إلى الكلام .
وقال محمد بن علي بن الحسين : كمال المروءة الفقه في الدين ، والصبر على
النوائب . وحسن تقدير المعيشة .

وقال معاوية لرجل من عبد القيس : ما تعدّون المروءة فيكم ؟ قال :
العفة والحِرّة .
وقيل لأبي زهرة : ما المروءة ؟ قال : إصلاحُ الحال ، والزناةُ في المجالس ،
والغداء والعشاء بالافنية .

وقال عمر بن الخطاب : حسب المرء ماله ، وكرمه دينه ، وأصله عقله ،
ومروءته خلقه .

وقال علي بن أبي طالب : مروءة الرجل حيث يضع نفسه .
وقال عبد الله شُمَيْطُ بن بَجْلان : سمعتُ أيوبَ البسجستاني يقول : لا يُبَلِّ
الرجل حتى تكون فيه خصّتان : العفة عن الناس ، والتجاوز عنهم

وقال مسلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان ، الرياسة والفصاحة
وكان يقال : ثلاثٌ تفسد المروءة ، الالتفاتُ في الطريق ، والشحُّ ، والحِرص
وقال عمر بن هبيرة : عليكم بمباكرة الغداء ، فإن في مباكرة الغداء
ثلاث خلال : يطيبُ التَّكَبُّة ، ويُطْفِئُ المرّة ^(١) ، ويُعين على المروءة ؛
(١) المرّة : خط من أخلاط البدن ، وهو الصفراء أو السوداء . والجمع : مرار .

قيل : وما إغاثته على المروءة ؟ قال : لا تتوق النفس إلى طعام غيره .
وقال سلم بن قتيبة : لا تتم مروءة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدُّرد^(١)
وسأل ابن زياد رجلاً من الدهاقين^(٢) : ما المروءة فيكم ؟ قال : أربع خصال .
أن يعتزل الرجل الرِّية ، فلا يكون في شيء منها فانه إذا كان مُريباً كان ذليلاً ،
وأن يُصلح ماله ، فإن من أفسد ماله لم تكن له مروءة ، وأن يقوم لأهله
بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره ، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم
تكن له مروءة ، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فإن المروءة
ألا يخط على نفسه في مطعمه ولا مشربه
وكان يقال : ثلاث من المروءة : تعاهد الرجل إخوانه ، وإصلاحُ معيشته ،
وإقالته^(٣) في منزله

وسئل العتّابي عن المروءة ، فقال : إخفاء مالا يُستحي من إظهاره ،
ومواظاة^(٤) القلب اللسان

ويروى عن عبد الله بن بكر السهمي أن عبد الملك بن مروان دخل على
معاوية ، وعنده عمرو بن العاص جالس ملياً ثم انصرف . فقال معاوية : ما أكمل
مروءة هذا الفتي ، وأخلفه أن يبلغ . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين إن هذا
أخذ بمخلاق أربع ، وترك ثلاثاً ، أخذ بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن
الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لقي ؛
وترك مزاح من لا يؤثق بعقله ولا دينه ، وترك مخالفة لئام الناس ، وترك
من الكلام ما يُتذمر منه

(١) الدرد : جمع أدرد وهو من ذهب أسنانه .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو رئيس الإقليم .

(٣) نومه في الظهيرة . (٤) المواظاة : المواظفة .

(فهذه) جملة شرائع المروءة لا يقدر على القيام بأدنى المفترض فيه إلا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة.

(واعلم) أن من المروءة أيضا عشرة خصال، لا مروءة لمن لم يكن فيه :
الحِلْمُ والحَيَاءُ وصدقُ اللِّهْجَةِ وتركُ الغيبةِ وَحُسنُ الخُلُقِ والعَفْوُ عندَ المَقْدَرَةِ.
وبذلُ المعروفِ وإِنْجَازُ الوَعْدِ ؛ وفي تبيينِ أخبارِ تَحَثُّ على استِعْمَالِهَا ،
وَأَثَارِ تَدْعُو إلى المَثَابَةِ عَلَيْهِنَ ، وَأَنَا ذَاكَرٌ بعضَ ذلكَ إن شاء الله وبه القوةُ

١١ - باب ما جاء من فضل الصدق

لذوى ، الآداب وما كره من الكذب لذوى الآداب
رَوَى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جَدِّ وَلَا هَوَلٍ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ الْمَلِكُ مِنْهُ
مِثْلَ لَيْتَيْنِ مَا جَاءَ مِنْهُ

وَقَالَ : لِسَانُ الصِّدِّيقِ خَيْرٌ لِلرَّءِ مِنْ الْمَالِ يَأْكُلُهُ وَيُورِثُهُ
وَقَالَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ : مَا السِّيفُ الصَّارِمُ فِي يَدِ الرَّجُلِ الشَّجَاعِ
بِأَعَزِّهِ مِنَ الصِّدْقِ

وَكَانَ يُقَالُ : الصِّدْقُ قُوَّةٌ ، وَالْكَذِبُ عَجْزٌ أَنَشَدْنِي بعضُ الأَدْبَاءِ :
لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ
لِجِلْفَةِ الْكَلْبِ عِنْدَى خَيْرٍ رَاحِمَةٍ مِنْ كَذِبَةِ الْمَرْءِ فِي جَدِّ وَفِي لَيْبِ
وَكَانَ يُقَالُ لَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ ، وَلَا مَرْوَةَ لِكَذَابٍ
وَيُقَالُ : لَا تَسْتَعِنْ بِكَذَابٍ ، فَإِنَّهُ يَقْرُبُ لَكَ الْبَعِيدَ ، وَيَبَاعِدُكَ الْقَرِيبَ .
وَأَنَشَدْنِي آخَرُ :

وَكُنْ صَادِقًا فِي كُلِّ شَيْءٍ تَقُولُهُ وَلَا تَكْ كَذَابًا تُدْعَى مُنَاقِصًا

وقال آخر:

الكذب عارٌ وخيرُ القولِ أصدقه والحقُّ مامسٌ من باطلٍ زهقاً

وأنشدني غيره:

الصُّدُقُ مَنجاةٌ لِمَنْ هُوَ صَادِقٌ وتَرَى الكَذُوبَ بما يقولُ يُوبِخُ

وقال أبو العتاهية:

كُنْ فِي أُمُورِكَ سَاكِناً فَلَمْ يَدْرِكْ فِي سُكُونِهِ

وَأَعِذْ إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ فَاتَهُ أَزْكَى قُتُوبِهِ

رُبَّ أَمْرٍ مُتَبَيَّنٍ غَلَبَ الشُّقَاءُ عَلَى يَقِينِهِ

وحدثني بعض شيوخ الكتاب، قال: حدثني علي بن هشام قال: قال

لي محمد بن الجهم ذات يوم: يا أبا الحسن: الكذاب والمكات بمنزلة

واحدة، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن علامة الحقي النطق، ومن لم يوثق

بنطقه بطلت حياته.

والذي جاء في ذلك يطول شرحه، ويكثر وصفه، والكلام فيه يتسع،

وأنا أفرد لهذا الباب كتاباً، وأرصفه أبواباً، أبين فيه فضل الصدق على الكذب،

ليُرْغَب فيه ذوق المروءة والأدب، إن شاء الله تعالى

وأما ما جاء في انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروآت، فكثير

يكثر عدده ويطول أمده، وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه إن

شاء الله تعالى

١٢ - باب ما جاء في بيع خلف الموعود

وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيذ

إعلم أن أقبح ما استعمله أهل الأدب مطلُ العداة
وقال المثنى بن خازجة : لأن أموت عطشا أحبَّ إليَّ من أن أخلف موعدا
ورؤينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث علامات في المنافق ،
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا أُمِّنَ خان ،
وإذا وعد أخلف

وروى عنه أنه قال : عدة المؤمن أخذ بالكف
وقال بعض الأعراب : وعد الكريم تعجيل ، وعد اللئيم مطل وتسويق
وكان يقال اليأس أحد الراحتين ، وأنشدني يعقوب بن يزيد التمار :
حتى ما أقلُّ يوماً لطالب حاجة : نعم يا قتي ، أفضل ، وذلك من شكلي
وإن قلت : لا ، يئنتها من مكانها ولم أؤذو فيها بحرٌّ ولا مَطْلٍ
وأنشدني آخر :

إذا قلتَ في شيءٍ نعم فأتممه فإن نعم دينٌ على الحرِّ واجبٌ
وإلا أقلَّ لا واستريح وأريحهما لكيلا يقول الناس إنك كاذبٌ
وأنشدني آخر :

لا تقولنَّ إذا ما لم تُردِّ أن ييمَّ الوعدُ في شيءٍ نعم
وإذا قلتَ نعم فامضِ بها بتجاح الوعدِ إن الخلف ذمٌ
وأنشدني إبراهيم بن محمد النحوي :

أنت الفتى كلَّ الفتى لو كنتَ تفعل ما تقول
لا خيرَ في كذبِ الجوا دِ وحبذا صدقُ البخیلِ

وكان يقال : اعتذارٌ من منع أجل من وعدٍ مطول .

وقال علي بن هشام : أمرني المأمون بحاجة فأخرتها ، فكتب إلي :
تَعْجِيلُ جُودِ الْمَرْءِ أَكْرَمَةٌ تَنْشُرُ عَنْهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ^(١)
وَالْحُرُّ لَا يَطْلُ مَعْرُوفَهُ وَلَا يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ
وكان يقال : المعروف يحتاج الى ثلاث : تعجيله ، وكتماؤه ، وإتمامه .
وأشددنا ليزيد بن جبيل :

يَا صَانِعَ الْمَعْرُوفِ كُنْ تَارِكًا تَرَدَّدَ ذِي الْحَاجَةِ فِي حَاجَتِهِ
فَشَرُّ مَعْرُوفِكَ مَطْوُلُهُ وَخَيْرُهُ مَا كَانَ مِنْ سَاعَتِهِ
لِكُلِّ شَيْءٍ يُرْتَجَى آتُهُ وَحَسْبُكَ الْمَعْرُوفُ مِنْ آفَتِهِ
وقال آخر :

صِلْ مَنْ أَرَدْتَ وَصَالَهُ وَإِخَاءَهُ إِنْ الْأَخُوَّةُ خَيْرُهَا مَوْصُولُهَا
وَإِذَا ضَيَّعْتَ لِصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةً فَانْتَلَمْ بِأَنْ تَمَامَهَا تَعْجِيلُهَا
وقال آخر :

لَا تَنْشُرَنَّ مَوَاعِيدًا وَتَنْتُدَّهَا إِلَى الْمَطَالِ فَإِنَّ رَضَى بِهِ الْأَدَبُ
لَا تَطْلُبَنَّ بِمَنْعِ الْمَالِ مَعْدَةَ إِنْ الْحَمَامِدَ بِالْأَمْوَالِ تُكْتَسَبُ
وكان يقال : لكلُّ شيءٍ آتُهُ ، وآتُهُ المعروف المطل .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لكلُّ شيءٍ رأسٌ ، ورأسُ
المعروف تعجيله .

وفي وصية عبد الملك بن مروان لابنه : يَا بُنَيَّ ، لَا تَعِدُوا النَّاسَ بِمَا
لَا تَتَالَهُ أَيْدِيكُمْ .

(١) الأكرامة : فعل الكرم .

ويقال إذا وعدت الرجل فأتلائم مطلته به فقد أوفاك فمن معروفك عنده.

وأنشدونا لِدُعْبِل بن علي الخزازي :

إِنَّكَ وَالْمَطْلُ أَنْ تَفَارِقَهُ فَاتَهُ آفَةٌ لِكُلِّ يَدٍ
إذا مَظَلَّتْ امرأً بِحَاجَتِهِ فَاغْنَصْ عَلَى مَظْلِهِ وَلَا تَجِدِ
فَلَسْتَ تَلْقَاهُ شَاكِرًا لِيَدِهِ فَدَكَّدَهَا الْمَطْلُ آخِرَ الْأَيِّدِ^(١)
وَالْفُقَيْمِيُّ أَيْضًا فِي مِثْلِهِ :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فَلَا تَبْذِ عِدَّةً إِلَّا وَقَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُونُ غِيْلًا لِمَا تَعِدُ
وَلِدُعْبِل أَيْضًا فِي مِثْلِهِ :

وَأَرَى التَّوَالَّ يَزِينُهُ تَعَجُّلُهُ وَالْمَطْلُ آفَةٌ نَائِلِ الْوَهَابِ
وَكَانَ يُقَالُ : بِذَلِكَ جَاءَ السَّائِلُ مِنْ مَعْرُوفِ الْمَسَائِلِ .

وقال أكرم بن صفي : السؤال ، وإن قل ، فمن لكل معروف ، وإن جل .
أنشدني محمد بن إبراهيم الهمداني لعل بن ثابت الكاتب :

مَا اعْتَاضَ بِإِذْلٍ وَجْهَهُ بِسُؤَالِهِ بِذِلٍّ وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤَالِ
وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ التَّوَالِّ وَزَنَّتُهُ رَجَعَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوَالِ
وقال بعض الحكماء : أخى معروفك إيمانه ذكره ، وعظمته بتصغيرك له .

أنشدني أبو العباس ثعلب لآبي يعقوب الحريري :

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٌ خَفِيرُ
وَنَسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

وقال عدى بن حاتم : لا يصلح المعروف إلا بثلاث : تعجيله وكتمانه
وتصغيره ، لأنك اذا عجلته هنته ، وإذا كتمته استهنته ، وإذا صغره عظمته .
وشرح كل ما جاء في ذلك بطول ، والاختصار أحسن من الاكثار ،
وقد ذكرت معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار في كتاب لطيف التأليف
والاختصار ، هو كتاب البث والحث ، غنيا بما فيه عن الزيادة ، وعن التطويل
والاعادة ، ونحن نتبع هذا الباب بما ضمنناه على الحث على كتمان السر ، ليرغب
فيه ذوو الأدب والقدرة ان شاء الله تعالى .

١٣ - باب الحث على كتمان السر

والترغيب في حفظ ما خنت عليه ضلوع الصدر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استعينوا على حوائجكم
بكتمان السر .

وكان يقال : سرك من دمك ، فاطر أين يجعله .

وكان يقال : ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

وقال المهلب بن أبي صفرة : من ضاق قلبه اتسع لسانه .

وأنشدني أحمد بن يحيى لقيس بن الخدّادية الخزاعي :

بَكَتْ مِنْ حَدِيثِ نَمَةٍ وَأَشَاعَهُ وَلَصَقَهُ وَاشْرَبَ مِنَ الْقَوْمِ رَاضِعٌ^(١)

بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ أَبْكَاءٍ لَا يَشْجَعُ الْبُكَاءُ وَلَا تَتَخَالَجُكَ الْأُمُورُ النَّوَازِعُ^(٢)

وَلَا تُسَمِّعِي مِرْرىً وَمِرْكَ نَالِئًا أَلَّا كُلُّ مِرٍّ جَلُوزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٍ

وأنشدني لبعض الطالبين :

(١) الراضع : الّيم

(٢) شجاع : أحره ، ومجه . غالج له الأمر : شغل فكره .

أَكْفَى خَلِيلٍ مَا اسْتَقَامَ بِوَدِّهِ وَأَمْتَحُهُ وَدِّي إِذَا يَتَعَبَّبُ
وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَا أَنَا مُفْتَشِي سِرِّهِ حِينَ أَنْغَضُ^(١)
عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ فَصِلْهُمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ
وَمَا الْحَذَنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُّهُ وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ
إِذَا مَا وَضَعْتَ السِّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ فَذُو السِّرِّ مِمَّنْ ضَيَّعَ السِّرَّ أَذْنَبُ
وَقَالَ معاوية بن أبي سفيان : الحازم منكم سره من صديقه مخافة أن
يبدل صداقته عداوةً فيذيع سره .

وقال بعض الشعراء :

تَوَاقَفَ مَعْشُوقَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ وَغَيَّبَ عَنْ نَجْوَاهُمَا كُلُّ كَاشِحٍ^(٢)
وَكَلَّتْ جَفُونُ الْمَاءِ عَنْ حَمْلِ مَاتِهَا فَامْلَكْتَ قَيْضَ الدَّمُوعِ السَّوَاحِشِ
وَإِنِّي لَأَطْوَى السِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عِدْلُ الْجَوَانِحِ
وَكُتِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِيَعُضِ سِرِّهِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَقُشَا ،
حَتَّى بَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَعَاتِبُهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا أَخْبَرْتُ بِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَاحِدًا ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ نَصِيحًا يَفْشَى إِلَيْهِ سِرَّهُ

وقال بعض الشعراء في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ وَشَاةَ الرِّجَا لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا
فَلَا تُفْشِ سِرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
وَقَالَ آخَرُ :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرّك عند الناس أفتى وأضح
وقال آخر :

أمت السرّ بكتان ولا يبدون منك إذا استودعت سرّ
فاذا ضيقت به ذرعاً فلا تجعل سرّك إلا عند حرّ
وقيل لأعرابي استودع سرّاً فكتمه : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت
وأخبرني أحمد بن عبيد ، قال : أخبرني ابن الأعرابي ، قال : قيل لأعرابي :
كيف كتمانك السرّ ؟ فقال : أجدد المخبر ، وأحلف للمستخبر
وقيل لأعرابي : كيف حفظك للسرّ ؟ فقال : أنا لأحده
وما استحسنته في كتمان السرّ قول كثير :

أني دون ما تخشون من بث سرّكم أخوفة سهل الخلاق أروع^(١)
ضنين يبذل السرّ منيح بغيره أخوفة عفّ الوصال مميدع^(٢)
أني أن يثّ الدهر ما عاش سرّكم سليماً وما دامت له الله حسن تطلع
وله أيضاً :

كريم يُميت السرّ حتى كأنه إذا استنطقوه عن حديثك جاهله^(٣)
رعى سرّكم في مضمرة القلب والحشا شفيق عليكم لا تخاف غوائله^(٤)
وأكمّ نفسي بعض سرّي تكمّأ إذا ما أضاء السرّ في الناس حائله
وقول صاحبه أيضاً :

لعمري ما استودعت سرّي وسرّها سيوانا حذاراً أن تشيع السرائرُ
ولا خاطبتها مقلتكى بنظرة فتعلم نجوانا العيون النواظرُ

(١) الأروع : من يعجبك بحسنه أو شجاعته . الشيم الذي

(٢) السديدع : السيد الكريم الشريف ، الشجاع

(٣) رعى الأمر : حفظه . النواظر : جمع غائر : الشر

وَلَكِنْ جَعَلْتُ الْقَلْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَسُولًا قَادِيَ مَا بَيْنَ الضَّمَامِ
ومنه قول الآخر :

لِيَهْنِكَ مَنِّي أَنْتَنِي غَيْرُ حُطِيرٍ هَوَاكِ وَلَوْ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى عَجِي
لَمْ تَلَمْ يَلَمْ يَلَمْ بِحُبِّكُمْ قَلْبِي وَلَوْ أَنَّ خَلَقَا كَاتِمَ الْحَبِّ قَلْبُهُ
وقال آخر :

لَوْ كَانَ أَمْرًا أَخْنَى الْهَوَى عَنْ غَمِيرِهِ لَمْ تَلَمْ يَلَمْ بِذَلِكَ ضَمِيرُ
وَلَكِنْ سَأَلَنِي اللَّهُ وَالْقَلْبُ لَمْ يَسْخُ بِسُرِّكَ وَالْوَاثُونَ عَنْكَ كَثِيرُ
وقال العباس بن الأحنف :

أَيَا مَنْ سُرُورِي بِهِ شِقْوَةٌ وَمَنْ صَفْوُ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
تَجَنَّبْتُ تَطْلُبَ مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَجَرَ هِيَاثَ لَا يُقْدَرُ
وَمَاذَا يَصْرُكَ مِنْ شَهْرِي إِذَا كَانَ سُرُّكَ لَا يُشِيرُ
أَمْنِي يُخَافُ انْتِشَارُ الْحَدِيثِ وَحَطَى فِي صَوْنِهِ أَكْثَرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بُعْيًا عَلَيْكَ فَطَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ
وَأَتَشَدُّ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَمَوْعِنٍ بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَأَسْرَارُهُ مِنْهُ بِحَيْثُ الْمَقَائِلُ
فَلَا سِرَّهُ مِنْ سَاحَةِ الصِّدْرِ فَارِحٌ وَلَا هُوَ عَنْ سِرِّ تَعْدَاةٍ سَائِلٌ^(١)
ولغيره في مثله :

فَلَنْقُلُ الْجِبَالَ أَهْوَنُ مِنْ بَثِّ حَدِيثٍ حَتَّى عَلَيْهِ الضَّلُوعُ^(٢)
فَلَكَ اللَّهُ أَنْتَنِي لَكَ رَاغٍ مَا بَدَأَ كَوَكْبٌ وَبَرَقَ لَمُوعُ

(١) الساحة : الناجية . النازح : البعيد جدا . (٢) بَث : أذاع ، نشر

وأشدني أحمد بن عبد الله ، قال أشدني ابن الكلبي لابن أمية :
 وإني على السر الذي هو داخل إذا باح أصحاب الهوى لضموم
 وإني ما استودعت يا أم مالك على قدم من عهدنا لكتوم
 وقال أبو الطيب : الضموم : الممسك ، وكذلك الرميث أيضا .
 وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلقتها للذي أخفيت عنونا
 إني كأنى أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا
 وأشدني أحمد بن يحيى بن الحطيم :

وإن ضيع الأحرار ميرا فأننى كتوم لاسرار العشير أمين
 يكون له عندى إذا ما ضعته مكان بسوداء الفؤاد مكين
 وقال بشار بن برد المرث :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى اذا يقطون في الموى رقدوا
 لاخرجن من الدنيا وسرهم بين الجوانح لم يعلم به أحد
 وأحسن واقه الذى يقول :

يأبى لي النّم أخلاق ومكرمة متى وأذن عن الفحشاء حماء
 والنجم أقرب من سرى اذا اشتملت متى على السر أضلاع وأحشاء

والذى قيل فى ذلك كثير جدا ، تطول به الخطب ، ويتسع فيه القول ،
 وليس قصدنا فى كتابنا هذا المعنى ، وإنما تقدمنا بذكر ما شرحتاه ، ونعت
 ما وصفناه ، لأنه لا بد للظريف من استعمال كل ما ذكرناه من حدود الأدب
 وشرائع المروءة .

واعلم أنّ مذهبنا فى هذا الكتاب إلى معنى صفة الظرف ، وما يجب على

الظريف استعماله ، وذكر ما يجب تركه ، وما اخترعنا في كتابنا هذا علماً
من عند أنفسنا ، يجب لنا به الامتحان ، ولا يلحقنا فيه عيبٌ من عاب إن عاب ،
ولا على أنه لا يطلب لفظه ، ولا يُمتنع عند معانيهم إلا معيب .

وأشدني أحمد بن يحيى قال : أشدني ابن السكيت :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَنِيبِ وَابْنِ أَبِي مَتَّهِمِ الذَّنِيبِ^(١)
وَرُبَّ عَمَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلٌ مِنْهُ عَلَى الْعَيْبِ

ولكننا ألقناه وجمعناه من أقاويل جماعة من الظرفاء والمتطرفات ، وأهل
الأدب والمروءات ، سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه ، فأحببنا أن نجتمع
ذلك ونجعله هوألمن أراد سماعه ، وعلماً لمن أراد أتباعه ، وهدياً لمن أراد
رُشده ، ومناراً لمن أراد قصده ، وطيباً لمن أراد شمه ، وأدباً لمن أراد فهمه .
وكتابنا هذا روضةٌ تنزه فيها العقول ، وعقودٌ جوهرٌ زينتها الفصول ،
اذلم نخله من أخبار طريفة ، وأشعار ظريفة . وأشياء نمت الينا من زى
ظرفاء الناس ، في الطعام والشراب والعطر واللباس ، ومذهبهم فيما اجتنبوه
من ذميم الأفعال ، واستحسنوه من جميل الشيم والأخلاق ، وسأشرح ذلك
وأبينه باباً باباً ، لتقف عليه إن شاء الله .

١٤ — باب صنع الظرف

اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء ، وأهل المعرفة والأدباء : حفظُ الجوار ،
والوفاءُ بالذمار ، والآفةُ من العار ، وطلبُ السلافة من الأوزار ؛ ولن
يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه خصال أربع : الفصاحةُ والبلاغةُ ،
والعفةُ والتزاهةُ .

(١) الجيب : القلب والصدر ، يقال : ناصح الجيب ، أى صادق أمين

وسألت بعض الظرفاء عن الظرف : فقال : التورُّدُ إلى الإخوان ، وكفُّ
الأذى عن الجيران .

وقال آخر : الظَّرْفُ ظَلْفٌ " النفس ، وسخاءُ الكفِّ ، وعَفَّةُ الفرج .
وأخبرني أحمد بن عبيد ، قال : قال الأصمعي ، وابن الأعرابي : لا يكون
الظَّرْفُ إلَّا في اللِّسان ، يقال : فلان ظريف ، أي هو بليغ جيد المنطق ؛ ومنه
حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا كان الأصُّ ظريفاً لم يقطعْ ، أي لانه
يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه .

قال وروى عن محمد بن سيرين أنه قال : الظرف مشتق من الفطنة .
وقال غيره : الظَّرْفُ حُسْنُ الوجه والهيئة .

وقال بعض المشيخة : الظَّرِيفُ الذي قد تأدب وأخذ من كل العلوم فصار
وعاءً لها ، فهو ظرف .

وقال أحمد بن عبيد معناه : أنه يعي أدبا وعلما ، كما يعي ظرف الشيء .
ما يكون فيه ، ولذلك معنى : إذا كان اللِّصُّ ظريفاً لم يقطعْ ، إذا كان واعيا للعلم
لم يسرق إلَّا بتأول ، كما فعل الشعبي وقد دخل بيت المال فأخذ منه دراهم ،
وإنما أراد به التأول لما له فيه من الحق .

وسألت بعض متطرفات القصور عن الظرف ، فقالت : من كان فصيحاً
عفيفاً ، كان عندنا متكادماً ظريفاً ، ومن كان غنيا عاهرا ، كان ناقصا فاجرا .
وقال بعض الأدباء : الظرف ظَلْفُ النفس ، ورقةُ الطبع ، وصدقُ
اللمحة ، وكتمانُ السر .

وسألت بعض الظرفاء فقال : الظرف في أربع خصال : الحياء والكرم ،
والعِفَّةُ والورَعُ .

(١) ظلف نفسه عن الشيء : كف عنه

وأشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى :

ليس الظرفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فإذا تورع عن محارم ربه فهناك يدعوهُ الآنمُ ظريفاً
ومثله لبعض المتأدبين :

إن أَسْكَنَ طَامَحَ الظَّاهِظُ قَاتِي وَالَّذِي يَمْلِكُ الْعِبَادَ عَفِيفُ
ليس ظرفُ الظرفِ بالنفسِ لكن كلُّ ذِي عِفَّةٍ فذاك ظرف
وخبرت أن عبد الملك بن مروان وجد على بعض عماله قعيده وحبسه
في داره ، فأشرفت عليه ابنة لعبد الملك ، فظفرا إليها ، فأنشأت تقول :

أَيُّهَا الرَّائِي بِالطَّرْفِ فِي وَفَى الظَّرْفِ الْمُتَوَفِّ (١)
إِنْ تُرِّدْ وَضَلَا قَدْ أَمَّ كُنْكَ الظُّبِّيُّ الْأَلُوفُ
فأجابها الفتى قال :

إِنْ تَرَيْنِي زَاكِي الْعَيْدِ بَيْنَ فَالْفَرْجِ عَفِيفُ
ليس إِلَّا النَّظْرُ الْفَاتِنُ وَالشَّعْرُ الظَّرِيفُ
فأجابته الجارية :

قَدْ أَرَدْنَاكَ عَلَى أَنْ تَعْتَنِقَ ظَبِيًّا أَلُوفًا
فَقَائِلَتْ فَلَا زِلَّ تَلْقَيْدِكَ حَلِيفًا
فداع الشعر : وبلغ عبد الملك ، فدعاه فزوجه إياها ، ودفعها إليه
واجتاز عبد الله بن عبد الرحمن ، الذي كان يُعرف بالقسَّ لعبادته ،

(١) المتوف : جمع حَف ، وهو الموت ، يقال : مات حَفَّ أَمَّه ، أو حَفَّ فيه ،
أي مات غير قتل ولا ضرب ، بل على فراشه

بسلامة المغنية، التي صارت إلى يزيد بن عبد الملك، فسمعها وهي تُغنى، فوقف يستمع غناها، فأدخله مولاها عليها، فوقعت في قلبه ووقع بقلبها، فقالت له يوماً، وقد خلا مجلسهما: أنا والله أحبك، فقال: وأنا والله أحبك، قالت، فأنا والله أشتى أن أضع في على فك، وألصق صدرى بصدرك، وأضلك إلى وتضعني إليك؛ قال: وأنا أشتى ذلك، قالت: فما يمنعك من ذلك، فوالله إن الموضوع لحال وما بقربنا أحد؛ فقال: ويحك، إني سمعتُ الله يقول: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)، فأنا أكره أن تكون خلتي لك في الدنيا منقطعة في الآخرة، ثم وثب فانصرف.

وكان لعل بن أبي طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج، وكان له مؤذن شاب، فكان إذا نظر إليها قال لها: أنا والله أحبك، فلما طال ذلك عليها أنت عليها عليه السلام فأخبرته، فقال لها إذا قال لك ذلك، فقولى: أنا والله أحبك فه^(١)، فأعاد عليها الفتى قوله، فقالت له: وأنا والله أحبك فه، فقال: تصبرين وتصبر حتى يوقينا من يوقى^(٢) الصابرين أجرهم بغير حساب، فأعلت عليها عليه السلام، فدعا به فزوجه منها، ودفعها إليه.

وأشدنى عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى:

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمننى منه الحياء وخوف الله والحدُر
وكم خلوت بمن أهوى فيمننى منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم^(٣) وليس لي في حرام منهم وطر^(٤)
كذلك الحب لا إتيان معصية^(٥) لا خير في لنوم من بعدها سقر^(٦)

(١) ه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكف

(٢) وفي الرجل حقه: أعطاه إياه تاماً

(٣) الوطر: الحاجة والبغية

(٤) سقر: علم الجبن، والكلمة ممنوعة من الصرف

ومثل ذلك قول الآخر :

تَقْنَى اللَّدَاذَةَ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا من الحرام ويبقى الأثم والعارُ
تبقى عواقب سوء من مقبَّتِها لا خير في لذو من بعدها النارُ
ومما أَسْتَحْسَنُهُ في العِفَّةِ أَيْضًا : مَا أَشْدَقِيهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٍ لِبَعْضِ

فساء العرب :

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ
وَبِتْنَا يَفِينَا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالْتَدَى مِنْ اللَّيْلِ بُرْدًا يُنْتَقِ عَطِرَانِ
نَذُودُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا مِنَ الصَّبِيِّ إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا يَرْدَانِ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِئِىِّ الْعَافِ وَرَبَّمَا تَهِنَّا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشْفَانِ

وَأَشْدَقُ حَدَايِنَ يَحْيَى بْنِ ثَعْلَبٍ :

أَحْبَبُّكَ لِمَنْ رِيَّةٌ كَانَ يَنْتَسَا وَلَا نَسَبَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَابِكِ
أَحْبَبُّكَ إِنْ خُبِرْتُ أَطْعَمَكَ فَارِكُ لِعَمْرِي إِنْ مَوْلَعٌ بِالْفَوَارِكِ
أَحَبُّ فَتَاةٍ أَنْ تُشَاغِبَ زَوْجَهَا وَإِنْ لَمْ أَنْزِلْ مِنْ وَصْلِهَا غَيْرَ ذَلِكَِ

قال أبو الطيب : الفارك : المبخضة لزوجها ، يقال : قد فركت المرأة زوجها
تفركه إذا أبغضته ، وهى فاركك ، والرجل مفروك .

ومثله قول الحسين بن مطير :

أَحْبَبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لَا تَفِئُ سَرَائِرُهُ
ومنه أيضا قول الآخر :

أَتَأْذَنُونَ لِصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَتَدْكُمُ شَهَوَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
لَا يَفْعَلُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفَا الضَّمِيرَ وَلَكِنْ فَاسِقَ النَّظَرِ

وقال محمود الوراق :

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبًّا لَا لَفَاحِشَةٍ وَالْحُبُّ لَيْسَ بِهِ فِي الْقَمْعِ بَاسٌ^(١)
وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي أَعْرَابِي يِلَادٍ نَجْدٍ :
وَيَوْمَ كَلِمَاهُمُ الْحُبَّارَى قَطَعْتُهُ بِمَقْمَعَةٍ وَالْقَوْمُ فِيهِمْ تَحْرِقُ
إِذَا مَا مَهْمَنَا صَدَّ زَيْ قَوْسِنَا كَمَا صَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّهْمِ يَوْسُفُ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ قَوْلُهُ : كَلِمَاهُمُ الْحُبَّارَى : يَرِيدُ نَهَايَةَ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَصْرِ .
وَأَنْشَدَنِي آخَرُ :

مَا الْحُبُّ إِلَّا قُبْلٌ وَغَوْزٌ كَفٌّ وَعَضُّ
أَوْ كُتُبٌ فِيهَا رُقَى أَتَقَدُّ مِنْ قَهَقِرِ الْقَدِّ^(٢)
مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكُنَا إِنْ نَكَحَ الْحُبُّ قَسَدُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا عِفَّةٍ فَأَتَمَّا يَفْنَى الْوَلَدُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بُيُوتَةِ الْجَلِيلِ ، وَقَدْ قَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ يَا بَيْتُهُ أَنْ تَحْقُقَ قَوْلَ
النَّاسِ فِينَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : مَهْ ، دَعْ حُبَّنَا مَكَانَهُ ، إِنْ الْحُبُّ إِذَا نَكَحَ فَسَدَ .
وَدَخَلَتْ بَيْتُهُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهَا : وَاقِهِ يَا بَيْتُهُ مَا أَرَى
فِيكَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَقُولُ جَمِيلٌ ! قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْهُ كَانَ يَرِنُ إِلَى بَعْضَيْنِ
لَيْسَتْ فِي رَأْسِكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ صَادَقْتِهِ فِي عِفَّتِهِ ؟ قَالَتْ : كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ،
حَيْثُ يَقُولُ :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبْرُ
وَلَا بِفِيهَا وَلَا مَهْمَتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالْتِظَرُ

وقيل لأعرابي: هل زينتَ قط . قال معاذ الله إنما هما اثنتان : إما حرة
أَتَتْ لها من فسادها ، وإما أمة آتَتْ لنفسى من فسادى إياها .

وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال : دخلتُ على جميل بن معمر
الْعُدْرِيّ وهو عليل ، وإنى لأرى آثار الموت على وجهه ، فقال : يا ابن سهل
أقول إن رجلا يلقي الله بسفك دما حراما ، ولم يشرب خمرًا ، ولم يأت بفاحشة ،
أرجو له الجنة ؟ قلت : أى والله ، فمن هو ؟ قال : إنى لأرجو أن أكون
أنا ذلك الرجل ، قلت : بعد زيارتك بثينة وما تُحَدِّثُ به عنك ؟ فقال : والله
إنى لنى آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة ولا تالتي شفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم إن كنتُ حدثتُ نفسى فيها برية ^(١) قط ، قال :
فا انقضى يومه حتى مات .

وقال الأصمى : كان عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق جالسين بفناء
الكعبة ، فمرت بهما امرأة من ربيعة . وقيل من آل أبى سفيان ، فدعا عمر
بكِتَفٍ فكتب فيها :

أَلِمَّا بِذَاتِ الْحَالِ فَاسْتَطَلَعْنَا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ وَذُهَا أَمْ تَصَرَّمًا ^(٢)
وَقَوْلًا لَهَا إِنَّ النَّوَى أَجْنِيَّةٌ بِنَا وَبِكُمْ قَدْ خُفِّفَ أَنْ تَنْتَمِمًا ^(٣)

فقال له ابن أبى عتيق : ما تريد الـ امرأة مسلّية محرمة تكتب إليها بمثل
هذا ؟ فقال : أترى ما سيّرت فى الناس من الشعر ، وربّ هذه البيّنة ما قبل
منها وما دبرَ ما قولت امرأة قط ما لم تقله ، ولا طالعت فرج حرام قط
وقيل لكثير عزة : هل نلتَ من عزة شيئًا طول مدّتكَ ؟ فقال : لا والله

(١) الرية : الشك والتهمة (٢) العهد : الوفاء . تصرم : قطع وانقطع

(٣) النوى : البعد . أجنيّة : بعيدة شاقة . تنتمى : يصير هوامها تيمميا

أَلَا أَنَّهُ رَبُّمَا كَانَ يَشْتَدُّ فِي الْأَمْرِ فَأَخَذَ يَدَهَا فَأَضَعَهَا عَلَى جَبِينِي . فَأَجِدُ
لِذَلِكَ رَاحَةً .

وقال أعرابي ، وخلا بامرأة كان يتعشقا : ما زال القمر يُرِنُنيها فلما غاب
أرْتَمِيهِ . قيل : فما كان بينكما؟ قال : أَهْصَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَأَدْنَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عزَّ
وجلَّ ، إشارةً في غير باس ، ودنو في غير مساس ، وأنشأ يقول :

وَلَرَبِّ لَذَّةٌ لَيْلٍ قَدْ نَلِثْتُهَا وَحَرَامُهَا بِجَلَالِهَا مَدْفُوعٌ
قال أعرابي من فزارة : عشقت جارية من الحى ، فغادتها سنين كثيرة .
واقعة ما حدثت نفسى برية قط ، سوى أن خلوت بها فראيت يابض كقها في
سواد الليل ، فوضعت كفى على كقها ؛ فقالت : مه ، لا تفْسِدْ ما صلح .
فأرضى^(١) جيبى عرقاً ولم أعد .

(واعلم) أن الظرف ليس بمستغنى عنه ، ولا هو عما يُخَلُّ منه ، ولا يُعْفَى
فيه صاحبه ، ولا يفند عليه طالبه ، بل هو أنبل ما استعمله العلماء ، وصبا إليه
الأدباء ، وتزينوا به عند أودائهم^(٢) ، وتحلوا به عند أخلائهم^(٣) وربما تكلفه
قوم ليس من أهله فظرف ، وعاناه فلطف ، وأنه من المطبوعين أحسن منه
من المتكلفين ، وللتكلف علامات تظهر في حركاته ، وتبين في لحظاته ،
لا يسترها بتصنعه ، ولا تتغيب بقستره ، وإن المطبوع على الظرف ليشهد
له القلب عند معانيته بجلالوته ، وتسكن النفس عند لقائه الى مجالسته ، وتصبو
الى محادثته ، وترتاح الى مشاهدته ، وهو يئن في شمائله^(٤) ظاهر في خلاقته^(٥)

(١) أرضى : سال وترشش .

(٢) الأوداء : جمع الوديد وهو الحب

(٣) الأخلاء : جمع الخليل وهو الصديق المختص

(٤) النائل : جمع النال والشميلة . أى الطبع

(٥) الخلاق : جمع الخليفة وهى الطيبة

بين في منطقته ، غير مستقر عند صمته ، دلائله واضحة في مشيته وزيه ولفظه ،
يُستدل عليه بظاهر حركة الملاحظة دون اختبار باطن الخلاوة ؛ ألا ترى أن
من ذبهم التفرز والنظافة والملاحة والطلاقة واظهار البرة وطيب الرائحة ،
فالتفوس اليهم ناقة^(١) ، والقلوب وامة^(٢) ، والعيون رامة^(٣) ، والأرواح
عاشقة ، وان من ذبهم الوفار والخشوع ، والسكون والخضوع ، والتصنع
بالأخلاق الرضية ، والشيم السنية ، والمذاهب الجميلة ، والمهم الجميلة ، وما
يُستدل به على كمال أدبهم ، ويعرف به رجحان مهمهم : كثرة استعمالهم
الموى ، وطول معاناتهم الجوى^(٤) ، وهو من أحسن مذاهبهم ، وأجل
مناقبهم ؛ ولست أقول إن الموى ليس بفرض على ذوى العقل ، كما قال ذو التقصير
والجهل ، بل هو من أوكد الفرض عليهم ، وأثبت الحجّة للتفريس الناظر
اليهم على حسن تركيب الطباع والفرائز ، وصفاء جواهر الهمم والتعائز^(٥)
إذ هو عند ذوى العلوم والأحكام ، من أجل مذاهب الأدباء والكرام ،
وقال محمود الوراق في ذلك ، إذ كان الحبّ عنده كذلك :

ألم تعلم فداك أبى وأُمى بأن الحبّ من شيم الكرام
وليس يخلو أديب من موى ، ولا يقرى من صنّى ، لأن الموى كما وصفته
العلماء ، وكما قال فيه الحكماء : إنه هو أول باب تفتق به الأذهان ، وينفج
به الجنان ، وله سورة^(٦) في القلب ، يحيا بها اللبّ ، وقد يُشجّع الجبان
ويسخى البخيل ، ويطلق لسان النسي ، ويقوى حزم العاجز ، ليأنس به

(١) ناقة : مشتقة (٢) وامة : محبة

(٣) رمة : أطال النظر إليه

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق

(٥) التعائز : جمع التعيزة أى الطيبة ، يقال : فلان كريم الشيرة

(٦) السورة : الحدة والشدة

الجليس، ويمتنع به الأنيس، ويدل له العزيز، ويخضع له المتجبر، ويرزله كل محتجب، وينقاد له كل ممتنع، وهو أمير مطاع، وقائد متبع، وليس بأديب عندهم من خرج من حد الهوى، وقد قال الأحوص بن محمد الأنصاري: إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى فكن حَجَرًا من يابس الصخر جَلَمَدًا هل العيش إلا ما تَلَذّ وتشتهى وإن لآم فيه ذو الشنان وقدأ^(١) واجتاز رجل بمجنون بني عامر، وهو يخوض سور الخوض، فقال له: ما بك يا فتى؟ ولم يعرفه، فأنشأ يقول:

بِئِ الْيَأْسِ أَوْ دَاءِ الْهَيْكَمِ أَصَابَنِي فَلْيُثَاكِ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَائِيَا
قال أبو الطيب: الهيام: داء يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تروى، ويقال للابل التي يصيبها ذلك: الهيم، قال الله جل ثناؤه: «فَسَارِيُونَ شُرَبَ الْهَيْمِ»، فعرفه، فقال: أعاشق أنت؟ قال: نعم، وأنشأ يقول:

إذا أنت لم تعشق فتصيح هائمًا ولم تك معشوقًا فانت حاكم
وقال:

الحبّ أول ما يكون لِمَاجَةٍ تأتي به وتسوقه الأقْدَرُ
وروينا عن المزنادي، عن هشام، عن ابن سيرين قال: كانوا لا يرون بالعشق بأسًا في غير رية.

وقيل لبعض البصريين: إن ابنك قد عشق، فقال: وما بأس به، إنه إذا عشق: نظف، وظرف، ولطف.

وقيل لبعض العرب: متى يكون الفتى بليغا؟ قال: إذا وصف هوى جبا.

(١) الشتان: البض مع عداوة وسوء خلق

وانشدني بعض الأدباء :

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى وما خير فيمن لا يحب ويشوق
وقال آخر :

وما تلفت إلا من العشق مهجتي وهل طاب عيش لا مري وغير عاشقي
وقال آخر :

وما خير في الدنيا إذا أنت لم تزُر حياء ولم يطرب إليك حبيب
وقال آخر :

وما سرتني أني خلت من الهوى ولا أن لي ما بين شرق إلى غرب
وأعلم أن أول علامات الهوى على ذى الأدب : تحول الجسم ، وطول
السقم ^(١) ، واصفرار اللون ، وقلة النوم ، وخشوع النظر ، وادمان الفكر ،
وسرعة الدموع . واطهار الخشوع ، وكثرة الآنين ، وعلان الحنين ،
وانسكاب العبرات ، وتتابع الزفات ؛ ولن يخفى المحب وإن تستتر ،
ولا ينكتم هواه وإن تصبر ، ولن يفتي ادعاء أنه قد قارن العشق والهوى ،
لأن علامات الهوى نائرة ، وآيات الادعاء ظاهرة . وقد قال
الأحوص الأنصاري :

ملعاج الناس مثل الحب من سقم ولا يرى مثله عظما ولا جسدا
ما يلبث الحب أن تبدو شواهد من المحب وإن لم يبدو أبدا
وقال آخر :

ما يعرف الحزن إلا كل من عشقا وليس من قال إنني عاشق صدقا
للعاشقين تحول يعرفون به من طول ما حالقوا الأحزان والآرقا

وحدثت عن الزبير بن بكار ، قال : رأيت رجلا بناحية النفر عليه أثر ذلة وخضوع ، واستكانة وخشوع ، كان يُكثر التنفس ، ويخفي السكوت ويبدى الآنين ، وحركات الحب لا تخفى في ثمائه ، ولا يسترها بتساوته . فدأته في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله ، فكان جوابه ، وقد تحدث الدموع من عينيه :

أنا في أمرى رشاد بين غزو وجهك
بدنى يغزو عدوى والهوى يغزو فؤادى
وركت سكينه ابنة الحسين بن علي ذات ليلة في جواربها ، فرت بعروة ابن أذينة الليثي وهو في فناء قصر ابن عيينة ، فقالت لجواربها : من الشيخ ؟ اقلوا عروة . فدخلت اليه ، فقالت : يا أبا عامر : أنت ترعم أنك لم تعشق قط ، وأنت تقول :

قالت وأبتئتها وجدى فبحث به قد كنت عندي تحب الستر فاستبر
أست تبصر من حولي : فقلت لها : غطى هوائك وما ألقى على بصري ؟
كل من ترى حولي من جوارى أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط .

فهذان قد كتبا هواهما ، فنمت شواهد بجواهما ، لأن من اغتمس^(١) في بحر الهوى ، نمت عليه شواهد الضنى^(٢)

فأما أهل الدعاوى الباطلة ، الذين ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم بمائلة ، ولا عقولهم بذاهلة ، فهم عند ذوى الفراسة يكذبون . وعند ذوى الظرف لصحتهم يوبخون

وقد روى أن العباس بن الأحنف قال : بينا بالطواف إنا بثلاث

جوار أنراب^(١) فلما أبصر نتي قلن ، هذا العباس ، ودنت إلى إحداهن ،
فقال : يا عباس أنت القاتل :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه طلعت على بليّة من بابه ؟
قلت : نعم ، قالت : كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت كما أنا ،
ثم كشفت عن أشاجع^(٢) ممرأة من اللحم ، وأنشأت تقول :

ولما شكوت الحب قالت كذبتني قال أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلفق الجلد بالحشى وتخرس حتى لا تُجيب المنايا^(٣)

ودخل ابراهيم بن المهدي على أمير المؤمنين ، وكان أنجل^(٤) البطن ، كثير
اللحم والشحم ، فقال له المأمون : بالله ياعم عشقت قط ؟ قال : نعم يا أمير
المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق ! قال : وأنت على هذه الجثة ، والشحم الكثير ؟
ثم أنشأ المأمون يقول :

وجه الذى يشق معروف لانه أصفر منحوف
ليس كمن أمسى له جثة كأنه للذبح معلوف
فأجابه ابراهيم بن المهدي :

وقائل لست بالحب ولو كنت تُجيبا لذبت من زمن
فقلت قلبي مكاتم بدني حبي فالحب فيه تُخزن
أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن

(١) الأنراب : جمع الرنب ، وهو الصديق . أو من ولده

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، أو هي عروق

ظاهر الكف ، واحدها أشجع

(٣) الحشى : مادون الحجاب بما في البطن من كبد وطحال وكرش .. الخ واجمع أحشاء

(٤) الأنجل : الواسع الضويل الرريض . واجمع نجل ونجال

هذان أيضا قد ادّعىا المحبة ففضحهما شاهدُ النظر ، ولم يَجزِ ادّعاؤهما على
ذى المعرفة والبصر : وقول ابراهيم : أحب قلبي ومادري بدنى ، محال لا يعلّق
القلب فيسلم الجسم ، ولكنه لا استحياته قد احتجّ بحجة ضعيفة ، وأنشدنى
بعض المشيخة فى مثل ذلك :

وقائلة ما بالُ جِسمِكَ سالماً وَعَهْدِي بأجسام المحبين تَسَقَمُ
فقلتُ لها قلبي لجِسمي لم يَبْخُ بجِسمي فجسمي بالهوى ليس يَعْلَمُ
فالعرب تَمْدَح بالضمير ، وتذم بالسمن ، وتنسب أهل النحول إلى الأدب
والمعرفة . وأهل السمن إلى الفدامة^(١) وقلة الفهم .

وللفلاسفة والأطباء فى ذلك قول يثبت ما ادعت العرب ، وزعموا أن
من غلب عليه البلغم عظم جسمه ، وكثر شحمه ولحمه ، وقل فهمه ، وطال سباته ،
وانعقد لسانه ، لغلبة البلغم على فمه ، واحتواء الرطوبة على لُبّه ؛ ومن كان أغلب
مزاجاته البرّة خف جسمه وقل لحمه ، وذاب شحمه ، وحسن ذهنه ، وصح
فهمه ، لأن النحول علامة المتفرسين ، ودلالة المتوسمين^(٢) لا يكاد أن تخطئ .
فيه الفراسة ، ولا تكذب فيه العياقة ، لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على
صاحبه ، وابتناء قراره فى مركبه . وربما أنجب السمن ، وخاب الهزال ،
ولا يكون ذلك إلا فى الفرد الشاذ من الرجال .

ومن أمثال العرب فى ذلك : البطنة تذهب الفطنة .

وروى أن جميل بن معمر البُذرى صحبه رجل من عُذرة وكان بطينا كولا ،
فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له ، فأنشأ جميل يقول :

وقد راينى بن جعفر أن جعفرأ مُلح على قرص ويشكو هوى جميل
فلو كنت عذرى الهوى لم تكن كذا بطينا وأنداك الهوى كثرة الأكل

(١) الفدامة : الحق (٢) توسم الشيء : قمره ، وتعرفه

(٣) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل

وَمَنْ عَشِقَ عِنْدَهُمْ ، فَلَمْ يَنْحَلْ جَسْمَهُ ، وَلَمْ يَطْلُ سَقْمَهُ ، وَيَقِينُ الْخُشُوعَ
فِي حَرَكَةِ ، وَالذَّلَّ فِي نَفْعَتِهِ ، نَسْبُوهُ إِلَى فُسَادِ الطَّبْعِ ، وَتَقْصَانِ اللَّبِّ ، وَبُعْدِ
الْفَهْمِ ، وَمَوْتَ الْقَلْبِ ؛ وَمَنْ ادَّعَى الْحَيَّةَ ، فَلَمْ يَنْحَلْ وَلَمْ يَسْهَرْ ، وَلَمْ يَخْشَعْ ،
وَلَمْ يَذَلَّ وَلَمْ يَخْضَعْ ، وَلَمْ يَحْمَلْ نَفْسَهُ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَعَبَةِ وَالشَّدَائِدِ الْفَطِيئَةِ ،
وَيَرْكَبَ فِيهَا الْمَرَاكِبَ الْوَعِيرَةَ ، وَيَتَقَدَّمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ ، وَالْأَهْوَالِ
الْمُخَوِّفَةِ ، الَّتِي يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَعَايِنُ فِيهَا الْقَوْتَ ، وَيَبَاشِرُ فِيهَا الْمَلِكَةَ ،
وَيُغَرَّرُ فِيهَا بِالْمُنْهَجَةِ ، وَيَصْبِرُ عَلَى حَتْفِهِ ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، وَيُرِدُّ الْمَوَارِدَ الَّتِي
يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَشْرَفُ مِنْهَا عَلَى مَهَوْلِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَلْقَاهُ وَحَيْنُهُ ،
وَحَتَّى يَصِفَى فِي هَوَاهِ الْأَقَارِبِ ، وَيَعَالِجُ فِيهِ الْعَجَائِبَ ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ الْعَرَجِيُّ :

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَتَّصِحٍ دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِ أَعَادِي
وَتَنَوُّقَةِ أَرْمَى بِنَفْسِي عَرْضَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ بِلَا هِدَايَةِ هَادِي^(١)
وَكَمَا قَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَمْ جَسَمْنَا دُونَ سَلَمَى مَهْمَا تَارَحَ الْقَوَرُ إِذَا الْآلُ لَمَعَ^(٢)
وَكُذَّكَ الشَّوْقُ مَا أَشْجَاهُ يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعَ^(٣)

فَلَيْسَ بِعَاشِقٍ عِنْدَهُمْ ، وَلَا يَنْتَبِثُ لَهُ اسْمُ الْهَوَى ، وَلَا يَلْحَقُ بِالظُّرْفَاءِ ،
وَلَا بُعْدُ فِي الْأَدْبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْهَوَى عِنْدَهُمْ فِي التَّحَوُّلِ وَالتَّهَوُّلِ ، وَالضَّنَى وَالنَّاءِ ،
وَالْأَرْقُ وَالْقَلَقُ ، وَالسَّهَرُ وَالْفِكْرُ ، وَالذَّلُّ وَالْخُضُوعُ ، وَادْمَانُ الْبِكَاءِ ،
وَقَلَّةُ الْعِزَاءِ ، وَكَثْرَةُ الْأَنْهَيْنِ ، وَطُولُ الْحَيْنِ ؛ وَلَيْسَ بِعَاشِقٍ مَنْ خَرَجَ عَنْ

(١) التَّنَوُّقَةُ : الْبَرِيَّةُ لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أَنْبِيَاءَ .

(٢) جَسَمْنَا الْأَمْرَ : تَكَلَّفْنَاهُ عَلَى مَشَقَّةٍ . الْمَهْمَا : الْمَقَازَةُ الْبَعِيدَةُ ، أَوْ الْبَلَدُ الْمَقْفَرُ .
التَّارَحَ : الْبَعِيدُ جَدًّا . الْقَوَرُ : مَا انْجَدَرَّ وَاطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ . الْآلُ : السَّرَابُ وَهُوَ
مَا يَشَاهَدُ فِي النَّهَارِ مِنْ اسْتِنْدَادِ الْحُرُكَاتِ مَاءً .

(٣) وَزَعَهُ : كَفَّهُ وَمَنَعَهُ .

هذه الصفات ، وانتقل من هذه الحالات ، أو وُصِفَ^(١) بغير هذه العلامات ،
وعُرفَ بغير هذه الدلالات ، أنشدني بعض الأدباء :

علامةٌ من كان الهوى في فؤاده إذا ما لقي أجابهُ بتحيّرٍ
ويصفرّ لونُ الوجه بعد انحراره فإن حركوه للكلام تشوّرًا^(٢)
أنشدني أبو الحسن بن الرُّوميّ :

أرى ماءً وبى عطشٍ شديدٍ ولكن لا سبيل إلى الورود^(٣)

أما يَكْنُفِكَ أَنْكَ تَمْلِكُنِي وأنّ الخلق كلهم عَيْدِي

وَأَنْكَ لَوْ قَطَعْتَ يَدِي وَرَجَلِي لَقَلْتُ مِنَ الْهَوَى أَحْسَنَ زِيَدِي

وَحَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ مَخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا ، فَقَامَ
فَدَخَلَ إِلَى حُرْمِهِ ، وَخَرَجَ وَعَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ ، فَقَالَ لِي : يَا مَخَارِقُ تَغْنُّ لِي
بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُطْلَقْ عِنْدَ بَيْنِهِ سلاماً فأوصي بالبنان المخصَّبِ^(٤)

فَمَا اسْطَعْتُ إِلَّا بِالْبَكَاءِ جَوَابَهُ وَذَلِكَ جَهْدُ الْمُسْتَهَامِ الْمَعْدِبِ

لَحَفَظْتُهُمَا وَتَغَنَّيْتُ بِهِمَا ، فَجَعَلَ يَبْكِي ، وَيَتَحَبَّبُ فِي بَكَائِهِ وَيَزْفِرُ ، ثُمَّ قَالَ
لَنَا : أَنْتَدِرُونَ مَا قَصَّيْتُ ؟ قُلْتُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ ، وَإِنْ شَاءَ أَعْلِنَا ! قَالَ :
لَئِنِّي دَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ الْمَقَاصِيرِ ، فَرَأَيْتُ جَارِيَةً لِي كُنْتُ أَجْدُ بِهَا وَجْدًا^(٥)
شَدِيدًا ، وَهِيَ لِلْمَوْتِ ، فَسَلِمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَطْوَ رَدَّ السَّلَامِ ، فَأَشَارَتْ بِأَصْبَعِهَا ،
فَعَلَيْتَنِي الْعِبْرَةُ^(٦) ، وَأَرْهَقَتَنِي الزَّفَرَةُ^(٧) ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا ، فَخَضَرْتُ هَذَانِ

(١) وسمه : كواه وجعل له علامة يعرفها

(٢) تشوّر : أوماً (٣) ورد الماء : صار إليه وبلته .

(٤) البين : الفرة . (٥) الوجد : المحبة .

(٦) العبرة : الدمة ، أو الحزن بلا بكاء .

(٧) الزفرة : التنفس مع مد النفس .

البيتان من باب قصرها إلى باب مجلسي، ثم أمر برفع الشراب، فما رأيتُ يوماً أكدر منه.

وأنشدتُ للمعتمد في بعض جواريه :

أيا مُنْعَدِ العَرْقِ أَجْزَنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ رَوْحِي سَقَاماً وَعَلَّتْ^(١)
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَاقِي التُّرَابِ لَضَعْتُ^(٢)
وأنشدتُ للمتوكل في جارية له :

أَمَازُحُهَا فَتَغْضَبُ ثُمَّ تَرْضَى وَكُلُّ فَعَالِهَا حَسَنٌ جَمِيلٌ
فَإِنْ تَغْضَبُ فَأَحْسَنُ ذَاتٍ دَلٌّ وَإِنْ تَرْضَى فَعَلَيْهَا عَدِيلٌ
حدثني أبو العباس بن الفضل الرُّبَيْعِيُّ قَالَ : حدثني علي بن الجهم قَالَ :
حُمُّ المتوكل يوماً، وكان ذلك بعقب شرّ وقع بينه وبين قبيصة، فرماها
بمخدة فغضبت واحتجبت، فحُمَّ بعقب ذلك، ودخلنا عليه، وإذا الفتح
قائم في يده قارورة فيها الماء، ويحجي بن ماسويه ينظر إليها، فقال : ليس
أرى إلّا ما أحبّ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدك أبيتاً ؟ فقال لي :
أنشيد، فأنشدته :

تَكَرَّرَ حَالُ عَلَيِّ الطَّيِّبُ فَقَالَ : أَرَى بِجَنَمِكَ مَا يُرِيبُ
جَسَدُ العَرْقِ مِنْكَ فَدَلُّ عَتْدَى عَلَى دَائِهِ لَهُ شَأْنٌ عَجِيبُ
فَإِذَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قُلِّي فَكَانَ جَوَابُهُ مِنِّي التَّحِيْبُ
بِحُسْنِي بِالْحَبِيبِ يُبْلَى سَقَاماً وَقَلْبِي يَا طَيْبُ هُوَ الْكَتِيبُ
خَرَّكَ رَأْسَهُ وَدَنَا إِلَى وَقَالَ : الْحُبُّ لَيْسَ لَهُ طَيْبُ

(١) نهل : شرب أول الشرب . علته : سقاء سقيا بعد سقى .

(٢) القذى : ما يقع في العين من تينة ونحوها . سقى التراب : تدرى وتبدد .

فأعجبنى تظرفه على قلت : بلى اذا رضى الحبيب
فقال : هو الشفاء فلا توان قلت : أجل ولكن لا تحب
ألا هل مسعد يبكى لشجوى فأنى هاهنا أبدا غريب

فضحك ، ودعا بالشراب وشرب ، وشربنا معه ، ووجه إلى قبيحة .
فوقع الصلح بينهما ، وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة :

لأصبرن على ما بى من المفضى حتى أموت ولا يشعنى الناس
ولا يقال شكاً من كان يعشقه إن الشكاة لمن يهوى هى اليأس
ولا أبوح بسر كنت أكنتم عند الجليس اذا ما دارت الكاس
وأما من عشق من الشعراء ، فإيهم عدو ولا يحصهم أحد .

وقد عشق أكثر العرب ، بل كلهم قد عشق ، فمن المذكورين منهم
المشهرين بالصوبة والغزل ، قيس بن مخزوم بنى عامر عاشق ليل ، وقيس بن
ذريح عاشق لبنى ، ونوبة بن الحميز عاشق ليلى الأخيلىة ، وكثير عاشق
عزة ، وبجبل بن معمر عاشق بختة ، والمؤمل عاشق الذلفاء ، ومرقش عاشق
أسماء ، ومرقش الأصغر عاشق فاطمة بنت المنذر ، وعروة بن حزام عاشق
عفراء ، وعمرو بن عجلان عاشق هند ، وعلى بن أديم عاشق منة ، والمهذب
عشق لذة ، وذو الرمة عاشق مية ، وقابوس عاشق منية ، والمجبل السعدى
عشق الميلاء ، وحاتم طي عاشق ماوية ، ووضاح الجين عاشق أم البنين ،
والغمر بن ضرار عاشق جبل ، والتمر بن تولب عاشق خزة ، وبدر عاشق
نعم : وشيبل عاشق فالون ، وبشر عاشق هند ، وعمرو عاشق دعد ، وعمربن
أبي ربيعة عاشق الثريا ، والأحوص عاشق سلامة ، وأسعد بن عمرو عاشق
ليل بنت صبيح ، وهيب عاشق زينب ، وسحيم عبد بنى الحسن عاشق عميرة ،

وعبيد الله بن قيس عشق كثيرة ، وأبو العاتية عشق عتبة ، والعباس بن الأحنف عشق فوز . وأبو الشيص عشق أمانة .

فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق ، وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ، ليقَلَّ به الخطاب ، ويحسن به الكتاب ، ولكل واحد منهم سبب في حبه ، وحديث في عشقه ، يطول شرحه ، ويكثر وصفه .

ونحن مُفردون لأهل العشق كتاباً نذكر فيه أخبار المتيمين ، ومُلح المتشقين ، ، وأشعار المتغزلين ، مع جملة من صفات الهوى في كتاب المفتي إن شاء الله تعالى .

وقد شهر أيضاً بالصِّبوة والغزل جماعة من شعراء العرب ، منهم أبو كثير الهذلي ، وأبو صخر الهذلي ، وأبو دهب الجعفي ، وريسان العذري ، والصمة بن عبد الله القشيري ، وابن أذينة ، وابن الدميني ، وابن الطرية ، وابن ميادة ، والحسين بن مطير ، إلى آخرين لا يحصيه العدد ، ولا يلغهم الأمد ؛ وقد ضرب في عُرْوة بعشقه المثل ، لأنه كان أطولهم صبوة ، وأكثرهم في العشق كثرة .

أنشدني أحمد بن يحيى ، لأبي وجزة السعدي^(١) :
وفي عُرْوَةِ الْعُذْرَى ، إِنَّمَتْ أَسْوَةٌ وعمر بن عجلان الذي فَتَنَتْ هُنْدُ^(٢)
وبنٍ مِثْلُ مَامَاتَا بِهِ غَيْرَ أَنِّي إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَأْتَنِي وَقْتُ بَعْدُ
هَلِ الْحُبُّ إِلَّا عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفَرٍ وَحُرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
وَفِيضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ بِاللَّيْلِ كَلَمًا بَدَأَ لَعَلَّ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَدُو^(٣)

(١) يروي هذا الشعر قيس بن ذريح .

(٢) يروي . وعمر بن عجلان الذي قتلت هندا

وقال : إنه طلق زوجته هندا وندم فات أسفا عليها .

(٣) يروي : وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا عز من أرضكم لم يكن يدور

وقال كثير :

وأصبحتُ بما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وعزوةٌ لم يلقَ الذي قد لقيته
وكان جرير :

هل أنت شاقيةٌ قلباً بهم بكم
وقال أيضاً :

بالعنبرية والنخيت أوانس
هل لا نهيك إذ قتلن مرقفاً
وقال الأحرص الأنصاري :

لا شك أن الذي بي سوف يفتني
أحببتها فوفقتُ الناس كلهم
لو قاس عزوةً والنهدى وجدماً
وقال أيضاً :

إذا جئتُ قالوا قد آتى وتهامسوا
فعروة سن الحب قبلى إذ شقي
وقال جميل بن معمر :

وما وجدتُ وجدى بها أمٌ واحد
ولا وجد العذرى عروة إذ قضى
على أن من قدمات صادف راحة
ولا وجد النهدى وجدى على هندي
كو جدى ولا من كان قبلي ولا بعدي
وما لقوا دى من رواحٍ ولا رشدي^(١)

(١) اختله : خدعه بلفظ الكلام . المدام : القوم . (٢) وتغ : ساء خلقه .

(٣) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . الرش : الهداية والاستقامة .

وقال مروان بن أبي حفصة :

أرذنين عُرْوَةَ والمرْقشَ قبلَهُ
ولقد تركن أبادؤبٍ هاماً
وتركن لابن أبي ربيعةً منقطعاً
وأشدني عمرو بن قحان لنفسه :

إن الأولى ماتوا على دين الهوى
قيسٌ وعمرو والمرقشُ قبلهم
نَدَبُوا الطَّلُولَ لاهلها لا أنهم
ولبعض المتأدين :

يا عدوئى قد هويتُ فكُفّاً
ماتَ قيسٌ وعروةٌ وجيلُ
وأراني بموتهم سأموتُ
وقال جميل بن معمر :

قد مات قبلى أخونهد وصاحبهُ
وكُلُّهم كان فى عشقٍ منيتهُ
إن لم تُنلنى بمعروفٍ تجودُ به
وقد أحسنت والله امرأة من خَنَعَمٍ إذ تقول :

فأقسمُ أنى قد وجدتُ بمخوشٍ
فا أنا إلا مثلهَا غيرَ اتى
معلقةً نفسى ليومِ حِمامٍ
وأحسن الذى يقول :

عجبتُ لعُرْوَةَ العُذرى أضهى
وعروةٌ ماتت موتاً مستريحاً
أحاديثاً لقومٍ بَعْدَ قومٍ
وكيف يميتُ فى كل يومٍ

وأما بنى نَهْدٍ تركنَ قتيلاً
ولقد قتلن كُنُيْراً وجيلاً
فحين أصبح سائراً عُمولاً
وَجَدُوا المنيَّةَ مِنْهُلاً مَعُولاً
كانوا لتَنْزِيلِ الهوى تأويلاً
عَشِقُوا مَعَايَ أَرْبَعٍ وَطُولاً

أتى بالهوى التُميتَ رَضِيتُ
وأراني بموتهم سأموتُ

مُرْقشٌ واشتقَى من عروة الكَدِ
وقد وجدت بها فوق الذى وجدوا
أويدهم الله عنى الواحدُ الصَّدُ

كما وجدتُ عفراءُ بابنِ حِزَامٍ
معلقةً نفسى ليومِ حِمامٍ

أحاديثاً لقومٍ بَعْدَ قومٍ
وكيف يميتُ فى كل يومٍ

وبلغنا أن منهم من عشق صورة في حمام ، وخيالا في منام ، وكفا في
حائط ، ومثالا في ثوب ؛ والعشق ألوان وأنواع ، وضروب وفنون ، وأمره
غريب ، وقال بعض الشعراء :

أبيت كائن للكواكب عاشق فاستكرمتني أن تزول الكواكب
عجبت لما يلقى من العشق أهله وفيما يلاق العاشقون عجائب
وبلغ العشق من عروة بن حزام أن أفرده بيلاته ، وعذبه بدائه ، وآنسه
بانفراده ، وشرده عن بلاده .

وحكى عن ابن أبي عتيق قال : بينا أنا أسير في أرض بني عذرة ، إذا أنا
ببيت حريم ، فدنوت منه ، فاذا عجوز تمرض شاباً ، وقد نهكت العلة ،
وبانت عليه الذلة ، فسألها عن خبره ؛ فقالت : هذا عروة بن حزام ، فدنوت
منه ، فسمعتة يقول :

من كان من أمهاتي باكياً لغيري فاليوم لاني أراني اليوم مقبوضاً
تسمعيه فلاني غير سامعه اذا علوت رقاب القوم معروضاً
فقلت : أنت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، أنا الذي أقول :

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا : نعم تشقى من الداء كله ، وقاما مع العواد يبتدراكن
فاتركنا من سلوة يعللناها ولا شربة إلا بها شفياني
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما حلت منك الضلوع يدان
فلهمي على عفرأ لمفأ كأنه على النحر والاحشاء حد سينان
فعفرأ أحطى الناس عندي مودة وعفرأ عني المعرض المتوكان

ثم خفق خفقةً، فتوهمت أنها غشية، فتحت عنه، ودنت العجوز منه،
فا برحت حتى سمعت الصيحة، فاذا هو قد فارق الدنيا.

وبلغ العشق أيضا من مجنون بني عامر أن أخرجه إلى الوسواس
والهيمكان^(١)، وذهاب العقل وكثرة الهذيان، وهبوط الأودية وصعود
الجبال، والوطء على العوسج وحرارة الرمال، وتمزيق الثياب، واللعب
بالتراب، والرمي بالأحجار، والتفرد بالصحارى، والاستيحاش من
الناس والاستئناس بالوحش، حتى كان لا يعقل عقلا، فاذا ذكرت ليلى
ثاب إليه عقله، وأفاق من غشيته، وتجلت عنه غمرته^(٢)، وحدثهم عنها أصح
الرجال عقلا، وأخلصهم ذهنا، لا ينكرون من حديثه شيئا، فاذا قطع ذكرها
رجع إلى وسواسه وهذيانه، وتباديه في ذهاب عقله.

وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه أنه قيل لأبيه: لو أخرجت قيسا
أيام الموسم، وأمرته بأن يتعلق بأستار الكعبة، ويقول: اللهم أرخني من
حب ليلى، لعل الله كان يريجه من ذلك، ففعل، فلما طاف بالبيت أمره
فتعلق بأستار الكعبة، وقال: قل اللهم أرخني من حب ليلى، فقال: اللهم
زدني لليلي حبا إلى حبا وأرني وجهها في خير وعافية، فضر به أبوه،
فأنشأ يقول:

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ ضَجِيجٌ بِمَكَّةَ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبٌ^(٣)
فَقَلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ بِهِ قَدْ أَخْلَصْتُ الْقُلُوبُ
أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ عَمَلْتُ قَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ

(١) هام على وجهه ميانا: ذهب لا يدري أين يتوجه.

(٢) غمرة الشيء: شدته.

(٣) وجب القلب: دجف وخفق.

وأما من هوى ليلى وتركى
وكيف وعندها قلبى رهين
وقال أيضا :

دعا المحرمون الله يستغفرونه
وقلت لرب الناس أول سألنى
فإن أعط ليلى فى حياقى لا يتب
وقال أيضا :

فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى
ولو أنى أستغفر الله كلبا
وبات فى بعض ليلالى حجة تحت شجرة ، فانتبه بنوح حمامة ، فأندأ يقول :
لقد هتفت فى جنح ليل حمامة
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإتى
أأزعم أنى عاشق ذو صبا به
كذبت ويئت الله لو كنت عاشقاً
وسمع هاتفاً من الليل وهو ينادى : يا ليلى . غمر مغشياً عليه ، ثم أفاق
وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالحيف من فنى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
عرضت على قلبى العزاء فقال لى :
فبيح أحزان الفؤاد وما يدرى
وللى بأرض عنه نازحة قهر^(١)
من الآن فاجزع لا أعز لمن صبر

(١) الفتن : النعمن المستقيم . (٢) أسخن عينه وبقيته : أنزل به ما ييكبه .

إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَسْلَكَ النَّوَى قَهْرُهُ مِنْ تَهْوَى أَحْرُ مِنْ الْحَرِّ^(١)

وقال أيضا :

فَلْيَبْكْ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَلَوْ أَنَّهُ صَدَى بَيْنَ أَحْجَارٍ لَظَلَّ يُجِيبُهَا

وقد أحسن إذ حكم على صدى في رسمه بالجابة لدعوتها ، والمبادرة الى تليتها ؛ وهكذا فتسكن غلبة العشق ، وصدق الموى . ومثل ذلك قوله أيضا :

لَسْتُ نِيَابَى إِنْ قَدَرْتُ نِيَابَهَا وَلَمْ يَنْتَهَى عَنْ مَسْنِ حَرَامِهَا

ولو شِدَّتْنِي حِينَ تَحْضُرُ مِيتِي جَلَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَنِّي كَلَامُهَا

ومثل ذلك قول الآخر :

وَلَوْ كَلَّمْتَا بَيْنَ زَمَرٍ وَالصَّفَا وَبَيْنَ حَلِيمِ الْبَيْتِ أَضْبَى كَلَامُهَا^(٢)

ولو مكثت بعد التّطاع ساعة بِمَكَّةَ وَلَا مَا الصَّلَاةَ إِمَامُهَا

ولو نطقت والموت يجرى ظلامُهُ لَجَلَّى ظِلَامِ الْمَوْتِ عَنِّي ابْتِسَامُهَا^(٣)

ومثله قول جميل بن معمر :

حَلَفْتُ يَمِينًا يَا بَيْتَنَ صَادِقًا فَإِنْ كُنْتُ فِيهَا كَاذِبًا لَعِمْتُ

حَلَفْتُ لَهَا بِالْبَدَنِ تَدْعِي نَحْوَهَا لَقَدْ شَقِيتَ نَفْسِي بِكُمْ وَعَنَيْتَ^(٤)

فَلَوْ أَنَّ جِدًّا غَيْرَ جَلْدِكَ مَسَنِي وَبَاشَرَنِي دُونَ الشَّعَارِ شَرِيتَ^(٥)

(١) بان عنه : اقطع عنه وقاره . النوى : البعد .

(٢) حلیم البيت : حلیم مكة ، وهو ما بين الركن والباب ، وقيل : هو الحجر الخارج منها ، سمي به لأن البيت رفع وترك هو عطوما ، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فيبقى حتى يحلم بطول الزمان ، فيكون فعلا بمعنى فاعل .

(٣) جلى الأمر عنه : كشفه عنه

(٤) البدن (بضم النون وسكونها) : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمونها .

(٥) الشعار : ما يمس الجسد من اللباس . شرى الرجل : غضب .

ولو أن دافع منك يدعو جنازتي وكنت على أيدي الرجال حيت
ومثله قول الأعشى :

عَهدِي بها في الحَيِّ قد سُرِبَتْ صفراءَ مثل المِهرَةِ الصَّامِرِ
لو أَسَدْتُ مِنِّي إلى نَحْرِها عاش ولم يُنْقَلْ إلى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ تَمَارَأُوا يا عَجَبًا لِلْيَتِّ النَّاشِرِ
قد حَجَمَ الثَّدْيُ على نَحْرِها في مُشْرِقِ ذِي بَهْجَةٍ زَاكِرِ
ومثله قول المجنون أيضا :

ولو كنت أَعْمَى أَخْبِطُ الأَرْضَ بالعِصَا أَصَمَّ فَنَادَتْنِي أَجَبْتُ المُنَادِيَا
وأشهد عند الله أنني أَجِبُهَا فهذا لها عِنْدِي فَا عِنْدَهَا لِيَا
قال : وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر ، فقال :

أَلَا لِيَتْنِي أَصَمُّ تَقَوْدُنِي بُيْتُهُ لَا يَخْنِي عَنِّي كَلَامُهَا
فهؤلاء قد زعموا أن كلام النساء يجلو العمى ، ويُسمع الصَّمَّ ، ويُحيي
الميت ، ويدفع المَوَات ، وينشر القبور من قبل أوان النُّشُور .

وقد قال بعض الأعراب : إن من كلام النساء ، ما يقوم مقام الماء ،
فيروى من الظَّاهِر .

وقال آخر : حلاوة نغم النساء في الأذان ، أَلَذُّ من موقع الماء العذب
من العطشان .

وقال القطامي في مثل ذلك :

وفي الجدور غَمامات بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدَنَا من كُلِّ مُصْطَادِ
قَتَلْنَا بِمُحْدِثٍ لَيْسَ يَعْصِي من يَتَّقِينَ وَلَا مَكْرُوهُهُ بَادِي

وَمَنْ يَبْذَنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِنَ بِهِ مواقع الماء من ذى الغلة الصّادى^(١)
وعمر بن أبى ربيعة يقول فى سَكِينَةِ بنت الحسين بن على رضى الله عنهما :
أَسْكِينِ مَاءُ الْفُرَاتِ وَبَرْدُهُ مَنَى عَلَى ظُلْمًا وَحُبٌّ شَرَابِ
بِأَحَبِّ مَنَكَ وَإِنْ نَأَيْتَ وَقَلَّ مَا ترعى النساء أمانة الغُيَّابِ
ولبعض المتأدّين فى مثله :

واقه ما شربة من ماء غادية اذا ظمئت وكرُب الموت يَفْشَانِي
أَلَذُّ مِنْ شَرْبَةٍ مِنْ فَيْكِ أَسْمَعِيَا تلك الصفاء لقلب الهائم العاني
وروى أنّ عمر بن أبى ربيعة قال : أتتني امرأتان فى أيام غزى ، فجعلت
احدهما تسرّ إلى سرّاً ، والاخرى تعصّنى ، فاشعرتُ بعضة هذه من لذة
سرار هذه .

ودخل كثيرٌ على عبد الملك بن مروان ، قال : يا كثيرُ حدثني ببعض
أخبار جميل ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، لقيتُ جيلاً ذات يوم ، فقال :
هل لك فى المسير معي نحو بُيُوتِنا ؟ قلت : نعم ، فسايرته ، حتى دنا من
موضعها ، فقال : تصير إليها فتعلمها بكافى ، فضيت فأعلبتها ، فأقبلت فى نسوة
من الحى ، فلما رأيته انصرفن عنها ، وتحتيت عنهما ، فلم يزالا من أوّل الليل
إلى أن رجعتهما الصبح قائمتين فى أقدامها ، فلما عرّما على الاضراق قالت :
أدن منى يا جميل ، فدنا منها ، فأمرّت إليه سرّاً ، فخرّ مغشياً عليه ، فاقطعه
الاحرّ الشمس ، فأفاق وأنشأ يقول :

فما ماءُ مِزْنٍ مِنْ جِبَالٍ مُتِفِقَةٍ ولا ما أكنّت فى معادنها النخل

بأشهى من القول الذى قلت بعدما
تَمَكَّنْ فى حَيْزٍ وَمِ نَاقِي الرُّحْلِ^(١)
وقال جرير أيضا :

ولقد رمينك يوم رُحْنِ بَأْتَيْنِ
وَهِنْطَقِ شَغَفَ الْفَوَادِ كَأَنَّهُ
يَقْتُلُ مَنْ خَلَّلَ السُّتُورَ سَوَاجِي^(٢)
عَسَلٌ يَجْدُنَ بِهِ بَغِيرَ مِرَاجٍ
وقال الفرزدق :

إِذَا هُنَّ سَاقِطُنَ الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ
جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرَمٍ تُقَطِّفُ^(٣)
تَرَاهُنَّ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاكِ كَأَنَّهَُا
مَرَضٌ سَلَالٍ أَوْ هَوَالِكُ زُفٍّ
وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - من وجوه شتى بأحاديث
صححت عن الثقات ، ونقلت عن الرواة - : إِنَّ حَبْلَ اللَّيْلِ يُعْنِي وَيُهِيمُ .
وليس يعجب ما قال المجنون وأشباهه من غلبة العشق عليهم ، وقد قال
غيره أعظم مما قاله وأقطع وأجل ، ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا أن منهم من
قتل نفسه غرقاً وذبحاً وخنقاً ، كل ذلك أسفاً وحسرةً وتلهفاً .

فمن ذلك ما حكى عن شيخ حضر مجلس العتي ، فأخبرهم أنه حضر مجلساً
فيه قينة وقى ، وكان الفتى ، يهوى القينة ، وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ ،
وابنة الشيخ تهوى الفتى ، فغنت القينة :

(١) الحيزوم : الصدر ، وقيل : وسطه . الرجل : ما يحمل على ظهر البعير كالسرج
(٢) الخلل : المنفرج بين الشيتين . السواجى : جمع ساجية . وعين ساجية : فاترة
النظر ، أى ساكنة لينة .

(٣) ساقطة الحديث : تكلم الواحد وسكت الآخر بالتناوب . أبكار كرم : عنى
الكرم البكر الذى لم يحمل قبل ذلك .

علامةٌ ذُلُّ الهوى على العاشقين البكا
ولا سِيَّما عاشق إذا لم يجد مُشْتَكِي
فقال لها الفتى . أحسنت والله ياسقَى ، أنا ذنبي لي أن أموت ؟ قالت : مُتْ
راشدا ، فوضع رأسه على الوسادة ، وغمض عينيه ، فحركناه ، فوجدنا ميتة ؛
قال الشيخ : فخرجنا متعجبين من ذلك ، وصرتُ إلى منزلي ، فأعلمتهم ما كان
من قصة الفتى ، ونظرتُ إلي ابنتي وقد حاضرت ، فدخلتُ مجلسي ،
فدخلتُ وراءها ، فإذا هي متوسدة على مثال ما كان عليه الفتى ، فحركتها
فإذا هي ميتة ، ففدونا بجنائزها ، وغدوا بجنائز الفتى ، فإذا بجنائز ثلاثة ،
فسألنا عنها ، فإذا هي جنازة القينة ، وبلغها موت ابنتي ، فصنعت مثل ذلك
فانت ، فدفننا ثلاثة بموت واحد في موضع واحد ؛ وهذا من عجيب ما سُمِعَ
به في هذا الامر .

ومن ذلك ما أخبرني أبو العيَّاء قال : حدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال :
ذُكِرْتُ لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب ولده ، فلما نظر إلى استبشع منظري ،
وأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني ، فخرجتُ فلقيتُ محمد بن إبراهيم ، وهو
يريد الانحدار إلى مدينة السلام ، فعرض عليَّ الانحدار معه ، وقرَّبْتُ
حراقة^(١) ، ودعا بطعامه وشرابه ، ونصب ستارته ، وأمر بالغناء ، فاندفعت
عزادة له تنغى :

كلَّ يوم قطيعةٌ وعتابٌ يَنْقِصِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِصَابُ
ليت شعري أنا خَصِصْتُ بهذا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْإِحْبَابُ ؟

(١) الحراقة : السفينة فيها مراى ييران يرمى بها العدو .

ثم سكت ، وأمر طنبورية فغنت :

وَارْتَحَمَا لِلْعَاشِقَيْنَا مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مَعِينَا
كَمْ يُهَجَّرُونَ وَيُظَلُّونَ ن وَيَقْطَعُونَ فَيُضْبِرُونَا
وَتَرَاهُمْ تَمَّا بِهِمْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ خَاشِعِينَ
يَتَجَلَّدُونَ وَيُظْهِرُونَ ن تَجَلَّدَا لِلشَّامِتِينَ

قالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : يصنعون هكذا ، وضربت يدها على الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلفحة قر ، فزجت بنفسها إلى الماء ، قال : وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، ويده مذبة ، فلما رآها وما صنعت ألقاها من يده ، وأتى إلى حيث رمت نفسها ، فنظر إليها وهي تمور بين الماء فأنشأ يقول :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ

وزج نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتقين ، ثم غاصا ولم يريا ، فهاهنا ذلك محمدا واستفظعه . وقال للجاحظ : يا عمرو لتحدثني بحديث يسكن عني فعل هذين ، وإلا ألحقك بهما ! قال الجاحظ : فحضرني خبر سليمان بن عبد الملك . وقد قعد للظالم ، وعُرضت عليه القصص فرت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه أن يخرج إلى فلانة ، يعني جارية من جواريه ، حتى تغنيني ثلاثة اصوات فَعَلْ ، فاغتاظ من ذلك سليمان وأمر من يخرج إليه فيأتيه براسه ، ثم اتبع الرسول برسول آخر فأمر أن يدخل الرجل إليه ، فأدخل ، فلما مثل الرجل بين يديه ، قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحملك ، والاتكال على عفوك ، فأمره بالعمود حتى لم يبق أحد من بني أمية ، ثم امر فأخرجت الجارية ومعاودها ثم قال له : اختر ، قال له : قل لها تغني بقول قيس بن الملوّح :

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِهَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافُ أَوْ فِي الْمَهْدِ^(١)
فَعَاشَ كَمَا عِشْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ وَإِنْ مُتْنَا بِتَغْصِبِ الْمَهْدِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَسَاوَرُنَا فِي ظِلَّةِ الْقَبْرِ وَالْحَدْرِ
يَكَادُ فَضِيزُ الْمَاءِ يَخْدُشُ جِلْدَهَا إِذَا اغْتَسَلْتَ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ^(٣)
وَلِيَّيْ لِمَشَاقٍ إِلَى رِيحِ جَنِّبِهَا كَمَا اشْتَاقَ إِذْ رِيسٌ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ
فَنَنَّتْهُ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : قُلْ ، قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِرُطْلٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بِرُطْلٍ فَشَرِبَهُ ،
ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلٍ جَمِيلٍ :

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَقْبَيْتُ عُرَى فِي انْتِظَارِ نَوَالِهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيَا يَبِيدُ يَبِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَيْتِنَةَ قَاتِلِي مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لُودَامَ وَدَنَا وَلَكُنَّا الدُّنْيَا مَسَاعُ غُرُورٍ
وَكُنَّا جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ التَّوْبَى بِأَنْتُمْ حَالِي غَيْبَةً وَسُرُورٍ
فَا يَمْرَحُ الْوَأَشُونُ حَتَّى بَدَتْ لَنَا بُلُوتُ الْهَوَى مَقْلُوبَةً لِيُظْهَرِ

فَنَنَّتْ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ ، قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِرُطْلٍ ، فَاسْتَمْتَهُ حَتَّى وَثَبَ إِلَى
أَعْلَى قَبَةِ سَلِيمَانَ ، ثُمَّ زَجَّ بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاغِهِ فَاتَ ؛ فَقَالَ سَلِيمَانُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَتُرَاهُمْ الْجَاهِلُ أَتَنَى أُخْرِجُ إِلَيْهِ جَارِيَتِي وَأُرَدُّهَا إِلَى وَلِيِّي؟

(٢) الطَّافَ : جَمَعَ النُّطْفَةَ : مَاءَ الرَّجُلِ أَوْ الْمَرْأَةِ .

(١) اقْصَبَ : اقْطَعَ .

(٣) الْفَضِيزُ : مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمَاءِ عِنْدَ صَبِّهِ .

خذوا يدها فانطلقوا بها الى أهله ، إن كان له أهل ، والا فبيعوها وتصدقوا بها عنه ؛ فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة في دار سليمان ، قد أعدت للبتر ، فجذبت نفسها وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْعِشْقِ بِلَا مَوْتٍ
وَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا فِي الْحَفْرَةِ عَلَى دِمَاقِهَا فَاتَتْ ؛ فَرُئِيَ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَأَحْسَنَ
صَلَةَ الْجَاهِلِ .

١٥ — بَابُ مِمَّنْ مَاتَ مِنْ شَرِّ الْفَقْرِ

وتضمنت أعضاؤه من شدة الوجد

حكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم ، عن الهيثم بن عدي ، عن هشام بن حسان قال : حدثنا رجل من بني تميم قال : خرجت في طلب ناقة لي ، فوردت على ماء من مياه طيء ، فاذا بمسكرين أحدهما قريب من الآخر ، وإذا في أحد المسكرين شاب مدنف قد نهكه العلة ، فهو كالشئ البالي ، فدنوت لأعرف خبره ، فسمعته وهو يقول :

أَلَا مَا لِلنَّالِجَةِ لَا تَعُودُ أَبْجَلُ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صَدُودُ
مَرْضَتْ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَالِكِ لَا تَرَى فِيمَنْ يَعُودُ
قَدَرْتُكَ بَيْنَهُمْ قَلَّيْتُ شَوْقًا وَقَدَرُ الْإِلْفِ يَا أَمْلِي شَدِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ السَّقِيمَةَ كُنْتُ أَسْتَعِي إِلَيْكَ وَلَمْ يُسَهِّلْنِي الْوَعِيدُ^(١)

قال فسمعت كلامه ، فبادرت نحوه ، وبدرتها النساء فتعكفن بها ، فأحسن بها ، فوثب مبادرا نحوها ، فحبسه الرجال ، فجعلت تجذب نفسها من النساء ، ويجذب نفسه من الرجال ، حتى التقيا فاعتنقا وبكيا ، ثم شهقا غرا ميتين ،

(١) تنبه عن الشيء : كفه عنه وزجره .

مخرج شيخ من بعض الأخية ، فاسترجع ، ثم قال : رحمك الله ، أما والله لقد كنت لم أجمع بينكما في حياتكما لأجمعن بينكما بعد موتكما ، فأمر بهما فكفنا في كفن واحد ، ودُفنا في قبر واحد ، فسألت عنهما ، فقال : هذه بنتي وهذا ابن أخي ، بلغ بهما الحب ما ترى .

ومن ذلك أيضا ما حكى عن اسحاق الرافقي قال : كنت في مجلس بالرة في عدة من الظرفاء ، وجماعة من القيان ، ومعنا قتي كأهيا من رأيت من الفتيان ، وعليه أثر ذلة الهوى ، يُديم الأنين والبكاء ، فغنت إحداهن :

إِنِّي لَا بُعْضُ كُلِّ مُضْطَرٍ عَنْ لِقَائِهِ فِي الْوَصْلِ وَالْمَجْرِ
الصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاطِنِهِ مَا لَفَقِيَ الْحُزُونَ وَالصَّبْرُ
فَنَظَرَ إِلَيْهَا الْفَتَى وَتَبَادَرَتْ عِبْرَاتُهُ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ :

غَدَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُعْدًا
ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ فَسَقَطَ مَجْدَلًا مِنْ قَامَتِهِ ، فَوُثِنَا إِلَيْهِ فُخْمَانَاهُ مَيْتًا .

ومن ذلك ما حكى عن جميل بن معمر العذري أنه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحاديث عُذْرَةٍ ، فانه يلغني آثهم أصحاب أدب وغزل ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن آل بَيْثَنَةَ اتَّجَعُوا الْحَيَّ ، وَقَطَعُوا بِلْدًا آخَرَ ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُهُمْ ، فَطَلَطْتُ الطَّرِيقَ ، وَجِئْتُ اللَّيْلَ ، وَلَا حَتَّى لِي نَارٌ ، فَصَدَّتْهَا حَتَّى دَنْتُ ، وَوَرَدَتْ عَلَى رَاغٍ فِي أَصْلِ جَبَلٍ قَدْ أَلْجَأَ غَنَمَهُ إِلَى كَهْفٍ فِي الْجَبَلِ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ ، وَقَالَ : أَحْبَبْتُكَ قَدْ ضَلَلْتَ الطَّرِيقَ ، قُلْتُ : قَدْ كَانَ ذَاكَ فَأَرَشَدَنِي ، قَالَ : بَلْ أَرِزْ حَتَّى تَرِيحَ ظَهْرَكَ وَتَبِيحَ لِيْلَتَكَ ، فَاذَا أَصْبَحْتَ وَقَفْتُكَ عَلَى الطَّرِيقِ ؛ فَزَلْتُ ، فَتَرَحَّبْتُ بِي وَأَكْرَمَنِي ، وَعَمِدَ إِلَى شَاةٍ فَذَبَحَهَا ، وَأَجَّعَ نَارًا وَجَعَلَ يَشْوِي وَيُلْقِي بَيْنَ يَدَيَّ ، وَيَحْدِثُنِي

في خلال ذلك ، ثم قام بازار كان معه قطع به جانب الحباء ، وهدى لى جانباً ، وترك جانباً خالياً ، فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو الى شخص كان معه ، فأرقت له دموعاً ، فلما أصبحت طلبت الأذن فأبى ، وقال : الضيقة ثلاث ، فأقمت عنده ، وسأله عن اسمه ونسبه وحاله ، فانتسب لي ، فإذا هو من بني غدره وأشرافهم ، فقلت : يا هذا وما الذي أحلك هذا الموضع ؟ فأخبرني أنه يهوى ابنة عم له ونهواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه ، فخرج بها عن الحى فأسكنها في موضعه ذلك ، وأنه تسكر ورضى أن يكون راعياً له لتأنيه ابنة عمه ، فقرأه ويراه ، وجعل يشكو إلى صبايته بها وشدة عشقه لها ؛ حتى إذا جئنا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالتوقع لها ، فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق ، فوثب قائماً وأنشأ يقول :

ما بال مية لا تأتي لِعَادَتِهَا	أهَجَا طَرَبُ أم صَدَا شُغْلُ
لكن قَلْبِي لَا يُلْبِيه غَيْرُهُمْ	حَتَّى الْمَلَكِ وَلَا لِي غَيْرُهُمْ أَمَلُ
لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ	لَا اِغْتَلَلْتُ وَلَا طَابَتْ لَكَ الْعِلَلُ
رُوحِي فِدَاؤُكَ قَدْ هَجَتْ لِي سَقَمًا	تَكَادُ مِنْ حَرِّهِ الْأَعْضَاءُ تَنْفَصِلُ
لَوْ أَنَّ عَادِيَهُ مَنَّى عَلَى جَبَلٍ	لَزَالَ وَانْهَدَ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ

ثم قال : يا أخا بني غدره ، مكانك حتى أعود إليك ، فلم يأتني أنوهم أن أمرا عرض لابنة عمي ؛ ثم مضى فصاب عن بصرى ، فلم يلبث أن أقبل وعلى يديه شيء محمول ، وقد علا شقيقه ونحيبه ، فقال : يا أخا بني غدره ، هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعرضها السبع فأكلها ، ثم وضعها عن يده ، وقال : على رسلك حتى أعود إليك ، ومضى فأبطأ حتى يئست من رجوعه ،

ثم أقبل ورأس الأسد على يده ، فوضعه وجعل ينكتُ على أسنانه ، وهو يقول :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُخِيلُ بِنَفْسِهِ هُبَيْلْتُ لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَنَا حَرْزَنَا^(١)
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ أَلِفًا وَصَيَّرْتَ بَطْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ لَنَا سِجْنًا
ثم قال : يا أخا بني عُذْرَةَ ، إنك ستراني بين يديك ميتاً ، فلماذا أنا مت ،
فاعمد إليّ وإلى بنت عمي فادرجنا في كفن واحد ، واحضر لنا جدنا واحداً
وادفنا فيه ، واكتب على قبري هذين البيتين :

كُنَّا عَلَى ظَهْرِ هَاوِ الْعَيْشِ فِي مَهَلٍ وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّشْتِيتِ الْفَتَنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ
وَرُدَّ الْغَنَمَ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَاعْلَيْهِ بِقَصْتِنَا ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى خِنَاقِ فُطْرَحِهِ فِي
عَنْقِهِ ، فَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ ، فَأَبَى ، وَجَعَلَ يَخْتُقُّ نَفْسَهُ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَ يَدَيَّ
مَيْتًا ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ كَفَّنْتُهُ وَابْنَةَ عَمِّهِ كَمَا أَمَرَنِي ، وَدَفَنْتُهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ،
وَكُتِبَتْ الْبَيْتَيْنِ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَرَدَدْتُ الْغَنَمَ عَلَى زَوْجِهَا وَأَعْلَيْتُهُ بِقَصْتِهِ ،
فَجَعَلَ يَأْكُلُ كَفْيِهِ أَسْفَاً أَلَّا يَكُونَ جَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا ؛ فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ
كَثِيرٌ جَدًّا .

وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : كُنَّا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا عُذْرِيُّ بَلِّغْنِي أَنَّ فِيكُمْ رِقَّةً
وَعَزْلًا ، فَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِ ذَلِكَ ، قَالَ : لَقَدْ خَلَقْتُ فِي الْحَيِّ ثَمَانِينَ مَرِيضًا
دَفَنًا عَشَقَا مَا بِهِمْ غَيْرَ الْحَبِّ قَدْ خَامَرَ قُلُوبَهُمْ .

١٦ - باب من وصف الحب

وما فيه من شدة المرارة والكرب

واعلم أن الحب - مع ما فيه من المرارة والنكد ، وطول الحسرات
والكد - مستعذب عند أربابه . مستحسن عند أصحابه ، حلو لا تعدله
حلاوة ولا تعدله مرارة ، قال الكمينت بن زيد :

الحب فيه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطاعم أودق
ما ذاق يؤمن معيشة ونعيمها فيما مضى أحد إذا لم يعشق
وقال آخر :

يا أيها الدنف المكدب بالهوى إني بأحوال الهوى أعلم
الحب صاحبه يبيت مسهدا ويطير عنه فؤاده ويهيم
الحب داء قد تضمن في الحشا بين الجوانح والضلوع مقيم
الحب لا يخفى وإن أخفيته إن البكاء على الحب ثموم
الحب فيه حلاوة ومرارة والحب فيه شقاوة ونعيم
الحب أهون ما يكون مبرح والحب أصغر ما يكون عظيم^(١)

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :
سألني عن الحب يامن ليس يعرفه ما أطيب الحب لولا أنه نكد^(٢)
طعمان حلو وممر ليس يعدله في خلق ذائقه ممر ولا شهذ

وأنشدني إبراهيم بن محمد الواسطي لنفسه :
سألني عن الحب فإني به أعلم ندى وطوى على نعل

(١) برج به الأمر : أنه به وآذاه أذى شديدا . (٢) النكد : الشدب العسر .

طعمانِ ضِدَّانِ، فَسْتَعَذَّبُ^(١) وَأَخْرُ أُشْرَى مَنِ الْقَتْلِ^(٢)
وليعض المتأدين أيضا في مثله :

سَدَنِي عَنِ الْحَبِّ يَأْمَنُ لَيْسَ يَعْلَمُهُ^(٣) عِنْدِي مِنَ الْحَبِّ إِنْ سَاكَلْتُمُ الْخَبَرَ
أَنَا الَّذِي بِالْهَوَى مَازِلْتُ مُشْتَهَرًا لَاقِيتُ فِيهِ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ بَشَرُ
الْحَبِّ أَوَّلُهُ عَذَبٌ مَذَاقُهُ لَكِنْ آخِرُهُ التَّنْفِيسُ وَالْكَدَرُ
كَمْ تَيَّمَّ الْحَبُّ أَقْوَامًا وَذَلُّهُمْ وَكَمْ يَدُ الْهَوَى قَدَوَاتِ الْخَفَرُ
أَنْشَدَنِي ابْنُ أَبِي الرَّغَدِ :

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَا حَبٌّ وَصَفَتْ لَهُ^(٤) إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
الْحَبُّ أَوَّلُهُ عَذَبٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَزَازَةِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ^(٥)

أَنْشَدَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبَحْرِيُّ لِأَبِي الْعَتَاهَةِ .

وَكُلُّ أَمْرٍ بِمَا بِصَاحِبِهِ خَلُو^(٦) وَأَخْلَى بِي شَجَوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجَوٌ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النَّضْوُ^(٧) أَذَابَ الْهَوَى جَسْمِي وَلَحْمِي وَقَوِي
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْفَضَى ، غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خَلُو
وَمَا مِنْ حَبٍّ نَالَ ثَمَنٌ يَجْبُهُ هَوَى صَادِقًا إِلَّا سَيَّدَ خُلُهُ زَهْوُ
قَالَ وَأَنْشَدَنِي ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا :

الْحَبُّ يَتْرُكُ مَنْ أَحَبُّ مَدْلَمًا حَيْرَانٌ أَوْ يَقْضِي عَلَيْهِ فَيُسْرِعُ^(٨)
الْحَبُّ أَهْوَاهُ ثَقِيلٌ قَادِحٌ يُهْوِي الْجَلِيدَ مِنَ الرِّجَالِ فَيُسْرِعُ^(٩)

(١) أُشْرَى : أُنْشِدَ .

(٢) الْحَزَازَةُ : دَاءٌ يَطْرُقُ فِي الْجَسَدِ فَيَنْتَشِرُ وَيَتَسَّعُ ، وَهُوَ الْقَوْبَاءُ .

(٣) النَّضْوُ : الْمَهْزُولُ . (٤) دَلَّهُ : حَيَّرَهُ وَأَدْمَشَهُ .

(٥) الْجَلِيدُ : ذُو الْقُوَّةِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلَاقَةِ .

١٧ - باب ما في معرفة الهوى

وما كان اسمه في البداية أولاً

واعلم أنَّ الهوى عندم هو الهَوَانُ الصُّرَاحُ ، والبلاءُ المُتَّاحُ ، لأنه يهين
الكریم ، ويذلُّ العزیز ، ويُدَلُّه العاقل ، ويحطُّ منزلة الشریف .
وسُئِلْتُ أعرابية عن الهوى ، فقالت : الهوى هو الهَوَانُ ، وإنما غُلِطَ
باسمه ، واشتُقُّ من طبعه ، ولن يعرف ما أقول ، إلا من أبكته المنازل
والطلول ، وأنشأت تقول :

ليت الهوى لذوى الهوى لم يُخلَقِ بل ليت قلبى بالهوى لم يعلَقِ
إنَّ الذى علِقَ الهوى بفؤاده كنوطٍ دون النساءِ مُعلَقِ
لا يستطيع نزوله لشفائه لكن اليه كلُّ همٍّ يرتقى
إن الهوى لهو الهوانِ يعينه ما ذاقَ طعمَ الذلِّ من لم يشقى
وأنشدتُ لغيرها أيضاً :

إن الهوانَ هو الهوى نُقصَ اسمه فاذا هويتَ لقد لقيتَ هواناً
وإذا هويتَ لقد تعبدك الهوى فاختنَعَ حبُّك كائنًا من كانا
أنشدنا أبو عبد الله الواسطى لنفسه :

لم يذر ما يؤسُّ الحياةَ ولينها إلا الذين من الهوى يمكان
كم من عزيزٍ قد ألمَّ به الهوى فأقرَّ بعد كرامته بهوان
ليس الهوى إلا الهوانُ ونونه نُقصتْ كِفْلُ الزُّورِ والبُهتان
لين الحياةَ اذا نظرتَ وبؤسها بين الوصالِ وغصةِ الهجران
ما العشقُ عندي باختيارٍ إنما ذاك البلاءُ يتاحُ للإنسان

قال وأنشدني أبو العيْناء :

وما كَيْسٌ في الناس بِمُحَمَّدٍ رَأْيُهُ فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ في الحبِّ أَحَقُّ^(١)
وما من قَتِيٍّ ما ذاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ من الدَّهرِ إِلَّا ذاقَهَا حينَ يَعْشَقُ

١٨ - باب ما سئل عنه أهل العصر

من تمام خَلَّاتِ العشق

قال الأصمعيّ لأبي وائل الأضاخي : ما تقول في العشق ؟ فقال : إن لم يكن عَصَارَةً من الشجر ، فهو ضربٌ من الجنون ، وأنشأ يقول :
بقَلْبِي شيءٌ لست أعرف وَصَفَهُ على أنه ما كان فهو شَدِيدُ
تَمَرُّ به الأيَّامُ تَنْحَبُ ذَيْلُهَا قَبْلِي به الأيَّامُ وَهُوَ جَدِيدُ
لعمري إنَّ بذلك ما وجب لهم الدَّعاء ، فصار مفترضاً على الأدباء ، كالقرض اللائب ، والحقُّ الواجب ، الجليل الخطب ، وفادح الأمر .

أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعيّ قال : رأيت أبا السائب المخزومي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، بالرأفة والرحمة يا أرحم الراحمين ؛ فقلت : يا أبا السائب ، أفي هذا المقام تقول هذا المقال ؟ فقال : اليك عني ، الدَّعاء لهم أفضل من حَجَّةٍ بعمره ، ثم أنشأ يقول :

يا هَجَرٌ كَفَّ عن الهوى ودَعِ الهوى للعاشقين يَطِيبُ يا هَجَرُ
ماذا تريد من الذين جَفَوْنَهُمْ قَرَحَى وحَشَو صدورهم جَمْرُ^(٢)

(١) الكيس : العُزْف ، العُزْف ، العُزْف .

(٢) القرحة : الجراحة المتقدمة التي اجتمع فيها القيح .

وَسَوَاقِ الْعَبْرَاتِ فَوْقَ خُدُودِهِمْ مَطْلًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْقَطَرُ^(١)
صَرَخَى عَلَى جَنْبِ الْهَوَى لِشَقَائِهِمْ بِنَفْسِهِمْ يَتَلَاَعِبُ الدَّهْرُ
قَالَ : وَخَبَرْتُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ جَارِيَةً وَهِيَ تَقُولُ :
اللَّهُمَّ مَا لَكَ يَوْمَ الْقَضَاءِ ، وَخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، أَرْحَمَ أَهْلَ الْهَوَى
وَاسْتَقْذَمَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ ، وَاعْطَفَ عَلَيْهِمْ قُلُوبَ أَوْدَائِهِمْ بِالْصَفَاءِ ، فَإِنَّكَ
سَمِيعُ النَّجْوَى ، قَرِيبٌ لِمَنْ دَعَا ، ثُمَّ أَثْنَأْتُ تَقُولُ :

يَا رَبُّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّْ وَمَغْفِرَةٍ بَيْتٌ بِعَافِيَةٍ مِنْكَ الْمُحِبِّينَا
لَكَذَا كَرِنَ الْهَوَى مِنْ بَعْدَمَا سَهَرُوا حَتَّى يَظْلُوا عَلَى الْأَيْدِي مُكَبِّينَا
فَقُلْتُ : يَا هَذِهِ أَتَغْنِي وَأَنْتِ فِي الطَّوَافِ ؟ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، لَا يَرْهَقُكَ
الْحُبُّ ؛ قُلْتُ لَهَا : وَمَا الْحُبُّ ؟ وَأَنَا بِهِ أَعْرِفُ مِنْهَا ، فَقَالَتْ : جَلٌّ أَنْ يَخْنِي ،
وَدَقٌّ عَنْ أَنْ يُرَى ، لَهُ كَوْنٌ كَكَوْنِ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ، إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَاكَ ،
وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَارَى ؛ قَالَ : تَتَّبِعْتَهَا حَتَّى عَرَفْتَ مَنَظِلَهَا ، فَلِمَا كَانَ مِنَ الْعَدَا
مَطَرٌ شَدِيدٌ ، فَرَرْتُ بِبَابِهَا وَهِيَ قَاعَةٌ مَعَ أَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ^(٢) يَقْلُنُ لَهَا : لَقَدْ
أَضُرُّ بِنَا الْمَطَرُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَخَرَجْنَا إِلَى الطَّوَافِ ، فَأَثْنَأْتُ تَقُولُ :

قَالُوا أَضُرُّ بِنَا السَّحَابُ بِقَطْرِهِ لَمَّا رَأَوْهُ لَعَبْتُ بِنِي يَمْحِي
لَا تَعْجَبُوا عَمَّا تَرَوْنَ فَإِنَّمَا هَذَا السَّحَابُ لِرَحْمَتِي يَكِي
وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى وَلَا وَزَرَ ، وَأَنْ خَطَايَاهُمْ
تَمَحَّصَ عَنْهُمْ بِطُولِ بِلَائِهِمْ ، وَكَثْرَةِ زَفَرَاتِهِمْ ، وَمَا لَقُوا مِنَ الشَّقَاءِ بِأَوْدَائِهِمْ
وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبٍ ، عَنْ رَجُلٍ ذَكَرَهُ ، قَالَ :

(١) المطال : المطر الضعيف الدام . القطر : المطر .

(٢) زهر : مشرقات اللون أو الوجه .

كنت عند مالك بن أنس ، فأتاه شابٌ فقال : إني قد قلت آياتاً ذكرتكَ فيها فاسمها ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال لي : أحِبَّ أن تفعل ، قال : هات ، فقال :

سَلُوا مالَكَ الْمُفْتِيَّ عَنِ اللَّهِ وَالْعَصَى وَحُبَّ الْحِسانِ الْمُغْنِيَاتِ الْفَوَارِكِ
يُخْبِرُكُمْ أَنِّي مُصِيبٌ وَإِنَّمَا أَسْأَلُ هُمُومَ النَّفْسِ عَنِ بَنِيكَ
فَهَلْ فِي حُبِّ يَكْتُمُ الْحُبَّ وَالْهُوى أَنَا هَلْ فِي ضَمَّةِ الْمُتَهَالِكِ ؟
فَرَّيْتُ^(١) عَنِ مالِكَ وَقَالَ : لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَانَ ظَنُّ أَنَّهُ هِجَاءٌ .

أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، عن شيخ من عاملة ، قال : مرَّ ابنُ مَرْجَانَةَ الشَّاعِرِ بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ مَرْجَانَةَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : هَذَا الَّذِي يَقُولُ :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ مَفْتِيَّ الْأَمْرِ مَدِينَةَ هَلْ فِي حُبِّ دَهْمَاءَ مِنْ وَزَرٍ ؟
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ إِنَّمَا تَلَامُ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ
وَأَنَّهُ مَا سَأَلَنِي إِنْسَانٌ عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَلَوْ سَأَلَنِي لَأَجَبْتُ .

قال : وسئلُ شريك بن عبد الله القاضي عن العشاق ، فقال : أشدُّهم حبًّا
أَعْظَمُهُمْ أَجْرًا .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمُسْلِمُ :
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لَأَنْتَلُ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ : هَلْ فِي الْهُوى وَزَرٌ ؟
وَهَلْ فِي اكْتِحَالِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ دَرِيَّةٍ إِذَا مَا التَّقَى الْإِنْفَانِ ، لَا بَلَّ بِهِ أَجْرٌ
وَأَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ الْأَزْدِيُّ لِنَفْسِهِ :

(١) سرى عنه : زال عنه التَّحِبُّ أَوْ الْهَمُّ .

(٢) دَهْمَاءُ : اشْتَدَّ سَوَادُهَا حَتَّى ذَهَبَ الْبَيَاضُ . الْوَزَرُ : الْإِثْمُ .

ما العشق في الأحرار مستنكرٌ وما على العاشق من وزر
قال وأنشدني الجناش :

إذا قبل الإنسان يشتهي ثأياه لم يأثم وكان له أجر
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وزر
وقال سائب راوية كثير : حضرت مع كثير عداين أبي عتيق ، فأنشدنا
أبيات ابن قيس الرقيات التي يقول فيها :

خبروني : هل على رجل عاشق في قبلة حرج ؟
فقال كثير : لا إن شاء الله ، ونهض
وأنشدني علي بن العباس بن الرومي :

أيها العاشق المذبذب اضرب غطيات ذى الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أحط لذنب من غزاة وحجة مبرورة (١)
وقال المؤمل ، وأحسن والله في قوله :

صِفْ للأحبة ما لقيت من سهر إن الأحبة لا يدرون ما السهر
حسب المحبين في الدنيا عذابهم والله لا عذبهم بعدها سقر
وقال الأصمعي : رأيت جارية بالطواف وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقه عملاً يوماً وعاشقها خيراً من مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لا شك مأجور
فقلت : يا جارية ، أفى هذا المقام ، أما حياءٌ فيردك فأنشأت تقول :

ييض أوانيس ما هممن برية كطباير مكة صيدهن حرام
يخصن من لين الكلام زوانيها ويصدن عن الحنا الاسلام (٢)

(١) البرور من الأفعال : ما لا شبهة فيه ولا كذب .

(٢) الحنا : الفحش .

وقد قيل أيضا: إن قتيل الهوى لا قود له^(١)، وإن دعا أهل الهوى بطل وتهذر
ومن ذلك ما حكى عن ابن عباس أنه أتى بشاب محمول قد صار كالشن^(٢)
البالي، قيل له: استشف الله لهذا المريض يا ابن عم رسول الله،
قال له ابن عباس: ما عليك يا قتي؟ فلم يجهر إليه جوابا، ثم رفع رأسه،
وقال بلسان فصيح طليق:

به لوعة لو تشكى الصم مثلها قَطَرَتِ الصَّمُ الصَّلَابُ وَخَرَّتِ
وَلَوْ قَسَمَ اللَّهُ الذِي بِي مِنَ الْهَوَى عَلَى كُلِّ نَفْسٍ حَظًّا مَا أَبْلَتْ
ثُمَّ خَفَتْ خَفَةً، ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

بنا من جوى الحب المبرح لوعة تكاد لها نفس الشفيق تَذُوبُ
ولكننا أبقي حُشاشة ما ترى على ما به عودُ هناك صليب^(٣)

قال ابن عباس: من الرجل؟ فقال: من بني عذرة، ثم شق شهقة
فات، فقال ابن عباس للجلساء: هل رأيتم وجهها أليق، ولسانا أدق من
هذا؟ هذا والله قتيل الهوى، لا قود له ولا دية، وإلى أرغب في العافية
مما نرى.

وأشد أحمد بن يحيى ثعلب:

إذا من ساقطن الحديث لذي الهوى سقوط حصى الرمان من كف ناظم
رمين فأصمى القلوب فما ترى دما سائلا إلا جوى في الحيازيم^(٤)
فأى دم لو تعلين جنته على الحر جاني غير مثله غير سالم

(١) القود: القصاص. (٢) الشن: القرية الخلق.

(٣) الحشاشة: بقية الروح في المرض والجروح.

(٤) أصمى الصيد: رماء قتله مكانه.

أما أنه لو كان غيرك أرقلت إليه القنا بالمرهفات الصواريم^(١)
ولكن وبيت الله ما ظل مسلماً كُفِّرَ الثنايا واضحاكت المعاصم^(٢)
وأنشدني عبد الله الواسطي لنفسه :

فَضَى الله في القَتْلَى قصاصَ دِمَائِهِمْ ولكن دماء العاشقين جُبَارٌ^(٣)
تطلُّ دماء العاشقين وتأرها لدى الحدقِ المرضى وذلك ثار
قال الأحوص بن محمد الأنصاري ،

مانذُكِرُ الدهرُ لِسُعْدَى وإن بعدت إلا تَرَقَّرَقَ ماء العين فاطردا
يا للرجالِ لمقتولٍ بلا تِرةٍ لا يأخذون له عقلاً ولا قوداً^(٤)
وحدثني العزى أبو علي ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن عبد الله بن
مسلم بن جندب عن أبيه قال : خرجتُ مع أبي سفيان ، فلقينا نوسةً ينظرون
العقيق ، فيهن امرأة حسناء العين ، فقال أبي :

ألا يا عيكاد الله هذا أخوكم قتيلاً فهل فيكم به اليوم ثائرٌ ؟
خُذُوا يَدِي إن مُتُّ كلَّ خريدةٍ مريضةٍ طُرفِ العين والجفن ساجِرٌ^(٥)
قال : فالتفتت إلى امرأة ، فقالت : يا بُنَيَّ احتسب "أباك واغتم نهيييك"^(٦)

(١) أرقل : أسرع .

(٢) طل الدم : مدر ، أو لم يثار له .

(٣) جبار : الحذر ، يقال : ذهب دمه جباراً ، أي لم يؤخذ بثأره .

(٤) الترة : الثار . العقل : الدية .

(٥) الخريدة : من النساء : البكر التي لم تمس قط ، وقيل : هي الحية الطويلة
السكرت الخافضة الصوت الخفرة المسترة قد جاوزت الأعصار ولم تنس .

(٦) احتسب : قنعه كبيراً .

(٧) تناهت الإبل الأرض : أخذت بقوائمها منها أخذاً كثيراً ، والمراد : انتهر
سرعة سابقك وفر .

فان قَتَلْنَا لَا يُودَى^(١) . وأسيرنا لَا يُقْدَى^(٢)

وأنشدني أحد بن يحيى ، لجرير بن الخطمي :

مَلْ فِي النُّوَاكِ لَيْنَ قَتْلَنْ مِنْ قَوْدٍ أَوْ مِنْ دِيَاثِ لِقَتْلَى الْأَعْيُنِ الْخَوْدِ
تَبَيْتَ لِيْلَكَ فِي وَجْدٍ نَحْمِرُهُ كَأَنَّ فِي الْقَلْبِ أَطْرَافَ الْمَسَاكِينِ
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَحْزُونٍ أَضْرَبَهُ بَرْحُ الْهَوَى وَعَذَابُ غَيْرِ تَغْيِيرِ

وقال أيضا :

إِذَا كَحَلَنْ عَيْوَنًا غَيْرَ مُقَرَّةٍ رَيْشَنْ نَيْلًا لِأَصْحَابِ الصَّبِيِّ صُيْدَا^(٣)
مَا بَالُ قَتْلَاكَ لَا تَخْشَيْنَ طَائِلَهُمْ لَمْ تَخْشَنِ دِيَةَ مِنْهُمْ وَلَا قَوْدَا

وقال عمر بن لُجَأ :

تَرَأَيْتَ كَيْ تَكِيدُكَ أُمُّ قَهْرٍ وَتَكِيدُكَ بِالتَّبْرِحِ مَا تَكِيدُ
وَكَيْفَ قَتَلْتِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَلَا قَوْدَ عَلَيْكَ وَلَا حُدُودَ
وقال أعرابي ، وما أساء :

أَقَاتَلْتِي يَا لِلرَّجَالِ حَيَّةٌ إِلَى بَلَا جُرْمٍ لَدَيْهَا وَلَا ذَخْلٍ
فَقِيمَ دِمَاءِ الْعَاشِقِينَ مُضَاعَةً بَلَا قَوْدٍ عِنْدَ الْحِسَانِ وَلَا عَقْلٍ
وأحسن واقعه المُوَئِلُّ حيث يقول :

إِنِّي قُتِلْتُ بَلَا جُرْمٍ وَقَاتَلْتِي يَا قَوْمَ جَارِيَةٍ فِي طَرْفِهَا حَوْرُ^(٤)

(١) ودى القاتل القَتِيل : أَعْلَى دِيَتِهِ .

(٢) قدى الرجل من الأسر : اسْتَفْتَنَهُ بِمَالٍ أَوْ سِوَاهُ .

(٣) المقررة : المتهمة . ريش السهم : لَوْحٌ عَلَيْهِ الرِّيشُ .

(٤) حور العين : اشْتَدَادُ بَيَاضِ يَاضِهَا وَسَوَادُ سَوَادِهَا .

لَمَّا رَمَتْ مُهَجَّتِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلًا مَالَهُ خَطَرُ
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍّ فَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرٍّ
شَكُوتُ مَا بِي إِلَى هِنْدٍ فَاسْتَرَكْتُ يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِالْحُبِّ فَانْطَلِقِي إِلَى الْقُبُورِ قَعِيمَنَ حُلَاهَا عَيْرُ

وقد قيل أيضا : إن قَتِيلَ الهوى شهيدٌ على ذلك أجمع ، فالله يعلم للأدباء
وأهل العلم والظرف لموجود الأخبار ومُسند الآثار

حدثنا قاسم الزُّبَيْدِيُّ ، بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَعَشَّقَ فَعَفَّ فَهُوَ شَهِيدٌ
وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ الْعُقَيْلِيُّ :

قُرْبُ دَارِ الْحَيْبِ قَرَّةٌ عَيْنٍ وَكَأَنَّ الْبَعَادَ فِي الْقَلْبِ تُكْلُ
إِنْ مَوْتَ الَّذِي يَمُوتُ مِنَ الْحُبِّ بَعْ عَفِيفًا لَهُ عَلَى النَّاسِ فَضْلُ
وَلِبَعْضِ الْمُنَادِّينَ :

لَبِئْسَ مُتًى وَالْهَوَى دَاءُ قَلْبِي إِنْ مَيَّتَ الْهَوَى لَمَيَّتْ شَهِيدُ
وَلَقَدْ أَحْسَنَ جَمِيلٌ حَيْثُ يَقُولُ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَوَادِي الْقَرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْوَةً وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرَ هَذَا أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ يَنْهَنُ بِشَاشَةٍ وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ
وَمَلَحَ الْحَكَمِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَقَدْ كُنَّا رَوَيْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ
عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ

قال من مات حُبًّا فَلَهُ أَجْرُ الشَّهَادَةِ
واعلم بأنَّ العشق يحسن بأهل العفة والوفاء ، ويقبح بأهل العهر
والنِّكَاحِ ، مع أنَّ الهوى قد فسد وقلَّ الوفاء ، وكثرت الحياة والغدر ،
واستعمل الناس في العشق شيئاً ليس من سُنَّةِ الظرف ولا من أخلاق
الظرفاء . وذلك أنَّ أحدهم متى ظفر بحبيبه ، وأصاب الغفلة من رقيه ،
لم يفتَّ دون طلب المعنى ، فهذا فسادُ الحبِّ ، ودمارُ العشق ، وبطلانُ
الهوى ، وتكديرُ الصِّفاء .

أنشدني عبد الحميد الملقب :

قَدْ فَسَدَ الْحُبُّ وَهَانَ الْهَوَى وصار مَنْ يَعْشَقُ مُسْتَحْجِلاً
يريد أن يَنْصَحَ أَحِبَّائِهِ من قَبْلِ أَنْ يَسْهَرَ أَوْ يَنْحَلَّ
ولاحد بن أبي قَنٍ في مثل ذلك :

أَنَا لَا أَبْدَأُ بَغْدِرٍ أَبَدًا فَاذَا مَا غَدِرْتُ لَمْ أَتْرُكْ^(١)
وَاجِدًا مِنْهَا بَدِيلًا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ مِنِّي بَدِيلًا لَا تَشْكُ
أَتَرَانِي أَقْعُدُ اللَّيْلَ لَهَا سَاهِرًا أَطْلُبُ وَصْلًا قَدْ هَلَكَ
وَهِيَ فِيهَا تَشْتَهِي لَاهِيَةً مِثْلَ إِنْ دَارَ بِهِذَيْنِ فَلَاكَ
كَانَ لِلنَّاسِ وَفَاءٌ مَرَّةً فَانْقَضَى وَانْحَلَّتِ الْيَوْمَ التَّكَاكُفُ
وحدثني أبو العيناء قال : حدثني الجاحظ قال : كتب بعضُ الظرفاء
إلى مُلْكٍ جاريةً أسمى جعفر :

بِأَمْلِكُ قَدْ صَرْتُ إِلَى خُطَّةٍ وَكُنْتُ فِيهَا مِنْكَ ذَا ضَمِيمٍ
يُلَوِّمُنِي النَّاسُ عَلَى حُبِّكُمْ وَالنَّاسُ أَوْلَى فَيْكِ بِاللَّوْنِ

(١) اترك : أهمل ، أغفل .

فكبت اليه :

إِنْ تَكُنِ الْعُلْمَةُ هَاجَتْ بِكُمْ فَسَكُنِ الْعُلْمَةَ بِالصَّوْمِ^(١)

ليس بك الشوق ولكننا تدور من هذا على الكوم^(٢)

واعلم أن العشق لا يكون مع الفسق ، ومتى مازج العشق الفسق ضعفت قواه ، وانقصمت^(٣) عراه^(٤) وهم لا يريدون غير الرفق^(٥) ، ويسمونه مسامير الحب ؛ وزعموا أن أسباب الحب لا تتصل إلا به ، ولا يزال مُنحلاً حتى يشدها ذلك ، وينشدون :

العشق داءٌ دَوِيَّ لا دَوَاءَ لَهُ إلا العِناقُ وإِفْشاءُ السَّرِيرَاتِ
وليس يلتذ طيبُ العيش من أحدٍ إلا بِعِضِّكَ أَوْ رَشْفِ التَّنِيَّاتِ
وَوَضْعِكَ الصَّدْرِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ صَمًا إِلَيْكَ عَلَى ظَهْرِ الْحَشِيَّاتِ
وينشدون أيضاً في مثل ذلك :

رَأَيْتُ الْحَبَّ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ سِوَى وَضْعِ الْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ
وَالصَّاقِ التَّنَائِيَا بِالتَّنَائِيَا وَأَخْذِ الْمَتَاكِبِ وَالْقُرُونِ
وقد ناظرتُ بعضهم مرَّةً من المِرَرِ ، فاحتجَّ بخبر ابن عباس ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاحتجُّوا بظاهر الخبر ، ولم يفحصوا عن التأويل ، وهذا خلاف ما يفعل أهل الظرف والأدب ، وغير هذا جاء عن العرب .

وقد بلغني عن الأصمعي أنه قال : قلت لأعرابي مرَّةً : ما العشق فيكم ؟

(١) غل غلة : كان متقاداً للشهوة .
(٢) الكوم : الفرج .
(٣) انقصمت : انكسر .
(٤) عراه : جمع عروة : ما يوتق به .
(٥) الرفق : التكلُّم بالنعش .

قال: النظر بعد النظرة، وإن كانت القبة بعد القبة، فهو الوصول إلى الجنة !
قلت: ليس العشق عندنا كذلك؛ قال: فاهو عندكم؟ قلت: تفرق بين
رجلبها وتحمل نفسك عليها !! فقال: بأبي أنت، لست بعاشق، إنما أنت
طالب ولد.

١٩ - باب ما جاء في عفيف في محبة

ورعى عقود عهود مودته

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك، ولا صمد نحوه، وقد كان
الواحد منهم يعشق من أول دهره إلى آخره، لا يحاول فسقا، ولا يقرب
رفنا، ولم يكن لهم مراد إلا في النظر، ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة،
والحديث والشعر، كما قال الفرزدق:

وجدتُ الحبَّ لا يشفيه إلا لِقَاءُ يَقتلُ العَلَلُ النَّهْلَا
أُحِبُّ من النساءِ وهنَّ شَيَّ حَدِيثَ النَّزْرِ وَالْحَدَقَ الْكِلا
مَوَاقِعَ الْحَرَامِ وَكُلَّ نَحْسٍ وَتُبْدِلُ ما يَكُونُ لَهَا حَلَالًا

وكان الواحد منهم إذا تعلق خلة لم يفارقها حتى الممات، ولم يشغل
قلبه بغيرها، ولم يهتم بالسلو عنها، وقصر طرفه عن سواها، وكذلك هي
أيضا، كانت له بتلك المنزلة، فأَيُّها ملك صاحبه، قتل الآخر نفسه
في أثره، أو عاش حافظ الوَدِّ، قائما بعهده، لا يفسى ذكره، ولا يهل غيره؛
فاستحسن الناسُ المللَ والاستبدال، والغدر والانتقال، ومارأشدهم ظرفا،
وأحسنهم إلفا، يعشق السنين الكثيرة، والدهور الطويلة، ويتوهم بفعله
أنه عاشق، فإذا فقد حبيبهُ يوما واحدا استبدل به سواه، وينشدون في ذلك:

إِفْتَرَّ بِآخِرٍ مَنْ بَلَيْتَ بِحُبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَتَشْكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ
وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ شَعْرِ ظَرِيفٍ، أَوْ مِنْ فَعْلِ حَصِيفٍ،
وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي حَيْثُ يَقُولُ :

الْبَيْنُ جَرَعْنِي فَبِيعَ الْحَنْظَلُ وَالْبَيْنُ أَتَكَلَّنِي وَإِنْ لَمْ أَتَكَلِّ (١)
مَا حَسَرْتُ أَنْ كِدْتُ أَفْضِي إِلَيْهَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ (٢)
نَقَلَ قَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَى وَحَيْنَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلٍ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ اتَّعَنَلُ مِنْ حَبِيبٍ أَوَّلٍ إِلَى حَبِيبٍ ثَانٍ بِحَسَنِ، وَإِنَّمَا الْحَبُّ
مَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، فَلَمْ يَجِدِ التَّخْلَصَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ جَرِيرُ :

أَخْلَدَ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ
هَوَى بِتِهَامَةٍ وَهُوَ بِنَجْدٍ فَتَبَلَّغَنِي التَّهَامُ وَالنُّجُودُ (٣)
وَلَا كَقَوْلِهِ أَيْضًا :

أَحِبُّ نَرَى نَجْدٍ وَبِالْعَوْرِ حَاجَةً فَفَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا
وَلَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنِّي سَأُبْدِي الْحَبَّ فِيمَا أُبْدِي لِي شَجَنَكَ شَجْنٌ بِنَجْدٍ (٤)
وَشَجْنٌ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ

(١) البين : الفراق . جرعتني : سقاني . بالما . الحنظل : نبت مر . أتكلني : أقذفني .

(٢) كدنت : فرقت . أفضي : أموت .

(٣) تهامة : بلاد جنوبي الحجاز . نجد : قسم من بلاد العرب مرفق أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراق والشام .

(٤) الشجن : الهم ، الحزن .

ولا كقول الآخر :

هَوَى بِالْعُزَّى لِي وَهَوَى بِتَجْدٍ فَا أَدْرِ أَأَنْجِدُ أَمْ أُغَوِّرُ^(١)
بِكُلِّ حَاجَةٍ وَهَوَى مُقِيمٌ بِقَبْلِكَ قَدْ تَضَمَّنَتْهُ الصَّمِيرُ
بِشَرْقِي الْعِرَاقِ يَبَابُ عَمْرُو وَبِالْعَوْدَيْنِ زَيْنُ وَالْقُدُورُ
هَذَا وَاللهُ مِنْ أَلْفَاظِ الشَّعْرِ أَسَمَجُ جَدًّا ، وَقَدْ كَذَبَ هَؤُلَاءِ وَادَّعُوا
وَجَدًّا ، وَهَلْ يَجْتَمِعُ وَجْدَانِ فِي مَوْضِعٍ ؟ وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ جَمِيلٌ ،
حَيْثُ يَقُولُ :

وَقُلْتُ لِنِسْوَانٍ تَعْرِضُ دُونَهَا إِيكَنَّ إِنِّي غَيْرُكَ^(٢) أَرِيدُ
وَحَيْثُ قَالَ أَيْضًا :

وَكَمْ مِنْ بَدِيلٍ قَدْ وَجَدْنَا وَطُرُقَ فَنَأْتِي عَلَى النَّفْسِ تِلْكَ الطَّرَائِفُ
فَهَذَا هُوَ الصَّادِقُ الْهَوَى ، الْخَالِصُ الْوَفَاءُ ، لَا جَرِيرَ وَصَاحِبِهِ ، وَلَا
الَّذِي يَقُولُ :

أَرَى ذَا فَأَهْوَاهُ وَأَبْصَرَ غَيْرَهُ فَأَتْرَكَ ذَا ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِذَا عِشْقًا
ثُمَّ انُون لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحِبُّهُمْ وَمَا فِي قَوَادِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُبْقَى
فَقَبِّحَ اللهُ هَذَا اللَّفْظَ لَفْظًا ، وَلَا أُعْطِيَ قَائِلُهُ حَقًّا ، فَلَيْسَ مِنْ شَعْرِ وَاقٍ^(٣)
بَلْ هُوَ مِنْ فَعْلٍ مُمَّا ذُقُ^(٤) : وَلَا وَاللهُ مَا التَّنْقِيلُ مِنْ شَأْنِ الْأَدْبَاءِ ، وَلَا الْاسْتِدْالُ
مِنْ فَعْلٍ الظُّرْفَاءِ ، وَإِنَّمَا الْهَوَى مَا حَسُنَ سَرِيرَتُهُ ، وَهِيَ أَنْ ذُو الْوَدَادِ
الْخَالِصُ ، وَالصَّفَاءُ الدَّائِمُ ، وَالْحُبُّ الْإِلَازِمُ ، وَذُو الْخِفَافِ ، وَرِعَاةُ الْعُيُودِ ،
وَالْمُتَمَسِّكُونَ بِالْوَفَاءِ ، وَالرَّاعِبُونَ فِي صَحِيحِ الْأَخَاءِ إِلَيْكَ ، فَقَدْ تَنَقَّضَتْ وَثَائِقُ

(١) النور : ما انحدر واطمأن من الأرض . والتجد : ما أشرف من
الأرض وارتفع .

(٢) الواثق : المحب . (٣) الماذق : من كان وده غير خالص .

الحب ، وانقصمت عرى الهوى ، وتقطعت أسباب العشق ، وتكدّر صافي المودة ، والناس كما قال الشاعر :

قَلَّ الثَّغَلُ فَا أَذْرَى بَيْنَ أَثَقٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الزُّورُ وَالْمَلَقُ
وإنَّ الغدر في النداء طبع ، والمطل منهم غريزة ؛ وهو في النساء أكثر منه في الرجال ، فقد أنشدني بعض الأدباء :

وَكُنَّا جَعَلْنَا اللَّهَ شَاهِدَ يَبْنِنَا وَفِي اللَّهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْدُ (١)
فَنَحْسِتُ بَعْدَ اللَّهِ لَوْ تَعْلِينَهُ وَفِيكَ مَنْ لَيْسَ لَهُنَّ عَهْدُ (٢)
واعلم أنهن لا عهود لهن ، ولا وفاء لهن ، ولا دوام لودهن ؛ وإن أقبج ما روى عن غدرهن ، ما حدثني ابن أبي خيثمة ، عن شيوخه : أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأحبها حباً شديداً شغلته عن تجارتها ، فأمره أبو بكر فطلقها ، ثم اطلع (٣) عليه وهو يقول :

فَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تَطْلُقُ
لَهَا خَلْقٌ سَهْلٌ وَحُسْنٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلْقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْطِقُ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مُعَلِّقُ
أَعَاتِكَ لَا أُنَاكِ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّقُ
فرق عليه أبو بكر ، وأمره فراجعها ، فقال لما رجعت إليه :

أَعَاتِكَ قَدْ طُلِّقْتَ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ وَرُوجِعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَايِدٌ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أُلْفَةٌ وَتَبَايُنُ (٤)

(٢) خاس بالوعد : نكك وغدر .

(٤) بآينه : هاجره .

(١) البين : الصداقة .

(٣) اطلع عليه : أتاه فجأة .

وما زال قلبي للفرق بائن قلبي لما قد قرب الله ساكن
لِبنكِ أني لم أجد منك سخطاً وأنك قد جئت عليك المحاسن
وأنت بمن زين الله أمرها وليس لما قد زين الله شائناً
فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف ، رُمى بهم فأت ، فجزعت عليه
جزعا شديدا ، وقالت تربيته :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكْ عَنِّي حَرْبَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكْ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ قَتَى أَشَدُّ وَأَحْمَى فِي الْمِجَاجِ وَأَصْدَرَا
إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسِنَّةَ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرَّمْحَ أَشْفَرَا
ثم خطبها عمر بن الخطاب فزوجها ، فأولم عليها ودعا أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال له علي بن أبي طالب : إِيذَنْ لِي لِأَدْخُلَ
رَأْسِي إِلَى عَائِكَةَ أَكَلَّمَهَا ، قال : افْعَلْ ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَ ، يَا عَدِيَّةُ
نَفْسَهَا ، أَهَكَذَا كَانَ قَوْلُكَ :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكْ عَنِّي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكْ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَبَكَتْ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ، فَقَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، إِنَّهُمْ
يَفْعَلُونَ هَذَا ، قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَغْلِبَهَا أَنَّهَا لَا عَهْدَ لَهَا ، فَكَثُرَتْ عِنْدَهُ حَتَّى
قَتَلَ عَنْهَا ، قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ ، فَقَالَتْ تَرْبِيته :

عَيْنِ جُودِي بِبَرْقٍ وَنَجِيبٍ لَا تَمَلِّ عَلَى الْأَمِيرِ التَّجِيبِ
فَجَعَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعَةِ لَمْ يَوْمَ الْمِجَاجِ وَالتَّائِيْبِ
عِصْمَةُ اللَّهِ وَالْمَعِينُ عَلَى الْهَمِّ رَغِيَاكُ الْمَلُوفِ وَالْمَكْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرُّ مَوْتُوا قَدْ سَقَتَهُ الْمَنُونُ أُمُّ الرُّقُوبِ

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فكنيت عنده حتى قتل عنها ، منصرفا من
الجلل بوادي السباع ، قتله ابن جرّموز ، فرثته ، وفيه تقول :

عَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بَهْمَةً يَوْمَ اللِقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ^(١)
يَا عَمْرُو لَوْ تَبَيَّنَتْ لَوْجَدْتَهُ لَا طَائِشًا زَغَبَ الْجِنَانِ وَلَا أَلِيدٍ
تَكَلَّتْكَ أَهْلُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسَلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

فخطبها على بن أبي طالب ، فبعثت اليه : إني لأضربك عن القتل ، وإني
استحييت فامتنعت ، وقد تزوجت باثنين من بعد قولها :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكْ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكْ جِلْدِي أَغْبَرَا
قال : وحدثنني أبو الفضل الربيعي ، قال : حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي ،
قال : حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال : دخلت المدلة البكرية زوجة المغيرة
ابن أبي ضمام البكري ، وكان يحبها حبًّا شديدًا ، على المغيرة بن أبي عقيل ،
مخاصم في بعض أمورها ، فلما خرجت المدلة ، قال : أنت الذي يقول فيك المعذل :

قُلْ لِلْمُدَّةِ طَالُ ذَا التَّعْدِيدِ فَدَعِ التَّعْلُلَ وَالْمِطَالَ قَلِيلًا
ويزيدها حُلَى النِّسَاءِ مَلَا حَةً وَيَزِيدُ ذَلِكَ بَعْضُهُنَّ خُبُولًا ؟
قالت : نعم ، قال : فلم تزوجت بعده ، أفَ لَكُنَّ ؟ قالت : أَتَنْصِفُ ،

مَا كُنْتُ بَدِيًّا ، وَمَا كُنْتُ بَنِيًّا !! فَضَحَكَ مِنْهَا وَأَمَرَهَا بِالْأَنْصَرَفِ .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ خَنْعَمَ ، فَوَجَدَ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَأَتَمَّ تَحَالُفًا أَلَّا يَتَزَوَّجَ أَحَدُهُمَا بَعْدَ
صَاحِبِهِ ، فَاتَّ قَبْلَهَا ، فَتَزَوَّجَتْ ، فَلَمَّا بَعْضُ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْتَ

تجددين به ؟ فأنشأت تقول :

وقد كان حبيّ ذاك حباً مبرحاً وحبيّ لداً ، إذ مات ذاك ، شديد
وكان هواي عند ذاك صبايةً وحبيّ لنا طول الحياة يزد
قلماً مضى عادت لهذا مودتي كذاك الهوى بعد الذهاب يود

وقال صالح بن حسان : لما احتضر حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي ، فقال :
ما يُبكيك ؟ قالت : علي فراقك ابن عمّ ، قال : مه ما صنعت ، فأياك أن
تسكني عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وقد علم أن أحداً لا يجترئ على خطبتها
غيره ، قالت : ما كنت لأفعل ؛ وهلك وله منها عبد الله بن حسن وإبراهيم
ابن حسن ، فلما انقضت عدتها دعت مولاة لها يقال لها زير ، فقالت :
إني عبد الله بن عمرو يقول له : أعرنا بفكك الشبهاء برحالتها ، فإني
قد أردت أن أسير إلى بعض أموال ولدي بالعالية ، فأنته فقال : يا زير
إلو كان لي إلى مولاتك سبيل ؟ أرحلوا لها البغلة ، فلما جاءت قالت : هل
لقيته ؟ قالت : نعم ، قالت : فاقالت لك ؟ قالت : قال : لو كان لي إلى مولاتك
سبيل ؟ قالت : ويلك ، وأين المذهب عنه ؟ فرجعت زير فدخلت عليه
وأعلته ، فأرسل إليها فخطبها فزوجته ، وولدت له الهيثم ومحمد ورؤية
وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة .

وروي عن سيبك بن حرب أنه قال : كانت العرب تقول : لم تنه امرأة
قطاً عن رجل إلا تزوجته .

وقال ابن عباس : حدثني شيخ من بني ضبة قال : كان رجل مناظرياً
شريفاً احتضر ، فبينما هو يمجد بنفسه وبني له يسمي معمر يدب بين يديه ،
فنظر إليه وبكى . ثم التفت إلى امرأته فقال يا هذه :

إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فَتَسْكِحَنِي وَيَقْذِفَ فِي أَيْدِي الْمَرَاضِعِ مَعْمَرٌ
فَالَتْ سَتُورٌ بَعْدَهُ وَوَلِيدَةٌ وَأَشْغَلَهُمْ عَنْهُ نَحُورٌ وَمِجْمَرٌ^(١)

قالتُ : ما كنتُ فاعلةً ، قال الشيخ : فوالله ما انقضت عنها عدتها حتى
تزوجت بشاباً من الحَيِّ ، ورأيتُ معمرًا كما وصف
قال : وأنشدني بعض الشعراء :

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذَا لَجَاهِلٌ مَغْرُورٌ
كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا غَايَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَمُورٌ^(٢)

وإنَّ الوفاءَ فيهنَّ عزيزٌ غيرُ موجودٍ ، والله لئن كان كذلك ، وعُرفن
بذلك ، ففي الرجال من هو أكثرُ منهنَّ غدرًا ، وأسرعُ منهنَّ ختَرًا ، وأسمحُ
منهنَّ تنقلاً ، وأقبحُ منهنَّ تبدُّلاً

خُبِرْتُ عن الأصمعي قال : كان رجلٌ من الأعراب يُظهِرُ الوجد لا مرأته ،
والحبَّ لها ، وكانت تُظهِرُ له مثل ذلك ، فتعاهدُ ألا يتزوجَ منهما الباقي بعد
صاحبه ، فاخترمتُ^(٣) المرأةَ قبله ، فخطبَ الرجلُ امرأةً من يومه ذلك ، فقيل له :
أخطبَ بعدَ يمينك وعهدك ؟ فقال :

خَطَبْتُ كَأَلَوْ كُنْتُ قَدُمْتُ قَبْلَهَا لَكَانَتْ بِلَا شَكٍّ لَأَوَّلُ خَاطِبٍ
إِذَا غَابَ بَعْلٌ كَانَ بَعْلٌ مَكَانَهُ وَلَا بَدَلَ مِنْ آتٍ وَآخَرَ ذَاهِبٍ

(١) المِجْمَرُ : ما يوضع فيه النار المتقدة .

(٢) خَيْتَمُورٌ : كلُّ شَيْءٍ يَتَلَوَّنُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ ، وَالْخَيْتَمُورُ : النَّادِرُ ، وَقِيلَ الذَّنْبُ ،
سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُ وَلَا وِفَاءَ . وَامْرَأَةُ خَيْتَمُورٍ : لَا يَدُومُ وَدَمًا ، مُشَبَّهٌ بِذَلِكَ ؛
وَيُرْوَى الْبَيْتُ :

كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ جِهًا خَيْتَمُورٌ
وَالْغَايَةُ : النِّهَايَةُ . وَالْآيَةُ : الْعَلَامَةُ .
(٣) اخْتَرَمْتُ : مَاتَتْ .

وخبّرت أن بعض ولادة اليهود كانت له جارية ، فكان يُظهر الليل إليها ، والاستهتار بحبها ، وكان يقول لها : إذا أفضت الخلالة إليه أن يفضلها على نسائه ، ويقدمها في البرّ والكرامة عليهن ، فلما بلغ من ذلك أمه ، جفاها وأطرحها وقلاها^(١) ، فكتب إليه :

أَيْنَ ذَلِكَ الْوُدُّ وَالْقَبُولُ وَأَيْنَ مَا كُنْتَ لَنَا تَقُولُ ؟
فكتب إليها :

قد قال في أشعاره لَيْيْدُ يَا حَبْدَا الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ
فعلت أنه لا حاجة له فيها

فهذا في التسبح يتجاوز غدر النساء ، ويعلو على كثير من جنائيات الإماء ، وإنهنّ والله — على ما فهمن من الغدر والحياة والشر — لربما عشقن فاشتهرن ، ووفين فأحسنّ

وإنّ من حسن ما بلغ من وقاهنّ : ما صنعه ابنة الفرافصة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان من قصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة بن الأخوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فكتب إلى سعيد : أما بعد ، فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فكتب الي بنسبها وجمالها ؛ فكتب إليه سعيد : أما بعد ، أما نسيها فهي ابنة الفرافصة بن الأخوص ، وأما جمالها فيضاً مديدة ، والسلام . فكتب إليه عثمان : إن كانت لها أخت فزوجنيها ، فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناته على عثمان ، فقال الفرافصة لابن له يدعى ضبّا . وكان قد أسلم وأبوه نصراني : يَا بُنَيَّ زَوِّجْ

(١) أطرحها : أبعدما . قلاها : أبغضها .

عثمان بن عفان أختك ، فزوجه ؛ فلما أراد حملها ، قال لها أبوها : أى بُية ،
إنك ستقدمين على نساء قريش ، ومن أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عني
اثنين ، تكحلي وتطيلي بالماء . حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين ؛
فلما حُلّت شق عليها العُربة ، واشتاقت إلى أهلها ، فقالت :

ألسَ تَرى يا صَبُّ بالله أننى مُصاحبةٌ نحو المدينة أُرْكبا
إذا قطعوا خرقاً تخبُّ ركبها كما زعزت ريحُ برأعاً مقصباً
لقد كان في أبناء حصنِ بنِ ضَمَضَمٍ لك الويلُ ما يُفني الحياءَ المُطَنِّباً^(١)

فلما قدمت على عثمان بن عفان ، قعد على سرير ، وألقى لها سريرا حباله ،
فجلست عليه ، ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع ، فقال : يا ابنة الفرافصة
لا يهولُكَ ما ترين من الصلع ، فإن من ورائه ما تحبين ، قالت : إني لئن
نسوة أحبُّ بعولتهنَّ إلينَّ الكهول البيض السادة ، فقال : إماماً أن تقومين
إلى ، وإماماً أن أقوم إليك ، فقالت : ما تحشمتُ من كراهة جنبات السماوة
أبعدُ مما بيني وبينك ، ثم قامت إليه فجلست إلى جانبه ، فمسح رأسها ، ودعا
بالبركة ، وقال : اطرحي عنك خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اخلعي درعك
فخلعته ، ثم قال : حُلِّي ازارك ، فقالت : ذاك إليك ، فخله ، فكانت من أحلى
نساته عنده ؛ فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف ، فألقت
نفسها عليه ، ففرض عجيزتها ، وكانت من أعظم النساء عجيزة . فقالت : أشهد
أنك فاسق ، لم تأت غضبا لله ولا لرسوله ، فأهوى إليها بالسيف ليضربها ،
فألقته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها ، فلما قتل عثمان ، قالت فيه ترثيه :
ألا إن خير الناس بعد نبيه قتلُ التجوي الذي جاء من مصر

(١) طلب البيت : شیده بالأطناب . والأطناب جمع ظنب ، وهو حبل طويل يشد به
سراق البيت .

وَمَالِي لَا أَبْكِي وَتَبْكِي قَرَاتِي وَقَدْ ذَهَبَتْ عَنَّا فَضُولُ أَبِي عَمْرٍو
فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْطُبُهَا : فَرَزَعَتْ ثِيَابَهَا الْعُلْيَا ، وَقَالَتْ : أَذَاتِ
عَرُوسٍ هَذَا ؟ فَهَذَا اللَّهُ حَسَنٌ مِنْ وَفَاءِ الْفَسَاءِ
وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ اللَّاتِي قَتَلْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَثَرِ
مَتَعَشِّقِينَ ، أَغْنَى عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِهِمْ
وَقَدْ رَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي حُدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : نَشَأَ فِينَا غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ ، فَنَلَقَى جَارِيَةً مِنْهَا يُقَالُ لَهَا حَيْشَةُ ، لَمْ تَكُنْ مِنْ فَخْذِهِ^(١)
وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا كَثِيرًا ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ عِنْدِهَا فَظَنَرَ إِلَى ظُلْيَةِ عَلِيٍّ
رَايَةً ، فَالْتَفَتَ إِلَى أُمِّهِ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا أُمَّتِي خَبَّرِينِي ، غَيْرِ كَاذِبَةٍ وَمَا يَرِيدُ مُسَوِّلُ الْخُبَرِ بِالْكَذِبِ
حُبِّشُ أَحْسَنَ ، أَمْ ظُلِّي بِرَايَةٍ لَا بِلِ حُبِّشَةٍ مِنْ ظُلِّي وَمِنْ ذَهَبِ
ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَصَابَتْهُ السَّمَاءُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَمَا أَدْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ يَوْمًا أَصَوْبُ الْقَطَرِ أَحْسَنَ أَمْ حُبِّشُ^(٢)
حُبِّشَةُ وَالَّذِي خَلَقَ الْمَهْدَايَا عَلَى أَنْ لَيْسَ عِنْدَ حُبِّشٍ عَيْشُ

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ قَوْمَهُ ، قَالُوا لِأُمِّهِ : هَذَا غُلَامٌ يَتِيمٌ لَا مَالَ عِنْدَهُ ، وَآلُ تِلْكَ
يُرْغَبُونَ عَنْكَ ، فَانْظُرِي لَهُ بَعْضَ نِسَاءِ قَوْمِهِ ، لَعَلَّهُ يَسْلَى عَنْهَا ، فَرَوَّجَتْهُ جَارِيَةً
ذَاتَ جَمَالٍ وَكَمَالٍ ، وَزَيَّنَتْهَا بِأَحْسَنِ زِينَةٍ ، وَأَقَامَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا
قَالَ : مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ، فَذَهَبَتْ كُلُّهُ مَثَلًا ، وَالسَّعْدَانُ نَبْتُ يَرْعَاهُ أَهْلُ
الْمُلُوكِ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ عَنْ هَوَاهَا ، فَتَوَاعَدُوا حُبِّشَةَ ، وَقَالُوا : إِذَا جَاءَ
فَاعْرِضِي عَنْهُ وَتَجَهَّمِي^(٣) بِالْكَلَامِ رَجَاءً أَنْ يَنْصَرِفَ بَعْضُ الْانْصِرَافِ ، فَلَمَّا

(١) الفخذ : حى الرجل . (٢) الصوب والقطر : المطر

(٣) تجهمه : استقله بوجه عبوس

رأها لم تستطع أن تفعل ما أُمِرَتْ بِهِ ، غير أنها جعلت تنظر إليه وتبكي ، فلم بقصتها ، فانصرف وهو يقول :

وما كان حَيٍّ عن تَوَالِ بَذَلْتُهُ فليس بِمُسْلِيهِ النَّجْمِ وَالْهَجَرِ
سَوَى أَنْ دَأَى مِنْكَ دَأُ مَوْدَةٍ قَدِيمًا وَلَمْ يَمْزِجْ كَمَا مَزَجَ الْخَمْرُ
وَمَا أَنْسَ مِلَاشِيَاءَ لَا أَنْسَ دَمْعَهَا وَنَظَرَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِ الْقَبْرِ

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما إلى أن واقتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء ، فأخذا فيمن أخذ من الأسرى ، فأوثقا رباطا ، وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراساني عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق ، وحكاه المدائني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي حنيفة الأسدي ، عن أبيه قال : كنت يوم الغميصاء ، وهو يوم بني جذيمة ، في خيل خالد بن الوليد المخزومي ، حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل وأسر ، فقال لي قتي منهم ، وقد جمعت يداها إلى عنقه ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا قتي ، هل أنت أخذ بزمام ناقتي فتأدي إلى هؤلاء الندوة فأقضي اليهن حاجة ، ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك ؟ قلت : يسير ما سألت ، فألحقته بهن ، فوقف عليهن فقال : اسلمي حيش على نفاذ العيش .

قالت : وأنت فاسلم سفاك ربّي النيث ، ثم قالت : وأنت فحييت عشرا وسبعاً وترّاً وثمانياً تترى^(١) فقال الفتى :
أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَفْنَيْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ
أَلَمْ يَكْ حَصًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ يُكَلِّفُ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَاقِ^(٢)

(١) تترى : أسلما وترى ، ومعناها يجي الواحد بعد الآخر .

(٢) أدلج : سار من أول الليل أو في آخره . السرى : السير ليلا . الودائق : جمع الوديعة : شدة الحر .

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ أَتَيْبِي بُوْدَّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَاتِ^(١)
 أَتَيْبِي بُوْدَّ قَبْلَ أَنْ يَشْطَطَ النَّوَى وَيَنَأَى عَدُوًّا بِالْحَبِّ الْمُفَارِقِ^(٢)
 فَإِنِّي مَا ضَيِّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقُ^(٣)
 عَلَى أَنَّ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامُقُ^(٤)
 ثُمَّ بَكَى وَبَكَتْ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 فَإِنْ يَهْتَلُونِي يَا حَبِيشُ فَلَمْ يَدَعْ هَوَاكِ لَمْ يَنْبِ بِي رَوَى غُلَّةَ الصَّدْرِ
 وَأَنْتَ الَّتِي أَنْخَلْتَ جِلْدِي عَلَى دَمِي وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتَ السَّمْعَ عَلَى النَّحْرِ
 ثُمَّ انصرفتُ به فضربت عنقه ، فنظرتُ إليه فأقبلتُ حَتَّى أَكَبْتُ عَلَيْهِ .
 وقد فعلتُ مثلَ ذلكِ عفراءُ بنتُ عِمَالٍ بعروقةِ بنِ حِزَامٍ لما بلغها موته ،
 استأذنت من زوجها في زيارة قبره ، فخرجت في نسوة لها حَتَّى وَرَدَتْ قَبْرَهُ ،
 فلما رأته من بعيد صرختُ ثُمَّ دَنَتْ فَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ رَاحِلَتِهَا ، ثُمَّ جَعَلَتْ
 تَبْكِي وَتَدْعُو إِلَى أَنْ تَخْدُ صَوْتَهَا ، فَدَنُوا مِنْهَا فَوَجَدُوا هَامِيَةً ، فَدَنَتْ إِلَى جَانِبِهِ .
 وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ أَيْضًا قَالَ : خَرَجْتُ أُرِيدُ بَعْضَ أَجْيَاءِ الْعَرَبِ فَخَفَّتَنِي
 اللَّيْلُ^(٥) ، وَبَثُّ فِي جَبَانٍ ، وَتَوَسَّدْتُ قَبْرًا : فَسَمِعْتُ فِي اللَّيْلِ مِنَ الْقَبْرِ
 قَائِلًا يَقُولُ :

أَنْتُمْ أَهْلُ الْخَيْالَيْنِ عَيْنَا وَبِمَرَاكِ يَا سَعْدُ إِلَيْنَا
 وَخَشَةَ مَا لَقِيتُ مِنْ خَلَلِ الْقَبْرِ رِعْسِي أَنْ أَرَاكِ أَوْ أَنْ تَرَيْنَا
 فَارَقْتُ لَهَ لَيْلِي ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ دَخَلْتُ الْحَيَّ ، فَذَا بِنَجَازَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ بِنَا ،

(١) الصَّفَاتِ وَالصَّفَاتِ : الْحَوَادِثُ .

(٢) شَطَطَ الْمَكَانَ : بَعْدَ .

(٣) تَوَامُقَ الرِّجْلَانِ : تَحَابَا .

(٤) جَنَ اللَّيْلِ : أَظْلَمَ .

فَسَأَلْتُ عَنْهَا قَبِيلٌ : هَذِهِ سَعَادٌ كَانَتْ تُحِبُّ ابْنَ عَمِّهَا ، وَانْهَمَا تَعَاقِدَا عَلَى الْوَفَاءِ ، فَهَلَاكَ قَبِيلُهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَهَا هِيَ قَدْ لَحِقَتْ بِهِ ، فَتَبِعْتُهُمْ حَتَّى دُرِفَتْ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ الَّذِي بَتُّ عَنْدهُ ، وَإِذَا هُوَ قَبْرِ ابْنِ عَمِّهَا ، فَخَبَرْتُهُمْ بِمَا سَمِعْتُ وَانْصَرَفْتُ .

وَرَوَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَمْرِو النَّسَائِيَّ تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ لِلنَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ ، فَأَحْبَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مَقْدَامًا ، فَعَهَدَتْ إِلَيْهِ أَلَا يَبَاشِرَ حَرْبًا ، ثُمَّ أَنَّهُ غَدَا فَلَقَى الْعَدُوَّ فَطَعَنَ ، فَقَالَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْ غَزَالِ تَرْكُتُهُ إِذَا مَا أَتَنَّهُ مِيتَتِي كَيْفَ يَصْنَعُ
أَيَلْبَسُ أَثَوَابَ الْحِدَاكِ تَفْجَعًا عَلَى مَالِكٍ أَمْ فِيهِ لِلْبَعْلِ مَطْمَعٌ^(١)
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ لَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَقْطَعُ
فَلَمَّا أَتَاهَا خَبَرَهُ اسْتَمْسَكَ لِسَانُهَا حَوْلًا ، فَقَالَ رَهْطَهَا وَعَشِيرَتُهَا : أَلَوْ زَوَّجْتُمُوهَا غَيْرَهُ ، لَعَلَّمَا تَسْلَى وَتُفِيقُ ؟ فَزَوَّجُوهَا رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَسَاقَ إِلَيْهَا هَدِيَّةَ عَظِيمَةِ الْقَدَرِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ بِهَا أَخَذَتْ بَعْضَادَتِي الْبَابَ^(٢) ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

يَقُولُ رَجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّمَا تُفِيقُ وَتَرْضَى بِعَسَدِهِ بِحَلِيلِ
فَأُضْمِرْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدُهُ رَجَاءُهَا وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ قِيلِ
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرِو سَيِّدِ الْقَوْمِ مَالِكٍ أَزَفُ إِلَى زَوْجٍ بِمَعْصَبِ كَلِيلِ^(٣)

(١) تَفْجَعُ : تَوَجَّعُ .

(٢) عَضَادَاتُ الْبَابِ : خَشْبَتَاهُ مِنْ جَانِبَيْهِ .

(٣) الْعَصَبُ : السِّيفُ . الْكَلِيلُ : الَّذِي لَا يَقْطَعُ .

وخبّرني أصحابه أنّ مالكا خفيفٌ على العِلّاتِ غيرٌ ثَقِيلٍ^(١)
 وخبّرني أصحابه أنّ مالكا ضروبٌ بماضى الشُّعْرَتَيْنِ صَقِيلٍ^(٢)
 وخبّرني أصحابه أنّ مالكا جوادٌ بما فى الرَّحْلِ غيرٌ بَخِيلٍ
 وخبّرني أصحابه أنّ مالكا نَوَى وتُنَكِّدِ ضُجْبُهُ بِرَحِيلٍ
 فما كان يَشْرِبُنِي خَلِيلِي بِحُلَّةٍ وما كنتُ أَشْرَى مالكا بِخَلِيلٍ
 فقال لها بعلها : ارجعى الى أهلِكَ ، ولكِ كلُّ ما سَمِعْتُ إِلَيْكَ ، مثلكِ
 فليزوّج الرجال .

ومن حَسَنٍ وفاتهنّ أيضا ، ما رواه الهيثم بن عَدَى ، فَإِنَّهُ كَانَ فى
 بنى عامر بن صعصعة امرأةٌ تُوفِّيَ عنها زوجها . ولها ابنُ عامرٍ ، فصاوا إلى
 بعض شيوخهم ، فقالا له : فلانة جارية شابةٌ ، والقالة^(٣) إلى مثلها مريضةٌ ،
 فوجهٌ إليها فلتحضر ، وأعرض عليها أينما أهوى إليها ، حتّى يتزوجها ، فوجه
 الشيخ إليها فأثته ، فعرض عليها مقالتهما : فأطرفت مليّاً تنكت الأرض حتى
 حفرت فيها حفيرةً وملأها من دموعها ، وكان زوجها دُفِنَ بِمَقْبَرَةٍ تُدْعَى
 بِحَوْضَى ، فالتفت الى ابني عمّها وأنشأت تقول :

فإن تسألانى عن هواى فَإِنَّهُ رَهينٌ بِحَوْضَى أَيُّهَا الْفَتَيَانِ
 وإن تسألانى عن هواى فَإِنَّهُ رَهينٌ لَهُ بِالْحَبِّ يَا رَجُلَانِ
 وإِنِّى لَأَسْتَخِيهِ وَالْمَوْتُ دُونَا كما كنتُ أَسْتَحِيهِ حِينَ يَرَانِى
 أَمَا بَكَ إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتُ فى الثَّرَى لَوْجَهَكَ يَوْمًا أَنْ يَسُوكَ مَكَانِى

(١) العِلّات : الحالات والشؤون المختلفة .

(٢) الشُّعْرَةُ : حد السيف .

(٣) القالة : ما يتدعه الناس كذبا .

وقامت فانصرفت ، فقال : قد رأيتهما وسمعتها ، فانصرفا وقد يئسا ، ثم
 لقيها يوما في المقابر وعليها مُصَبَّاتٌ ^(١) وَحَلِيٌّ وَحَلَلٌ ، فقال أحدهما
 لصاحبه : ما ترى في أي زى خرجت ، والله ما أراها الا متعرضة ^(٢) للرجال ،
 فلمَ فلتنظر ما تصنع ، قريبا منها ، فأتت القبر فالتزمته ، ثم أنشأت تقول :
 يا صاحبَ القبر يا مَنْ كان يُؤْنِسُنِي وكان يُخَيِّنُ في الدنيا مُؤَاتِقِي
 أَزُورُ قَبْرَكَ في حَلِيٍّ وفي حَلَلٍ كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمُصِيبَاتِ
 أَتَيْتُ مَا كُنْتُ مِنْ قُرْبِي تُحِبُّ وَمَا قَدْ كَانَ يُلْهِيكُ في أُلُوانٍ لَذَائِقِي
 وَمَنْ يَرَانِي يَرَى عَبْرِي مُفْجِعَةً طَوِيلَةَ الْحُزَنِ في زُورٍ أَمَوَاتِ
 ثم شَهِتْ فَاتَتْ .

ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قليل في النساء ، وهو من وفاتهن عَجَبٌ ،
 والغدر عليهن أَغْلَبُ ، إذ على ذلك طَبِيعُ خُلُقِهِنَّ ، وعليه جُعِلَتْ بَنِيَّتُهُنَّ ،
 وسأصف لك جملة من مكرهن ، لتقف به على غدرهن إن شاء الله ولا قوة إلا بالله

آخر الجزء الأول من كتاب الموشى

من أجزاء أبي الطيب بن الوشاء

والحمد لله كثيرا وصلواته على محمد نبيه وآله وسلامه

وحسبي الله ونعم الوكيل

(يتلوه الجزء الثاني من كتاب الموشى)

(١) مصبات : أثواب ملونة .

(٢) تعرض للشيء : تعدي له وطلبه .

أجزاء الثاني
من كتاب الموشى

تأليف

أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء.

رحمة الله عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لا شَرِيكَ لَهُ ، الحمد لله ربّ العالمين ، وسلام على
عباده الذين اصطفى
(أما بعد) فإنه قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أشياء من
عُيُونُ قُتُونِ الأدب ، يرغب فيها ذوو الحِجَى ، وينتهي إليها ذوو النُهي ،
وقد مضى من الجدة عدّة أبواب ، فيها مَنَعٌ لذوى الآلِباب ، ولا بد من خلطها
بشيء من المزل ، إذ في ذلك ترويحٌ لقلوب ذوى العقل ، وآخر ما ذكرنا في
الجزء الأول ذكرُ الوَفِيَّاتِ من النساء ، وأنا أتبعه في هذا الجزء بباب ذكر
ذوات الغدر من الاماء ، ثم أصلُهُ بما يتصل ، وأفضله من حيث يفصل ،
إن شاء الله وبه القوة .

٢٠ - باب صفات القيان

وقد ذكرنا حيلتهن في القيان

إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُتَلَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ المَرُوءَاتِ والأَدَبِ ، وَأَهْلِ التَّطَرُّفِ والأَرَبِ ،
وَلَا امْتَحَنَ سَرَاةَ^(١) القَيَانِ بَيْلِيَّةً ، هِيَ أَعْظَمُ مِنْ هَوَى القَيَانِ^(٢) ، لِأَنَّ حَبِيْنَ
حَبٍّ كَذُوبٍ ، وَعَشَقْنَ عَشَقٌ مَشُوبٌ^(٣) ، وَهَوَاهُنَّ مَنُوسٌ إِلَى المَلَلِ ،
لَيْسَ بِثَابِتٍ وَلَا مُتَصِلٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ لَطْمَعٌ وَعَرَضٌ^(٤) ، وَهِنَّ سَرِيعَاتُ
الْغَرَضِ ، يُسْتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ بِأَفْعَالِهِنَّ الرَّدِيَّةِ ، وَأَخْلَاقِهِنَّ السَّيِّئَةِ ، وَأَنَّهُنَّ لَنْ

(١) السراة : جمع السرى : صاحب الشرف والمروءة والسخاء

(٢) القيان : جمع القينة : الأمة ، المقتية ، الماشقة

(٣) المشوب : المخلوط

(٤) العرض : المتاع ، العطاء

يقصدن إلا أهل النشَب^(١)، ويصدفن^(٢) عن ذوى الحسَب، وأن محبتن تظهر ما ظهرت علامات اليأس والمال، وتنقل عند الافلاس والافتقار، وليس إظهارهن للحببة مما يتقد عليه منهن ذوى الآداب، ولا بما يتخذه به هن ذوى الآلباب، وكل ذلك منهن غرور، وخداع وزور، ولا مرجع له ولا محصول، وإنما أمرهن عند ذوى الجمالة مجهول، وما رأيت لكثير من الأدباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء، رغبة في تعشق الاماء، وقد أنشدني بعض الظرفاء:

ليس عشقُ الاماءِ من شَكلي مثلي إنما يعشقُ الاماءُ العيىدُ
صِلْ إذا ما وصلتَ حُرَّةَ قومٍ قد حماها آباؤها والجودُ
ومن أدلّ الأشياءِ على خبثِ سرائرِ الاماءِ، أنّ الواحدة منهن إذا رأت في مجلسٍ قبيحٍ غنى وكثرة مال، ويسار وحسن حال، مالت إليه لتخدعه، وأقبلت عليه لتصرعه، ومنحته نظرها، وأبدته بصرها، وغمزته بطرفها، وأشارت إليه بكفها، وغنّت على كاساته، ومالت إلى مرضاته، وشربت من فضلة كأسه، وأومأت إلى تقبيل رأسه، حتى توقع المسكين في حبالها، وترهقه باحتيالها، وتعلق قلبه بحبها، وتطمعه في قربها، وتحويه بلطف لقلها، وتسقيه^(٣) يديع فتنةها، وبالمكر والخداع، وتطلبها للاجتماع، وتباكيها لفراقه، وتحازنها عند روحته، ثم ترسل إليه بالرسل، وتناديه بالختل^(٤) وتخبره عن سهرها، وتفتيته عن فكرها، وتشكو إليه القلق، وتخبره بالارق.

(١) النشَب : العتار

(٢) صدفن عن الشيء : ارتد وانصرف

(٣) تسقيه : تأسره

(٤) الختل : الخدام

وتبعث إليه بجأتها ، وفضلته من شرهما ، وقلامه من ظفرها ، وشظيته من
مضراها ، وقطعة من مسواكها ، ولبان قد جعلته عوصاً من قبلها ، ومُضغَةً
لتخبره عن نكبتها ، وكتاب قد نمت به ظفرها ، وطيبته بكفها ، وسحته بوثر
من عودها ، وتقطت عليه قطرات من دمعها ، وختمته بغالية قد عدل بالعنبر
مئتها ، واستمسك تحت الحاتم عجنتها ، وطبعت عليه بنفس قد نقشت عليه
بعض مداعبتها ، وتملت عليه ببعض بجأتها ^(١) ، وضمنت الكتاب شكوى
شوق مريض ، وصفة شوق ممرض ، تسأله المؤاناة على حبها ، والإعانة على
كرها ، وأن يبعث يطلب زيارتها ، لتقر بالنظر إليه عينها ، ويتفرج ^(٢) عنها
حزنها ، فيقطع الغمر ^(٣) في قربها ، ولا يشك في الكلام في إخلاص حبها ،
فيميل إليها بوده ، وتصفيه بمكنون حبه ، حتى إذا حوت عقله ، وصارت
شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، واستمكنت من قلبه ، ووثقت بصحيح
حبه ، وعلمت أنه غريق في بحر البلية ، أخذت في طلب الهدايا السرية ،
وتشبهت الثياب العذرية ، والأزر النيسابورية ، والأشفاق الانجاشية ،
والأردنية الرشيدية ، والعمائم السوسية ، والتكك الأبريسمية ، والخفاف
الرنائية ، والثعال الكتباتية ، والحلق المحشوية ، والعصائب المرصعة ،
والستينجات المفصلة ، وخواتيم الياقوت المئمنة ، وتمارضت من غير سقم ،
وشكت من غير ألم ، وفصدت من غير علة وداء ، وتعالجت من غير حاجة
منها إلى الدواء ، لتجيبها هدايا ذوى الوجد ، في المرض والقصد ، من القمص

(١) بمن : مزح وقل حياء

(٢) فرج الغم : تكشف

(٣) الغمر : من لم يجرب الأمور ، الجاهل

المعبرة ، والفلائل المسسكة ، والأردية المرشوشة ، واللذائع المعجونة ،
وَعَنَاقِ الكافور المنظومة ، ومَراسِل القَرْفُلُ المجرمة ، والمسك الأذفر ،
والعنبر الأشهب والعود الهندى . والتَدَ الخزائى ، والمآوِردُ الجورى ،
والحملان الحَوْلِيَّة ، والجمداء الرُضْع ، والبَط الصَّيْبى ؛ والفَرَاجِج
الكَسْرِيَّة ، والبجاج الفاتى ، والفراخ المسننة ، والنبائج المنصدة بأنواع
الرَّياحين ، والفاكهة يَبْعُها صنوفٌ من الشراب ، من المِسلِّ والدُّشَابِ ،
والمطبوخ والمشمس ، ونَيْد السُّكَّر ، والقَشْمِش ، ثم الدُّنَانِيرُ الجُدد الشَّهْرِيَّة ،
والدراهم المسِيَّفة الدَّارِيَّة ، فى خراط الدِياجِ الابريحية ، ومناديل
الوَشَى الانجمية ؛ فلا تزال فى هدايا متواترة ، وألطف متابعة ،
وفى خلال ذلك العيدان الرِّعْرَعُ الموزونة ، والمضارب المدهونة ،
والأوتار الصينية ؛ حتى اذا نفد اليسار ، وذهب الإكثار ، وأتلف المال ،
وجاء الاقلال ، وأحسَّت بالافلاس ، وتفريغ الأكياس ، أظهرت المَلَلُ ،
وأعلنت البَدَل ، وتبرمت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وطلبت عليه العِللَ ،
وتفقدت منه الزلل . وتبعت عليه سقاطاته ، وتيممت عثراته ، وأخذت فى
الجفاء والعتاب ، والقلى والابعاد ، وصرفت عنها هواء ، ومالت الى سواء ،
ونفرت بعد القرب ، وأبغضته بعد الحب ، فحقت يدرك المغرور الندم ،
ويلحقه الأسف ، حين لا تُنْفَى عنه الحيلة ، ولا يُجْدَى عليه اللَهْف ، ويقع
بين لَيْتَ وَلَوْ وهيات ، ولات حين مناص ، ولا يقدر على استئناف
ما سلف من الأيام ، بعد الإشراف على ورود حياض الحمام .

وقد أُنشدنى بعض الأدباء لبعض المحدثين :

صَحَرَتْ فَأَهْرَتْ الْغَوَايَةِ مِنْ رُشْدِي وَأَهَيْتُ أَنْي كُنْتُ جُرْتُ عَنْ الْقَصْدِ

فَلَا يَشْقَنَ مَنْ كَانَ يَشْقُ قَيْنَةً
تَوَدُّكَ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَنَةً
إِذَا مَا رَأَتْ فِي جُلُوسٍ مَنْ تَخَالَهُ
وَعَنَتْ عَلَى أَفْدَاحِهِ كُلِّ مَا اشْتَهَى
وَتَوْبَى إِلَيْهِ لِإِشْرَابِ الرُّطْلِ وَاسْتَقَى
فَيَمْتَلِي الْمَغْرُورُ عِنْدَ مَقَالِهَا
فَإِنْ جَاءَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ تَحَاكَزَتْ
وَيَعْبُدُوهُ إِلَيْهِ فِي الْفِرَاشِ رُسُومًا
وَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بَتَّ فَإِنِّي
فَلَا يَجِدُ الْمَغْرُورُ مِنْ دَفْعِ جَذْرِهَا
وَتُسْرِعُ فِي إِنْتِمَائِهِ لِيُظَنِّهَا
فَإِنْ هِيَ جَاءَتْ عَاقَتُهُ وَقَبِلَتْ
وَتَخْدُمُهُ عَمْدًا فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ
تَقُولُ لَهُ ذَا الْبَيْتِ بَيْنِي وَإِنَّمَا
فَتَصْبِيحُ عَيْنِي بِالْوِصَالِ قَرِيرَةً
فَذَا دَأْبُهَا حَتَّى يَمُودَ مِنَ الْهَوَى
فَتَفْضِدُ لَا مِنْ حَاجَةٍ لِفَصَادِهَا

فَا هُوَ مِنْهَا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعْدُ
وَتَرَفِّدَكَ عِشْقًا مَا غَنَيْتَ أَخَارِفِدُ^(١)
غَنِيًّا حَبْنَهُ بِالْتَّحِيْمَةِ وَالْوَدُ^(٢)
وَقَالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ أَنَا أَفْدِي
قَدْ حَزَّتْ قَلْبِي وَاشْتَمَلَتْ عَلَى وَدِّي
سُرُورًا يَرَى أَنَّ الْمَقَالَ عَلَى جِدِّ
لِفَرْقَتِهِ حَتَّى يَقُومَ عَلَى وَعْدِ
تُسَائِلُهُ مَا كَانَ حَالُكَ مِنْ بَعْدِي
رَعَيْتَ نَجْمَ اللَّيْلِ كَفَيْتَ عَلَى خَدِّي
سُرُورًا بِتَعْجِيلِ الزِّيَارَةِ مِنْ بُدِّ
حَبْنَهُ بِتَعْجِيلِ الْحَيِّ عَلَى عَمْدِ
يَدَيْهِ وَأَبْدَتْ فَرْحَةً قَلَّ مَا تُجَدِّي
لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَصْنَعِي هَكَذَا عِنْدِي
أَوْ هَلْ أَنْ يَنْتَاعِي سَيِّدِي وَخَدِّي
وَأَمِنْ مِنْ سَوْمِ التَّفْرِقِ وَالْبُعْدِ^(٣)
سَعِيمَ فُؤَادٍ مَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي
وَلَكِنْ لِيَتَكَلِّفَ الْهَدِيَّةَ فِي الْفَصْدِ

(١) أرفده : أعطاه ، والرغد : البطا والمروة .

(٢) جَاءَ بِكُنَا : أعطاه إِيَّاه .

(٣) السوم : القل .

فَن بَيْنَ خَطَايَا يُصَاغُ وَخَاتَمٍ
وَمِنْ تَوْبٍ خَوْفٌ بَعْدَ وَشْيٍ وَمُلْحَمٍ
وَيَاكَ مِنْ مِسْكٍ ذِكْرِي وَعَبِيرٍ
قَدْ أَفْلَحَ إِذَا عَادَ مُفْلِحًا
فَقُولَا لِيَنَّ يَهْوَى الْقِيَانُ تَهْمُمَا
وَأُنَشِدُنِي بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ لِنَفْسِهِ :

يَا صَاحِبَ إِنْ الْقِيَانُ لِلنُّعْمِ أَلَّا
يَهْوِيَنَّ هَذَا وَيُسْتَكِينُ إِذَا
حَتَّى إِذَا مَا اقْتَضَى ذَا حَقِّ
نَفْسَتِهِ وَاسْتَخَنَ جِلْدَتَهُ
وَصَارَ كَالْأَسْرِ فِي عَضَاكِرَتِهِ
نَاوَلَتْهُ الْمِحْ ثُمَّ قُلْنَ لَهُ
وَأُنَشِدُنِي بَعْضَ الْكِتَابِ لِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ :

يَا حَسَنَ الْوَجْهِ سَيِّءِ الْأَدَبِ
يَاؤُنِيكَ إِنْ الْقِيَانُ كَالشَّرْكِ أَلَّا
شَبَّتَ وَأَنْتَ الْفُلَامُ بِاللَّعِبِ
مَنْصُوبٌ بَيْنَ الْغُرُورِ وَالْعَطَبِ^(١)

(١) النمر : من لم يجرب الأمور . الفر : الشاب الذي لا خبرة له .

(٢) الفتى : التأق والتئم .

(٣) المسح : الكساء من شعر ، أو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقيها وقهرا للجسد . اليتق : القطن ، أو جوار النخل أي شحمه الأبيض . ويقال : أبيض يتق أي شديد البياض .

(٤) ويك : كلمة مركبة من وي وكاف الخطاب ونحو الزجر . ويكنى بها عن الويل . تقول : ويك استمع قولي . والأصل ويك .

لَا يَتَصَدَّقَنَّ الْفَقِيرَ وَلَا
يَلْحَظَنَّ هَذَا وَذَا وَذَا وَذَا
بَيْنَا تَشْكِي إِلَيْكَ إِذْ خَرَجْتَ
وَأَنْشَدَنِي أَحَدُ بَنِ غَزَالٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا تَعَرَّضْتَ لِلْقِيَانِ
وَاعْزِمِ عَلَى فَلْسَةِ آسَافَا
كَمْ مِنْ ثُرَاتٍ وَمِنْ تَلِيدٍ
أَتْلَفَهُ مُتْلِفٌ عَلَيْهِمْ
مَا زَالِ يَصْبُو إِلَى خُلُوبٍ
إِتْخَذَتْهُ عَشِيقَ مَالٍ
حَتَّى إِذَا اخْتَلَّ ثُمَّ حَسَّتْ
غَنَّتْهُ صَوْتًا لَهَا عَتِيدًا
قَدْ نَقَدَ الْكَيْسُ فَاسْلُ عَنِّي
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

وَمُسْمِعَةٍ غَنَّتْ فَلْتُ بِمَجْحَى
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَقَى بِوَدْدِي
فَاعْرَضْتُ عَنْهَا وَاتَّقَبَضْتُ كَأَنَّمَا
فَقَالَتْ وَقَدْ أَحْجَلْتُهَا لِتَغَرَّرِي

(١) الجذر : عدد مضروب في نفسه ، فالعشرة جذر المائة ، لأنك إذا ضربت عشرة في عشرة حصل مائة .

(٢) الخلوب : التي تجمع بلطيف الكلام .

(٣) هاواه : داراه

(٤) العتيد : الحاضر الميأ .

أراك نشيطاً للسمع تحيه
قلتُ تراني وبك أغشَقُ قينةً
إذا خرجت من مجلسٍ وتبدلت
وإنْ ذُكِرُوا قالتُ ومنْ كان حالكُ
لعمرك ما تهوينَ إلّا دراماً
ولاني ورب البيتِ، والله راحمُ
يعني ليئج قبل ينفض ريشه
هو أناهوي يزوي عن المريرة
فيمشقنا من في يديه بضاعة
وقال أيضاً في قصيدة له :

حتى إذا ولت الدارهم غتت
أسل عني فلت أصلح للضي
عندها يأكل المفرط كفي
وأشد للحكمي في مثل ذلك :

قولا لمن يعشقه قينة
قد ثوى في كفها نية
تواصل العاشق حتى إذا
ولت بفرد وقرون النقي

(١) النيط : جمع نبط : قوم من العجم كانوا يزلون بين الرافدين ، ثم استعمل في
أخلاق الناس وعوامهم ، ومنه قال : كلمة نبطية أي عامية .
(٢) النيط : التام الكامل

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر :

مَا لِلْأَحْيَةِ فِي التَّخْشَعِ عَارُ فَاخْشَعْ وَإِنْ حَاقُوا عَلَيْكَ وَجَارُوا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلَّذِينَ تَحْمَلُوا وَتَأَوَّأُوا مَا شَدَّتْ لَهُمْ أَسْوَكَرُ^(١)
لِكُنْهُمْ غَدَرُوا بِمَهْدِكَ فِي الْهَوَى وَأَخُو الْقَطِيعَةِ جَانِرٌ غَدَارُ
مَا إِنْ يُبَالُوا إِنْ جَفَوْكَ وَعَرَّجُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَوْ طَنُّوا أَوْ سَارُوا
لَا بَلَّ أَشَدُّمَا عَلَيْكَ مُصِيبَةً أَنْ يَفْعَلُوا بِكَ إِذْ هُمْ حُضَارُ
لَا تَعْنِيَنَّ عَلَى الْقِيَانِ وَلَا عَلَى زَهْوِ الْقِيَانِ فَانْهِنِّي تَجَارُ
قَدَّمَ لِمَنْ مَلَاهِيًا وَمَضَارِبًا وَمَلَاوِيًا يَحْطِي بِهَا الزُّوَارُ
إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ لُطْفَةٍ وَهَدِيَةٍ فَلَكَ الْهَوَى مِنْهُنَّ وَالْإِيتَارُ
أَوْ كُنْتَ صَاحِبَ كَيْفٍ أَنْتَ وَمَرْحَبًا فَارْحَلْ فَمَيْشُكَ عِنْدَهُنَّ بَوَارُ
مَا بُدِّئَ مِنْ شَيْءٍ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَكَ ثُمَّ إِقْبَالَ^(٢) وَلَا إِذْبَارُ
لَوْ كُنْتَ يُوسُفَ فِي الْجَمَالِ فَإِنَّهُ مَا مِثْلُهُ فِي حُسْنِهِ دِيَارُ
ثُمَّ امْتَنَعْتَ مِنَ الْهَدِيَةِ أَنْفَكُوا مِنْكَ الَّذِي لَا يُنْكَرُ الْإِخْرَارُ
عِنْدِي مِنَ الْقِيَنَاتِ خُبْرٌ بَيْنَ وَمِنَ الْهَدِيَةِ مُسَدَّدُ آثَارُ
زَارِ ابْنُ أَخَرِ ذَاتِ يَوْمٍ قِينَةً فِي قِيَتِهِ لَهُمْ نَدَى وَوَقَارُ
حَتَّى إِذَا غُتَّتْهُمْ وَسَقَتْهُمْ وَتَجَاوَبَتْ فِي كَفِّهَا الْأَوْتَارُ
قَالَتْ لِأَوْلَاهِمُ أَمَا لَكَ ضَامِعَةٌ فَأَجَابَهَا إِنِّي قَتِي سِمَارُ
قَالَتْ فَأَهْدِي لَنَا إِزَارًا مُعْلَأًا فَأَبُو فَلَانٍ مَا عَلَيْهِ إِزَارُ

(١) سقيا الفلان : دعا له . والتقدير : سقاء الله سقيا . رعيا : اسم من راعى بمعنى حفظ . أكرار : جمع كور : رجل البعير .

ثم انتفت لسؤال آخر منهم
قالت فليس يُهيمنا ما دُررنا
وإذا ابن آحمر قد أعد جوابها
ثم انتفت لسؤالها فأجابها
فاذا هممت بحفر قبرك فابقي
فعلجلت خجلاً وطاطت رأسها
وكذا القيان ولا أقول جماعة
ولا بن آحمر أيضاً :

عذبتني ذو الجلال بالنار
ولا تعشت قينة أبداً
كم من غي تركت ذا عدم
سلبت منه الفؤاد بالنظر إلا
وبالتشاجي أتلفن مهجته
حتى إذا ما مضت دراهمه
فأولته المنح ثم قلب له
فلا تمرنك قينة أبداً
فليس في العذر عذره إذا
إن هام قلبي بذات أسوار
حتى تراكى رهين أحجار
أورثته الذل بعد إشكار
رطب وغنج وغمز أبصار
وحن لحن وقرع أوتار^(١)
وصار ذا فكر وفكره
يغنه بالنهر نهر بشار
ودع وصال القيان في النار
هوين أوشن ذاك من عار

(١) القسط : عود يتداوى به . الأظفار : أظفار تشبه الأظفار عطر الرائحة .

(٢) القطار : الناقد السارق .

(٣) التشاجي . الحزن .

وأحسن ابن المههم حيث يقول :

فأطلق يدًا في بيته بتفضل
أشريد واغمر بطرف ولا تحف
وول عن المصباح وألح وذمه
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت
لك البيت ما دامت هداياك حجة
تصان لك الأبصار عن كل نظرة
واعلم أنه لا وفاة لمن، ولا حفاظ عند من، ولا يد من على ود، ولا يفين
لعاشق بعهد، وهو امن مشترك، وجهن مقتسم، وقد أئشني
بعض الأدباء :

استخير زينب عن قولها
أذاك منه حسن جائز
حسبك يا زينب من هجنة
فلا تریدی جمع هذا وذا
وأنشدی الأمر إلى واحد
لا يجمع المنبر ردفا ولا
وعادة السور إذا استحكت
لست وإن كان الهوى غالي
في رجل يبدد ربين
أم ليس يرضى الله دينين
يسترزق الدهر على اثنين^(١)
فالفند لا يجمع سيفين^(٢)
ولا تكوني ذات يفتين
صلح ملكا بين اثنين^(٣)
على امرئ شر من الدين
أقع بالشين على الشين

(١) الهجنة من الكلام : العيب والتج . أو ما يعيبه الانسان

(٢) الفند : جنس السيف

(٣) الردف : التابع ، أو الراكب خلف الراكب

يُحَلِبُ غَيْرِي وَأَكُونُ الَّذِي يَرْضَى مِنَ الْعَنْزِ بِعَرْنَيْنِ
وَأَحْسَنُ أَبُو ذُؤَيْبٍ حَيْثُ يَقُولُ :

تَرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَغَالِدًا وَهَلْ يَجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَنْحَكُ فِي غَمْدٍ
وَكُنْتُ كَرَفَرِاقِ السَّرَّابِ إِذَا جَرَى بِقَوْمٍ وَقَدَّ بَاتِ الْمَطَى بِهِمْ تَخْدِي^(١)
وَقَالَ آخَرُ :

أَلَا يَا عَاشِقَ الْقِيَانِ جَهْلًا أَرَدْتَ بَأَنْ تَكُونَ أَبَا الْبُغُولِ
أَتَرْضَى لِلْهُوَى مِنْ لَيْسَ يَرْضَى عَلَى ضَيْقِ الْهُوَى أَلْفَى خَلِيلِ
وَلَيْسَ هُوَ الْقِيَانُ بِحَمُودِ عِنْدِي ، وَلَا عِنْدَ ذِي الْأَدَبِ ، وَأَهْلُ النَّهْيِ
وَالْأَرْبِ ، وَلَا أَكْثَرُ مِيلَ إِلَيْهِ ، وَلَا حَرَصٌ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْشَدَنِي
صَدِيقٌ لِي قَوْلَهُ فَيَهِنُ :

زَعَمُوا خَلَّةَ الْقِيَانِ غُرُورُ كُلِّ زَعَمٍ مِنَ الْمَقَالَةِ زُورُ
قَسَمًا لِلْقِيَانِ بِالْعَمْدِ أَوْقَى مِنْ جَوَارٍ تَضُمُّنَ الْخُدُورُ
إِنَّمَا زَخَزَفَ الْمَقَالِيسَ هَذَا حِينَ قَلَّتْ مَحَاحِمُهُمُ وَالْكُسُورُ
أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ أَطْرَى مِنَ الْآ مِنْ وَكَلَتْ مُمَوَّةَ مَسْنُونُورُ

وَاجْتَجَّ فِي ذَلِكَ بَأَنْ هُوَ الْقِيَانُ — عَلَى مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعُيُوبِ —
أَشْرَعُ إِلَى النُّفُوسِ ، وَأَوْقَعُ فِي الْقُلُوبِ ، وَأَغْلُقُ بِالْأَرْوَاحِ ، وَأَخْلُقُ
لِلنَّجَاحِ ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمَلًا ، وَأَقْلُّ عِلَالًا ، وَالظُّفَرُ بِهِنَّ أَسْرَعُ مِنَ الظُّفَرِ
بِرَبَاتِ الْخُدُورِ ، وَالْمُخْتَجِبَاتِ وَرَاءَ السُّتُورِ ، وَأَتْنَهْنَ مَزُورَاتِ ، وَأُولَئِكَ
مَعْدُومَاتِ .

(١) الرِّقَانُ : مَا يَتَلَا . أَخَذِي أَخِي : مَنَى ظِلًا ظِلًا .

وزعم من طلب القينة الجَدُّو لمولاهما من عشيقها ، وكثرة مؤنتها عليه ،
وطلبها لما لديه ، ومسانلتها الهدايا والالطف ، والبر والتحف ، إنما هو من
رغبتها في هواه ، وميلها إلى رضاه ، ولأنها تؤثره على العالمين ، وتشتهى قربه
دون سائر المحبين . لأنه إذا وافى جدُّوها من عند عشيقها ، مع تتابع أطافه ،
وكثرة يرمه وإسلافه ، رغب المولى في صفاته ، وطمع في استصفائه ، فأخلاها
معه الأيام الكثيرة ، والليالي المتتابعة .

فهذه جملة من القيان لمن عشق ، ورغبة فيمن ومق ، وليس ذاك عندنا
كذلك ، وإنما هي جملة ممن احتجَّ لهم بالوفاء ، وهن معروقات بالندر
والجفاء ، ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ، ولا قلته عند
إقلاقه ، بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه ، والمواساة في نفسها
في الحياة . ولكن هو كما قال المؤمل بن أميل :

والغائيات كذاك هن غواردٌ أبداً حبال وصاكن تجنم^(١)
يخلفن بالنظر الفتى ويعدنه نيلاً ودون عداهن الأنجم
وكما قال بشار بن برد :

فوالله ما أدرى وكلُّ مُصيبةٍ بأى مكيداتِ النَّسائمِ أكادُ
غرورٌ مواعيدٍ كأنَّ جداءها جداء بارقاتٍ منهنَّ جداء^(٢)

ومع ذلك فلا تفاق لكيبوخ عندهن ، ولا لذوى القبح والعدم مطعم
لديهن . على أنهنَّ يحتملن القبح والشيب مع اليسار ، ويكرهنهما مع الفقر
والإقتار ، فإذا اجتمع القبح والشيب مع الافلاس في أى إنسان كان من
الناس ، فليس عندهن مطلب ، ولا لديهن سبب ، ولذلك قال العطوى :

(١) جذمه : قطعه بسرعة فاقطع

(٢) الجداء : النفع والعتاء . والجدا : المطر العام . المزن : السحاب أو ذوالالما منه .

تأمت على بحسنتها وجمالها وتقول لي : يا شيخ أنت مخلدٌ
 شيخٌ وفلاسٌ وقبحٌ ظاهرٌ أطمعت فينا أخطفك مطامعٌ
 فأجبتها : الأفلاسُ يذهبه النفي والشيبُ يذهبه الخصبُ النَّاصِعُ
 قالت : قُبْحُ الوجه فيه حيلةٌ والقبيحُ ليس له دواءٌ نافعٌ
 يا صديقها ما كان أوضحُ حجتي لو كان يدفع قبحَ وجهي دافعٌ
 وقال بعض الأعراب :

طويلاتُ أعناقٍ سباطُ أكفها رقيقاتُ أوساطٍ نبالُ المآكم^(١)
 تآزرنَ رملًا وارتدينَ بحلةٍ من الروضِ ريًا زهرها جددناعيم^(٢)
 وتصرفُ وذى نحوهن صباةٌ ويصرفن عني الوجه نحو الدراهم^(٣)
 ومثل ذلك ما روى عن نصيب أنه قال : لقيتني بالطواف امرأة دحداحة^(٤)

مزحة ، فقالت : أنت نصيب ؟ قلت : نعم ، قالت : ألسن القائل :
 إذا البيضُ لا يأتين في الحب رقةً يُعابُ ولا يأخذن في الودد رهما
 وإذا هن يذنين الكريمُ بؤده لمن يرفضن الدقيقَ الملوما
 قالت : لا أراك تكتب إلا درهمك ، فاعضض ببطر أمك ، من أين
 تمتشط إحدانا إذن ؟

وأشدني بعض الأدباء :

(١) السباط : الرخصة اليئة . المآكم : جمع المأكلة : لفة على رأس الورك . وهي العجيزة ،
 وما إثنان أو ثلثان ، وقيل المآكان والمآكتان : اللحمان اللتان على رؤوس الوركين .
 وقيل : هما بخصتان مشرقتان على المرتقتين وما رؤوس أعلى الوركين عن بين وثمال ،
 وقيل : هما لحتان وصلتا بين العجز والمنتين .
 (٢) دحداحة : صغيرة

وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودَى لَنْ قَدِيرَاهُ الْحُبُّ قَالَتْ لِي أَجَلٌ^(١)
أَنْتَ صَرَّافٌ فَأَتِيكَ لَهُ أَمْ بِكَفَيْكَ نُقُودٌ تَحْتَمِلُ
قُلْتُ مَا تَهْوَيْنِ إِلَّا مُوسِرًا ذَا هَيْبَةٍ وَعَطَاءٍ وَحُلٍّ
فَأَجَابَنِي بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ كَفَّ عَنَّا أَنْتَ وَاللَّهِ مُقِلُّ
أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أُخِيرُكُمْ لَيْسَ لِلْحُبِّ مَعَ الْفَقْرِ عَمَلٌ
وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الشَّيْبِ حَيْثُ يَقُولُ :

حَسَرَ الْمَشِيبُ قَنَاعَهُ عَنْ رَأْسِهِ فَرَمَيْتُهُ بِالْصَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ
تَيْتَانِ لَا تَصْبَوُ النِّسَاءُ إِلَيْهِمَا حَتَّى الْمَشِيبِ وَحَلَّةُ الْإِنْقَاضِ
فَوَعْدُهُنَّ إِذَا وَعَدْنَاكَ بِاطِلُّ وَبُرُوقُهُنَّ كَوَادِبُ الْإِيمَاضِ

وَرَوَى عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَقَرِّى قَالَ : كَانَ الْخَبْلُ
السَّعْدِيُّ يَعْشَقُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَتَفَفَّ عَلَيْهَا كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ ، حَتَّى صَارَ يَبِيعُ
الْبَحْرَ^(٢) فَأَتَاهَا يَوْمًا فَزَبَرْتَهُ^(٣) وَطَرَدَتْهُ ، فَانْصَرَفَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا قُلْتُ مَا لُ الْمَرْءُ قُلْ صَدِيقُهُ وَأَوَمَّتْ إِلَيْهِ بِالْغُيُوبِ الْأَصَابِعُ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : عَشَقَ رَجُلٌ امْرَأَةً ، وَأَظْهَرَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ
يَوْمًا تَسْتَهْدِيهِ مَالًا ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ، وَوَجَّهَ بِنَصْفِ مَا طَلَبَتْ ، فَغَضِبَتْ
وَهَجَرَتْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

يَا أَيُّهَا الْغَضْبَانُ أَنْ سَامِنِي مَا مِثْلُهُ يَقْبَلُ عَلَى الْمُوسِرِ
جُدْتُ بِالنِّصْفِ لَهُ كَامِلًا فَقَالَ لَيْسَ الْحُبُّ لِلْمُقْتِرِ

(١) يراه : هزله وأضعفه .

(٢) البحر : جميع ذات الحظ والظلف ، وأحده بكرة .

(٣) زبرته : رمته بالحجارة .

هَبْنِي غَرِيماً لَكَ يَا مُتَنَبِّئِي مَا يَقْبَلُ النَّصَفُ مِنَ الْمَغِيرِ
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

إِنْ كُنْتَ فِي حَالِكَ ذَا عُسْرٍ فَدَعْ طِلَابَ الشَّادِنِ الْأَحْوَرِ (١)
مَا لِي إِنْ مَنَعْنَاكَ الَّذِي نَلْتَمِسُ دُونَ قُوَى الْبَهْجَةِ مِنْ مَعْتَرِ
إِلَّا لِنَقْضِي حَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَالِ ذِي الْعُسْرَةِ وَالْيُسْرِ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ نَقُورَهُنَّ عَنْ الْمَشِيبِ ، وَغَدْرَهُنَّ بِالْكَهُولِ
وَالْمَشِيبِ :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالاً
وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَائِهِنَّ مِطَالاً
وَقَالَ الْقُطَيْمِيُّ أَيْضاً :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَلَا تُجِيبْ فُتُوكَ لَا يَحْدُ الْمَصْفَاءُ مَكَاناً
وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الشَّبَابِ لُدُونَةً فَسَيُجَالُكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَنَا (٢)
وَقَالَ جَرِيرٌ :

رَأَيْتُ مَرَّ السَّيْنَيْنِ أَخْذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْمَلَالِ (٣)
فَقَالَتْ فِيمَ أَنْتَ مِنَ النَّصَابِي مَتَى عَهْدُ التَّشَوُّقِ وَالذَّلَالِ (٤)
فَا تَرْجُو وَلَيْسَ هُوَ النِّوَانِي لِأَصْحَابِ التَّنَحُّجِ وَالسَّمَالِ
وَقَالَ أَيْضاً :

(١) الشَّادِنُ : وَلَدُ الْغُلَيْبَةِ .

(٢) لَدُنْ لُدُونَةٍ : كَانَ لَنَا .

(٣) السَّرَّارُ : آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ .

(٤) النَّصَابِي : الْمِيلُ إِلَى الْهَوَى وَالْعَبَثِ .

وإذا الشيوخُ تعرضوا لـمودةٍ قلن الترابُ لكلِّ شيخٍ أذرداً^(١)
تلقى الفتاةُ من الشيوخِ بليَّةً إنَّ البليَّةَ كلُّ شيخٍ أَرَمَدَا^(٢)
وقال امرؤ القيس :

أراهم لا يحبُّونَ قلَّ ماله ولا من رأين الشيبَ فيه وقوَّسا
وأنتشدني بعض الكتابِ لأبي الشَّبل :

عذيري من جوارى الحسنَى إذ يرغبن عن وِصلي
رأين الشيبَ قد البَسَى أهبَّةَ الكهلِ
فأعرضن وقد كنَّ م إذا قيل أبو الشَّبلِ
تساعينَ فرَّقن الكوى بالاعين التَّجلِ
وأنتشدتُ لغيره :

رأين الفواقي الشيبَ لاحٍ يعارضِي فأعرضن عني بالحدود والنواصِرِ^(٣)
وكُنَّ إذا أبصرتنى أو سمعن بي سعينَ فرَّقن الكوى بالمحاجرِ
وهنَّ على ما فيهنَّ من سرعة الملال ، وما طُيعن عليه من البذل ، متمكِّنات
من القلوب ، مُبرَّآت عند محبتنَّ من العيوب ، وإن من محمود مذهب
الظرفاء ، الميل إلى مغازلة النساء ، ومداعبة القينات ، وحبُّ النساء عندهنَّ
من حسن الاختيار ، وهو أشبه بمذهب ذوى الاخطار ؛ وليس هوى
الغلمان عندهنَّ بمحمود ، ولا هو في سيرهم موجود ، وإنما آثروا هوى النساء
على الغلمان ، ومدحوهن بكلِّ لسان ، للميلِ براعتنَّ ، وتكاملِ ملاحظتُنَّ ،

(١) الأردد : من ذهبت أسنانه .

(٢) الأرمَد : من هاجت عينه .

(٣) العارض : ضجة الحد .

وعجيب شكلهنّ ، وبديع دهنّ ، وفيهن أيضا خصال محدودة ، وملاحق موجودة ،
 إن عُدِمَت من الجمال ، وُجِدَت في العقل ، وإن عُدِمَت من العقل ، وُجِدَت
 في الدلال ، وروائحهنّ أذكى ، وهواهنّ للقلوب أنكى ، والعشق بهنّ أليق ،
 وهن للرجال أوفى ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك وملح :

أَحَبُّ النِّسَاءِ وَذِكْرُ النِّسَاءِ وَيُعْجِبُ قَلْبِي لِذِيذِ النِّسَاءِ
 وَهَلْ لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا النِّسَاءُ وَحَسُنُ النِّسَاءِ وَشُرْبُ الطَّلَاءِ

وقال الفرزدق :

مَنَعَ الْحَيَاءَ مِنَ الرِّجَالِ وَفَعَّلَهَا حَدَقْتُ تَقْلِبَهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ^(١)
 وَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءِ لِمَنْطَلِهَا أَغْرَاضُ^(٢)

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَى الْغَانِيَاتُ وَإِنْ غَنِينَا^(٣)
 وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٍ أَوْ مَشِيبٍ تُبْكِيهِ فَمَنْ بِهِ عَيْنِنَا^(٤)

وقال بعض الأدباء :

فَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَوْمًا وَوَلَّيْتُ الْحُكُومَةَ وَالْخِصَامَا
 لَقَرَّتْ عَيْنُ مَنْ يَهْوَى الْجَوَارِي وَعَاقَبْتُ الَّذِي يَهْوَى الْغُلَامَا
 سَأَلْتُكَ أَيُّمَا أَحَلَى حَدِيثًا وَأَطْيَبُ حِينَ تَعَشَّقُهُ الزَّوَامَا
 أَجَارِيَّةٌ مُنْقَمَةٌ رَدَاحٌ تَرِيدُكَ لِلْغَرَامِ بِهَا غَرَامَا^(٥)

(١) وقعتها : يروى : وطيبها . مراض : جمع مريضه ، وعين مريضة فيها قنود .

(٢) لمنطها : يروى : لمنطها . أغراض جمع غرض : الهدف الذي يرى إليه .

(٣) العلق : التفتيس من كل شيء .

(٤) الرداح : الضخمة العجور .

أَوْ أَمَرْدُ مُشَقِّ الْأَيْطَانِ مِنْهُ لَهُ رُوحٌ كَرُّنَجِكَ حِينَ قَامَا
 بِرَيْدِكَ لِلدَّرَامِ لَا لِحَبِّ وَتِلْكَ تَذَوُّبٌ مِنْ كَلَفٍ سَقَامَا
 وَأَتَشَدُّنِي عَلَى بَيْنِ الْعَبَاسِ الرَّوِيِّ لِنَفْسِهِ :
 نَيْصِكَ الْغِلَانِ مَا أَمْسَكَكَ الْقَسْوَانُ أَفْرِ
 إِنَّمَا يَمُشَقُّ فِي الظُّهْرِ إِذَا أَعْوَرَ بَطْنُ
 وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَالشُّعْرَاءِ الْمُتَفَضِّلِينَ ، صَدَّقُوا^(١)
 فِي أَشْعَارِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذِكْرِ النَّسَاءِ ، وَلَا صَدَّقُوا قِصَائِهِمْ إِلَّا بِالتَّشْيِيبِ يَوْصَفُ
 النَّسَاءُ ، هَذَا حَاتِنُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَقُولُ :

يَا لَقَوْمٍ هَلْ يَغْتَلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْنِ وَالْعَظَامِ سُومُ^(٢)
 شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَتَلَوُّ هَا لُجَيْنٌ وَلَوْ لَوْ مُنْظُومُ^(٣)
 لَوْ يَدِبُ الْحَوَلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْتَدِبَتْهَا الْكُلُومُ^(٤)
 وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْصَبُ لَهُ مَنِيرًا فِي مَسْجِدِهِ ، وَيَدْعُو
 النَّاسَ إِلَى اسْتِئَاعِ شَعْرِهِ ، وَهُوَ يَشْيِبُ قِصَائِهِ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ ذِكْرِ
 النَّسَاءِ . وَهَذَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ يَفْشِدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِهِ :
 بَانَتْ سَعَادَتُهَا لِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مَتَمِّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَّ مَقْبُولُ^(٥)

(١) حمد : قصد

(٢) واهن البطن والعظام : ضعیف ، ویروی بدل البطن : البطن . سُوم : ملول .

(٣) شأنا : یروی : مها . اللجین : القصة .

(٤) یقول : لو یدب الصخیر من ولد النمر علی جلدھا لآثر فیہ وجرحه ، ولیس المراد بالحولی هنا ما آتی علیہ حول وإنما جله فی صفره کالحولی من ولد الحافر والحفت ، وأنتدبها : آثرت فیها ، من التدب وهو أثر الجرح . والكولم : الجرعات

(٥) بانة : فارقت . متبول : أصیب بقیل ، وتبلة الحب : أسقمه . التمیم : المعبود المذلل الذی استولى علیہ الحوی فأذله ، مکبول : محتبس عندها ، والکیل : القید .

أَكْرَمَ بِهَا خَلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا وَلَوْ أَنَّ التُّشْحَ مَقْبُولٌ

وَيَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ ، يَقُولُ فِيهَا :
 إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارُمْ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ^(١)

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَى إِلَى النَّاسِ فِي مَسْجِدِهِ أَنْ اسْمَعُوا شِعْرَهُ ،
 وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ النِّسَاءِ فِي الشَّعْرِ مُنْكَرًا لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى
 مَنْ أَنْكَرَهُ ، وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ النِّسَاءِ أَوَّلَى بِالتَّقْدِيمَةِ فِي الشَّعْرِ مِنْ ذِكْرِهِمْ
 لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى مِنْ أَمْرِ بِذَلِكَ وَاسْتَقْبَاحِهِ ، وَلَوْ كَانَ
 أَيْضًا فِي الشَّعْرِ ذِكْرُ النِّسَاءِ مِنَ الرَّفْعِ وَالْفَحْشِ وَالْحُنَا ، لَكَانَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِ
 اللَّهِ مِنَ الْمَدْحِ أَحَقَّ بِأَنْ يُنْقَطَ مِنْهُ ذِكْرُ الْقَيْحِ ، كَمَا أُسْقِطَ ذِكْرُ الذِّكْرَةِ ،
 وَوَصِفُ تَعْشِقِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ وَمِنْ نَظَائِرِهَا مِنْ مَدِيحِ ذَوِي الْأَخْطَارِ ،
 وَمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَلَئِنَّمَا عُرِفَ الْآنَ فِي شِعْرِ
 الْمُحَدِّثِينَ . وَأَيْنَ ظَرَفُ النِّسَاءِ وَحُسْنُهُنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ ، وَأَيْنَ مَلَا حَةُ سَلَامِهِنَّ ،
 وَحِلَاوَةُ كَلَامِهِنَّ ، وَمُسْتَحْسَنُ مَدَاعِبَتِهِنَّ ، وَمُحِبُّوبُ مَعَاتِبَتِهِنَّ ، وَمُلِيحُ
 مِرَاسَلَتِهِنَّ ، لَا سِيَّامَا إِنْ شُبِّهَ^(٢) هَوَاهُنَّ بِالْغَيْرَةِ عَلَى مُحِبَّتِهِنَّ ، وَالتَّدْلُّ عَلَى
 مُتَعْشِقِيهِنَّ ، وَصَدَدُنَّ مِنْ غَيْرِ زَلَلٍ ، وَهَجَرُنَّ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ ، وَهَنَّ اللَّهُ فِي
 كُلِّ أَحْوَالِهِنَّ الْقَانَنَاتُ بِأَفْعَالِهِنَّ ، وَصَالِهِنَّ خَتْلٌ ، وَصَدُّهُنَّ قَتْلٌ ، وَهَنَّ
 الْمَالِكَاتُ لِلْقُلُوبِ ، السَّالِبَاتُ لِلْعُقُولِ ، إِذَا خَلَوْنَ مَرْحَنَ ، وَإِنْ ظَهَرْنَ
 نَظَرْنَ فَعَتَلْنَ بِلَحْظِ عَيُونِهِنَّ ، وَصَرَعْنَ بِكَسْرِ جَفُونِهِنَّ ، وَأَحْيَيْنَ يَقُولُهُنَّ
 الْكَاذِبَ ، وَوَعَدَهُنَّ الْخَائِبَ ، فَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِهِنَّ ، وَلَا أَلَذَّ مِنْ

(١) الصَّارْمُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ .

(٢) ثَابِتُ النَّبِيِّ : خَلَّةٌ .

خُلف وعدهنّ ، وقد استحسنت الشعراء ذلك منهم ، ومدحته في كثير من الأشعار فيهنّ .

أخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، عن سليمان بن عياش السعدي ، عن أبيه عن جده ، قال : حدثني السائب راوية كثير ، قال : كان كثير رجلا مذبويا لا يستقر في مكان ، فقال لي ذات يوم : اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده ، فأتيناه ، فاستنشد ابن أبي عتيق كثيرا فأنشده :

أَبَاتُهُ سُعْدَى ، نَعَمْ سَتَيْنُ كَمَا أَنْبَتَ مِنْ حَبْلِ الْقَرِينِ قَرِينُ
أَنْ زُمَ أَجَالُ وَفَارَقَ جِيرَةُ وَصَاحَ غَرَابُ الْيَنِّ أَنْتَ حَزِينُ
كَمَا نَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَ قَبْلَهَا تَفَرَّقَ أَلْفَ لَهْنٍ حَسِينُ
حِينَ إِلَى الْأَفْهِنِ وَقَدْ بَدَا لَهْنٌ مِنَ الشُّكِّ الْغَدَاةَ يَبِينُ
حتى إذا بلغ إلى قوله :

فَأَخْلَفَنِي مِعَادَى وَخُنَّ أَمَاتِي وَلَيْسَ لِمَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ دِينُ
فقال ابن أبي عتيق : أو على الدين محبتهم يا ابن أبي جُفّة ، ذلك أملحُ
لهن وأذعن للقلوب اليهن ؛ عيد الله بن قيس الرقيات أشعر منك ،
حيث يقول :

حَبَاذَا الْإِدْلَالُ وَالنُّجُجُ وَالَّتِي فِي طَرْفِهَا دَعَجُ
وَالَّتِي إِنْ حَدَّثَتْ كَذَبَتْ وَالَّتِي فِي وَصْلِهَا خَلَجُ
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَهَا مِثْلَ مَا فِي الْبَيْعَةِ السُّرُجُ
خَبِّرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ ؟

قال : لا إن شاء الله ، وانصرف .

وقال القطامي ، يستحسن ذلك من أفعالهم ، ويصف ملاحه اعتلالهم :

وأرى الغواني إنما هي جنة شبه الرياح تلون الألوأنا^(١)

وإذا حلقت فمن أكذب خالف حلقاً وأملح كاذب أيماناً^(٢)

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول :

اضطبح كأس شراب واغتبق كأس نصاي^(٣)

واجعل الأيام قسماً بين عتب وعتاب

ووصال واختار وبعاد واقتراب

واجتناب في دؤو ودؤو في اجتناب

ورسول بكتاب وانتظار لجواب

وقسوع من حبيب بالمواعيد الكذاب

ليس في الحب ولا الصبوة حظ للصواب

وقال بعض المحدثين^(٤) :

ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحين تأليف الصبح

يبي الحب على الجوز قلو أنصف المعشوق فيه لسمع

وقال آخر وأحسن في قوله :

(١) الغواني : النساء ، والثانية : المتزوجة ، ثم قيل لكل شابة : غانية .

(٢) يروي بدواه :

وإذا وعدت فمن أكثر واعد خطا وأملح حانت أيماناً

(٣) اغتبق : شرب بالمعنى .

(٤) علي بن المهدي ،

ألا إنني راضٍ بما حَكَمْتَ جُلُ
وإن كَانَ لي فِيهِ الْبَلِيَّةُ وَالْقَتْلُ
فَكُرُّوا عَلَى الْعَذْلِ فِيهَا فَإِنِّي
رَأَيْتُ الْهَوَى فِيهَا يُحَدِّدُهُ الْعَذْلُ
وَمَا كَانَ جَسَدُهَا لِيَذِلَّ رَجَوْنَهُ
لَدَيْهَا فَأَخْشَى أَنْ يُغَيِّرَهُ الْبُخْلُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعُدْرِيِّ :

وَلَسْتُ عَلَى بَذْلِ الصَّفَاءِ هَوِيْتُهَا
وَلَكِنْ سَبَبْتَنِي بِالْأَدْلَالِ مَعَ الْبُخْلِ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَيَقْلُنَ أَنَّكَ يَا بُتَيْنَ بِخَيْلَةٍ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ صَنَيْنَ بِأَخِيلِ
وَيَقْلُنَ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ
مِنْهَا فَبَلِّغْ لَكَ فِي اعْتِرَازِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ يَمُنُّ أَلَدُ وَأَشْتَهَى
أَدْنَى إِلَى مِنَ الْبَغِيضِ الْبَازِلِ
وَدَخَلَتْ عَزَّةٌ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا عَزَّةُ أَنْتَ فَرِيقِ
قَوْلِ كَثِيرٍ :

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزَّةُ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغْيِيرَ جِسْمِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي
عَهْدَتِ وَلَمْ يُخَيِّرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ ؟
فَقَالَتْ مَا أَعْرِفُ هَذَا ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ قَوْلَهُ :

كَأَنِّي أَنَا جَبِي صَخْرَةٌ حِينَ أَعْرَضَتْ
مِنْ الصَّمِّ لَوْ يَمْسِي بِهَا الصَّمُّ زَلَّتْ
صَفُوحٌ فَا تَلْفَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلُ مَلَّتْ
وَأَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُيَيْدٍ لِرِفَاعَةَ الْقَفْقَسِيِّ :

أَلَمْ تَعْلَمَا أَمْ لَا وَكُلُّ بَلِيَّةٍ
مِنْ الدَّهْرِ يَفْنَى بَوَسْهَا وَنَعِيمُهَا
وَلَمْ يَجِدَا بَلَجَاءَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
وَإِنْ أَيْسَرَتْ وَاحْتَاجَ يَوْمًا غَرِيمُهَا
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَزِيدَ لِكَثِيرٍ عَزَّةٌ :

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي هَلْ سَأَلْتَهَا قُلْتُ نَعَمْ لَيْلَى أَضَنُّ خَلِيلٍ
وَأَبْدَهُ نَيْلًا وَأَسْرَعَهُ قَلِي وَإِنْ سَأَلْتُ نَيْلًا فَشَرُّ مَنِيلٍ
وَأَتَشَدُّ أَحَدُ بَنِي بَحِيٍّ لَجِيلٍ بِنِ مَعْمَرِ الْمَذَرِيِّ:

وَهَجْرَكَ مِنْ تَيْمًا بَلَاءً وَشِقْوَةً عَلَيْكَ مَعَ الشُّوقِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ
أَلَا إِنَّمَا بِلَيْتِ تَجُودُ لِي ذِي الْهَوَى بَلِ الْبُخْلِ مِنْهَا شَيْمَةٌ وَخَلَاتِقُ
وَأَتَشَدُّ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ لِعُمَيْدِ اللَّهِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ:
وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طَوْلُ مُظَلِّهَا عَلَيْكَ وَأَعْرَى لَحْمُ أَعْظَمِكَ الْهَمِّ
وَمَثَلُهُ قَوْلُ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ:

وَزَادَنِي كَلَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمِنًا^(١)
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ وَلَوْ صَحَّ الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا
وَقَالَ جَرِيرٌ يَذْكُرُ طَوْلَ الْمُطَّلِّ وَالْخَلْفِ:

وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَقْتَهُ وَإِذَا طَلَبْنَا لَوَيْنَ كُلَّ غَرِيمٍ^(٢)
يَرْمِينِ مِنْ خَلَلِ السُّنُورِ بِأَعْيُنٍ فِيهَا السَّقَامُ وَبَرُؤُ كُلِّ سَقِيمٍ
وَقَالَ أَيْضًا:

لَعَمْرُ الْغَوَائِي مَا جَزَيْنَ صَبَابِي بِهِنَّ وَلَا يُخْبِينَ نَسَجَ الْقَصَائِدِ^(٣)
رَأَيْتُ الْغَوَائِي مَوْلَاكَ بِذِي الْهَوَى يَطُولُ الْمُنَى وَالْخَلْفِ عِنْدَ الْمَوَاعِدِ
وَقَالَ أَيْضًا:

أَلَمْ تَرِنِي بِذَلِكَ لَهْنٍ وَدَى وَكَذَبْتُ الْوُشَاةَ فَا جَزَيْنَا

(١) أَلَفَ بِهِ: أَحَبَّهُ جَاءَ شَدِيدًا وَأَوَّلَهُ بِهِ.

(٢) لَوَى فَلَا تَأْتِيهِ وَيَدِينَهُ: مَلَّهَ، وَلَوَى بِمَقْعَةٍ: جَعَلَهُ إِيَّاهُ.

(٣) يَحِينُ: تَرَوِي: تَحْمِي، أَيْ تَحْمِيْنُ وَتَرِيْنُ.

إذا ما قلتُ جازَ لنا التَّخاضِي بَخِلْنَ بِعَاجِلٍ وَمَطْلَنَ دَيْنَا
وقال أيضا :

يقلن إذا ما حلَّ دَيْنُكَ عِنْدَنَا وخَيْرُ الَّذِي يُقْضَى مِنَ الدَّيْنِ عَاجِلُهُ
لكَ الحَيْرُ لَا تَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيئَةً من الدَّيْنِ أَوْ عَرَضًا فَمِلْ أَنْتَ قَابِلُهُ ؟^(١)
وقال أيضا :

وإذا وَعَدْتِكَ فَاثِلًا أَخْلَفْتُهُ وجَعَلَنَ ذَلِكَ مِثْلَ بَرْقِ الْخُلْبِ^(٢)
إِنَّ النُّوَائِيَّ قَدْ قَطَعْنَ مَوَدَّتِي بعد الصفا وَمَنْعَنَ طَيْبَ الْمُشْرَبِ
وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عُرُوقٍ لَهَا مِثْلًا وما مواعيدُهَا إِلَّا الْبَاطِلُ
فَلَا يَغُرُّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
وقال نَصِيبُ :

أَلَلَّيْنِ يَا لَيْلَى جِمَاكَ تُرْحَلُ لِيَقْطَعَ مَنَا الْبَيْنُ مَا كَانَ يُوصَلُ
تُعَلِّلُنَا بِالْوَعْدِ لَيْلَى وَتَتَنَنِي بِوَعْدِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْمَلْعَلُ
وقال كثير :

وإني لأَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَائِي لَفَرَّتْ بِلَايُهُ
يَلَى وَبَأَن لَا أُسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى وَبِالْوَعْدِ وَالتَّسْوِيفِ قَدْ مَلَّ آمَلُهُ
وقال آخر :

يَا رَبِّ خُذْ لِي مِنَ الْمِلَاحِ قَدًّا هِجْنٍ لِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى خَبَلًا

(١) النسيئة : التأخير . المرض : المتاع وكل شيء سوى الدرهم والدنانير ، وعرض الشيء : أعطاه إياه مكانه
(٢) البرق الخلب : الذي يكون في سحاب لا يطر فيه فكلأه يندح .

مِنَ اللّٰوَاكِي يَقُلْنَ لَنْ وَنَعَمْ وَهِيَ وَحَتَّى وَقَدْ وَسَوْفَ وَلَا
والذى جاء فى ذلك كثير ، يطول شرحه ويُنبئ وصفه ، وقد مضى من
الفصل ما فيه كفاية لذوى العقل ، وقد أفردنا كتاب القيان لِنَدَمِ عَظَمِ
القيان ، فأغنى ما فى ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب ، فأعزفه إن
شاء الله .

واعلم أَنَّ الهوى والحبَّ والبخل والعشق والنزل ، يحسن بأهل النعمة
واليسار ، ويُزرى بأهل الإملاق والإقتار ، ولنا نقول إنه محرم على
هؤلاء لإعسارهم ، ولا حِلَّ لأولئك ليسارهم ، وليس بالغنى ما يدخل أهل
الجهالة فى الوصف ، ولا بالفقر ما يُخْرِجُ أهل الأدب من الطرف ، وقد
قال بعض الشعراء

قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَقْرُ وَرِدَاؤُهُ خَلَقٌ وَجَبَّ قَيْصُهُ مَرْقُوعٌ
وليس أسباب الهوى مَبْنِيَّةٌ عن اليسار والسعة والغناء ، والبذل والعطاء ،
والنفقات الغزيرة ، وَالصَّلَاتُ الْكَثِيرَةُ ، وَالْهَبَاتُ الْهَنِيئَةُ ، وَالْهُدَايَا السَّرِيئَةُ ،
وَالْمُخْتَلُّ الْمَعْدِمُ ، وَالْمَقْلُ الْمَعْسِرُ ، لا حيلة له فى ذلك ، فمن تعرض للهوى ،
وَمَالَ إِلَى الصَّبِيِّ ، لم يحسن ذلك به لإفلاسه ، وَقَلَّةُ ذات يده وإِقْلَالُهُ ،
وَمَا هَلَكَ امرؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَأَجْهَلَ النَّاسِ مَنْ عَدَا طَوْرَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
السُّخْفَاءِ يَعِيبُ بِجَهْلِهِ عَلَى الظُّرَفَاءِ : أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِفَقِيرٍ ظَرْفٌ ،
وَلَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ ظَرْفٌ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ وَصْفٌ ، وَالْفَقِيرُ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ،
وَالْفَتَى حَبِيبٌ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَأُنْشِدَ قَوْلَ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

ذَرَيْنِى لِلنِّسَى أَسَى فُلَانٍ رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَخَفَرُّهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرُ

يَبَاعِدُهُ الدُّنْيُ وَتَزِدُّهُ حِلَّتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وقد أخطأ العائب لهم في مقاله ، وتكسح في حيرته وضلاله ، لأن
عروة لم يذهب إلى ثلب الأدباء ، ولا إلى تعنيف الظرفاء . وإنما عنف على
طول الإعمال ، وحث على تكسب الأمور ، وهذا مثل قول الآخر :
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَقِيرَ نَسِيًّا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْحُرِّ قَدْ يُزِيرِي
وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدُّنْيَا كَالْفَقْرِ وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ
ومثل ذلك قول الآخر :

الْفَقْرُ يُزِيرِي بِأَقْوَامٍ ذُو حَسَبٍ وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالَ
وكقول الآخر :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صَرَّتْ إِلَى الْغَيِّ وَكُلُّ غَيٍّ فِي الْعِيُونِ جَلِيلٌ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرَّةِ حَوَّلَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ تَمِيلُ
فهؤلاء لم يذهبوا إلى تفنيد المتطرفين ، ولا الطعن على المتفتنين ، وكيف
والتطرف بهم أليق ، وسمية الطرف عليهم أصدق ، وهذا الباب قد ذكرته على جلته
في كتاب نظام التاج ، في صفة الأنوك^(١) للرزوق والطريف المحتاج ، وجعلنا
جملة ما مر في كتابنا نصفه يبتناوين من زعم أن الأمر ليس كذلك ، والذي
زعم أنه لا يكون للفقير ظرف ، قد تجاوز في الجهالة والسخف ، بلى إن
الظرف بذى الثقل ملبح ، ولكن الهوى والعشق بهم قبيح ، وذلك أن الفقير
إن طلب لم ينل ، وإن رام بلوغاً لم يصل ، وإن استوصل لم يوصل ، فهو
كبد القلب ، عازب^(٢) القلب ، حزين النفس ، ميت الحس ، ذاهل العقل ،

(١) الأنوك : اللاحق ، والعاجز الجاهل .

(٢) عازب : غائب .

بعيد الوصل ، قَرَّكَ التعرضَ لما لا يقدر على بلوغ إتمامه ، أوَّل من تلبسه بما يريده في اغتمامه ، وقد يجوز أن يكون ظريفاً بغير عشق ، كما كان عاشقاً بغير فسق ، لأنه لا نهياً له لإقامة حدودِ العشق ، والظرفُ بلباقته ونظامه ، ومُخَلِّفه وتعلفه ، ومداراته ومساعدته ، ولا يتهماً له القيامُ بحدود العشق ، إذ لا مال له فيعينه على هواه ، ولا مقدرة له فتبلغه رضاه ، وإنَّ بلى بمن يستهديه ويستكسبه ، ويطلب برّه ، ويريد فضله ، وهو لا يقدر على ذلك ، فهي الطائفة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، والحسرة التي تبقى ، والكمد الذي لا يفنى ، فليتحرز الأديب من الهوى قبل وقوعه في العطب ، وليتخفظ منه قبل طلبه التخلص من شره ، فلا يقدر على الهرب ، وقلَّ مَنْ رأيت وقع في هوى فنجا من غمٍّ ، أو أمكنه التخلص من حبه ، ولن يقدر على التخلص من الهوى بعد الوقوع في درك البلا إلا ما لك قلبه ، مانع لقربه ^(١) ، حازم في فعله ، جامع لعقله ، فان الأديب إذا كان بهذه الصفة ، ورأى آيات الملال ، وعلامات الزلل ، وأمارات الغدر ، ودلالات الهجر ، بادر فريسته ، وتخلص مهجته . وزجر قلبه ، وصرف حبه . ولم يقيم على طول الجفاء . ولم يعرض نفسه لطول البلا . ولم يستعبد لها بالتذل ، والخشوع والتضرع ، ولكنه يصرفها صرف مقتدر عيوف ^(٢) ، ويمنعها منع مالك عزوف ^(٣) ، وقد شرحت لك ما قيل في المصارمة ^(٤) باباً لتقف عليه ، ويبين لك صحة ما فيه ، إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

(١) القرب : الدمع .

(٢) عاف الشيء : كرهه قَرَّكَ .

(٣) العزوف : الذي لا يكاد يثبت على مودة خليل .

(٤) صارمه : قاطمه .

٢١ - باب ما جاء في مصارمة قوى الضرر

والمبادرة عند الملل والهجر

اعلم أن صَبَرَ المحب على هجر الحبيب ، تجرُّه لِنُصَصٍ والتعذيب ،
ومعالجة الزفير والنَّحِيب ، وتقلُّل القلب لِفَرَقِ الوجيب ، من العجز
الظاهر ، والموتِ الحاضر ، والمبادرة بالانصراف ، بعد تغيُّر الأُلاف ، من
الحزم المكين . والرأى الرصين . وإنَّ من أحسن ما قيل في المصارمة
قول زهير بن أبي سلمى ، حيث يقول :

ألا لَقَوْمٍ لِّصَبِي إِذْ يَقُودُنِي وللوصل من أنتماء إذا أنا طالِبُهُ
فَلَيْتَكَ قَالَتْنِي فَلَا وَصَلَ بَيْنَنَا كذلك مَنْ يَسْتَعْنِي يَسْتَعْنِي صَاحِبُهُ
وما يتعلق بهذا قول المتلس :

فَإِنْ تُقْبِلِي بِالوُدِّ تُقْبِلِي بِمِثْلِهِ وإِلَّا فَلَا نَأْتِيكَ أَنَا أَيُّ وَأَنْتُمْ^(١)
ومثله قول نافع بن خليفه :

بِأَيِّهِ مَا قَالَتْ غَنِيَّتٌ بِغَيْرِنَا وَنَحْنُ سَتَعْنِي عَنْكَ مِثْلًا وَنَصْدِفُ^(٢)
وقال آخر :

فَإِنْ تُقْبِلِي بِالوُدِّ تُقْبِلِي بِمِثْلِهِ وَإِنْ تُذْهِبِي أَذْهِبِي إِلَى حَالٍ بِالْيَسَاءِ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي قَلِيلٌ لِّبَاقِي إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لِّشَيْءٍ مُّؤَاتِبًا^(٣)
وقال آخر :

فَإِنْ تُقْبِلِي بِالوُدِّ تُقْبِلِي بِمِثْلِهِ وَإِنْ تُؤْذِنِينَا بِالصَّرِيَّةِ نَصْرِمِ

(١) التماس : الامتناع ، ومنه تماس الدابة وهو ألا تمكن من الاسراع والالجام .

(٢) صدق : ارتد وانصرف .

(٣) البائة : الحاجة التي يهيم الانسان فتاؤها .

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة:

سَلَامٌ عَلَيْهَا مَا أَحْبَبْتُ سَلَامَنَا فَإِنْ كَرِهَتْهُ فَالسَّلَامُ عَلَى أُخْرَى

ومثله قول الآخر:

وَكُنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ صَرِي وَجَدْتُ لَدَى مُنْفَعًا عَرِيضًا

وأجاد أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول:

فَإِنْ وَصَلْتُ حَيْلَ الصَّغَا فَدُمُ لَهَا وَإِنْ صَرِمَتْ فَانصَرَفْ عَنْ تَحَامُلِ

ومثله قول ابراهيم بن العباس:

بَقْلِي مِنْ هَوَى الْبَيْضِ انْصِرَافُ وَتُعْجِبُنِي مِنَ الْبَيْضِ الْقِصَافُ^(١)

فَإِنْ أَضْفَنْ فِي وَدَى وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِي خِلَافُ

وقد أحسن الذي يقول:

كَمْ مِنْ أَخِي مَعَهُ قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ مَبْتُ عَلَيْهِ رِيَا حُ الْقَدْرِ فَانْقَضَا

أَمَلْتُهُ حِينَ لَمْ أَمْلِكْ حَيَاتَهُ ثُمَّ انْقَبَضَتْ بُودَى مِثْلَ مَا انْقَبَضَا

وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ عُدِيهِ قَى تَوَحَّتْ بِهِ النَّوَى أَوْ مِنَ الْقَرْضِ الَّذِي انْقَرَضَا

فَا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ فَارَقَنِي وَلَا وَجَدْتُ لَهُ بَيْنَ الْحَشَا مَضَضَا^(٢)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أَمِيطِ الْهَوَى إِنْ شِئْتَ عَنِّي فَانْقَضَى عُهودُ الْهَوَى وَاسْتَرْزَقِي اللَّهَ فِي سِرِّ

فَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْنًا إِذَا لَفَقَانَا وَلَوْ كُنْتُ لِي أُذُنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ^(٣)

(١) قصف: تحف ودق.

(٢) المنص: وجع المصية.

(٣) الوقر: قل الآن، أو ذهاب السمع كله،

ولو كنت لي كفاً إذا لقطعتها
سألتك هل للناقض العهد والذي
فان شئت فألقيني وإن شئت فاعرضني

ولقد أحسن الخليع حين يقول :-

هوئلكم جهدي وزدت على الجهد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة
لعمري لقد أغضيت فيكم على التي
تأنيثكم بقيقا الصديق لتقصدا
تعرّوا بيأس عن هواي فأتني
أبي القلب إلا نبوة عن جميعكم
أرى التدرج ضداً للوقار وإنني
إذا خنتم بالغيث عهدى فالكم
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله
فكم من نذير كان لي قبل فيكم
فوا أسفاً من صبوؤ ضاع شكرها
وأنشدني بعض المحدثين :

هجرت حبيباً كنت أحسب أنني

سأفضي حباتي قبل هجرانه وجداً

(١) نيا الشيء : بعد وتأخر عن مكانه . السحق : البعد .

(٢) صد عنه : أعرض ومال .

(٣) صبا إليه صبوؤ : حن إليه .

وذلك أتى كنتُ صباً بحبه أجاوزُ للإفراط في حبه الحدَّ
 هابلي من قلَّة الحِفظِ الوفا بأنْ خانني ودِّي ولم يرعَ لي عهداً
 قلتُ لقلبي بالملامةِ فاضطرب ورُم سلوةٌ تلقى بسلوتِكَ الرُّشداً
 فطاوَعني قلبي فيتُ مسلماً أقتسُ عن ودِّي فلا أجدُ الودَّ

وأنشد أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك :

عَظِيتُ عَلَيْكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَأَفْرَطْتُ فِي التَّعْدَالِ وَاللَّوْمِ وَالزَّجْرِ^(١)
 فلما رأيتُ القولَ ليس بنا فيبي ولا النِّهيَ مقبولاً لدى ولا أمرِي
 زجرتُ فَوَادَى زَجْرَةً عَنْ هَوَاكُم وَقُلْتُ لَهُ سِرّاً فَأَضْنَى إِلَى سِرِّي
 أَيْقَنَ كَمْ يَكُونُ الْمَجْرُ مِنْ تَحِيٍّ وَهَجْرُ الَّذِي تَهْوَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ
 وَصَبْرُكَ لَوْ تَدْرِي عَلَى الْمَجْرِ سَاعَةً وَقَدِ كُنْتَ تَرْجُوهُ أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ
 تَعَزَّ فَإِنَّ النَّدْرَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ وَلَا دَاءَ أَدْوَى مِنْ مُعَالَجَةِ النَّدْرِ
 تَعَزَّ فَإِنَّ الْبَاسَ يَذْهَبُ بِالْهَوَى وَلَا شَيْءَ أَشَقَّ لِلْفَوَادِ مِنَ الْمَجْرِ
 تَعَزَّ وَدَاوِ الْقَلْبَ مِنْكَ بِهَجْرِهِ فِي الْمَجْرِ لَوْ يَأْتِي شَفَاغَةَ الصَّدْرِ^(٢)
 فطاوَعَنِي قَلْبِي فِيهِ أَرَى الْهَوَى وَمَا كُنْتُ فِيهِ كَالْجُنُونِ أَوْ السَّحَرِ
 وَأَصْبَحَ قَلْبِي ظَرِغاً مِنْ هَوَاكُم كَأَنْ لَمْ يَكُنْ عَانَاهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَأَضْحَى وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْهَوَى إِذَا قَيْسَ مَقْدَارُ الْعَشِيرِ مِنَ الدَّرِّ

ولقد أحسن الذي يقول :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصاً وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْباً مُقْسَماً

(١) التمدل : اللامة .

(٢) الندة : العطش الشديد .

ولن يلبث العوض الوثيق بناؤه على كثرة الوراد أن يتهدما
وقال آخر :

لا أشتى رنق الحياض ولا التي تخاض ويعشاها المطرحة الجرب^(١)
ولا أشتى إلا مشارب أحرزت عن الناس حتى ليس في ماها عب
وأنشدني أحمد بن يحيى :

ولاني لأستحي من الله أن أرى رديف وصال أو على رديف
وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بحبل منك وهو ضعيف
ولاني للماء المخالط للقدي ومثله قول الآخر :

لقد زعمت ريبك أنك غادر وأنك للشرب الغداة عيوف
لقد سمعت ما إن أعيج بشرب أجاج ومالي في الوصال رديف^(٢)
وأخبرني أحمد بن يحيى، عن الزبير بن بكار، قال : كان نصيب يأتي خلة^(٣)
له بالأبواء، وكان إذا أناها رجعت به أمها وأكرمته، وفرشت له إلى جنب
ابنتها، فجاء يوما وعندها قى أصفر كأنه مسر، يتولج^(٤) عليهم بينهم بغير
إذن، ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب، فوثب إلى رحله فشدّه على راحلته،
فلعلقت به الجارية وقالت : ألا تبوء عندنا يا أبا محجن كعادتك ؟ فقال :
أراك طموح العين طارقة الهوى لهذا وهذا منك ودّ مؤالف

(١) رنق الماء : كدر.

(٢) أجاج بالثي : عجا به ، يقال ما عجت بالثي ، أي مارعت به . أجاج الماء : صار
أجاجا ، أي ملحا مرا .

(٣) الخلة : الصداقة والصديق ، والزوجة .

(٤) يتولج : يدخل .

فَإِنْ تَحْمِلْ وَدَقِّينِ لَا أَكْ مِنْهُمَا . لِحْيَتِي بَقَرْدٍ إِنَّنِي لَا أُرَادِفُ
وَأُنَشِدُنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّحْوِيَّ لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّنَا نَهْوَاهُ . وَنَذُوبُ شَوْقًا إِنْ نَأَى مَثْوَاهُ
كَحَذَبَتِكَ قُصُكُ فِي يَمَادِكَ رَاحَةً . إِذْ كُنْتَ مِمَّنْ مُهْجَتِي تَسْلَاهُ
لَا يَجْمَعُ الْقَلْبُ الْقَرِيجُ صَبَابَةً . وَتَأْذِيًا مِنْهُ بَيْنَ يَهْوَاهُ
لَكِنْ إِنْ أَدَا حَلَّ الْأَذَى صَرَفَ الْهَوَى . فَتَزَاحُ عَنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ هَوَاهُ
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ أَصْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَرَازِي :

خَذَى الْعَفْوُ مَنِّي تَسْتَدْبِي مَوَدَّتِي . وَلَا تَنْطَلِقُ فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضِبُ^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى . إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَنْهَبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَصَلَّتْكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ وَاصِلًا . وَبَاعَدْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ لَمَّا بَدَا لَكَ
تَوَهَّمْتُ مِنْكَ الْحِفْظَ وَالرَّغْبَى الْهَوَى . يَكُونُ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ فَهَالَكَ
زَجَرْتُ قَوَادِي وَاجْتَفَيْتُكَ بَعْدَ مَا . رَأَيْتُ وَتَحَيَّيْتُ الْهَوَى عَنْ أَنْثِيكَ
فَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّ فِي النَّاسِ عَاشِقًا . سَلَا سُرْعَةً يَوْمًا فَإِنِّي ذَا لِكَ
وَأُنَشِدُنِي غَيْرَهُ أَيْضًا :

مَنْحَتُكُمْ صَفْوَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى . وَأَفْرِطْتُ حَتَّى جَزْتُ فِي ذَلِكَ الْحَدَّ
وَأَعْطَيْتُكُمْ مَنِّي الْفِيَادَ وَلَمْ أَكُنْ . لِأَعْطِيهِ مَنْ أَمَوَى وَلَوْ شَفَنِي وَجَدًا
فَقَابِلْتُمُونِي ضِدًّا مَا قَدْ مَنْحَتُكُمْ . وَمَا كَانَ حَقِّي أَنْ أَقَابِلَهُ ضِدًّا

(١) اللغو : خيار الشيء وأطيبه ، ومن المال : ما يفضل عن النفقة ولا يصرف على صاحبه في إصلاحه ، وأعطاه لئال ضرواً أى بغير مائة . السورة : الثوبة والرهبة .

قد نلت مما كان مني من الهوى وآليت ألا أخلص الحب والودا
فإن شئت جدوا الوصال من الهوى وإن شئت خُونُوا القطيعةَ والهدا
فاني بئري لا ذكرت مودةً ولا عشت إلا سميًّا كذا فردا
وأشدني أيضا لنفسه :

من سلا عنك فاسله لك في الناس مفله
لا تقولن لِمَ وَكَمْ وعسى أو تملله
فالعسى يعقد الهوى والتعزى يحمله
كل حب إذا انقضى بعضه مان كله
وأشدني أبو عبد الله بن مسرف لنفسه :

أذن من كل صاحب يذن شبرا منك بالوصل والوداد ذركا
وإذا ما نأى ذركا فردة أنت بالهجر والقطيعة باعا
سم لا تطعن يوما عليه بعيوب وإن شاك سماعا
وهذا الباب على كثرتة ، واتداع القول في صحته ، يعز على الأديب فعله ،
ويمنعه من اتيانه شغله ، لأنه لا يقدر أحد على التخلص من الهوى بعد الوقوع
في شركه ، واثرافه على مهول هلكه ، إلا بعد ثم دخيل ، وسقم طويل ،
وفكر قاتل ، وشغل شاغل . فتحرز ذوى النهى من الهوى بالنزوع ، أولى من
إعمال الحيلة في طلب التخلص والرجوع .

واعلم أنه لا يصلح العشق إلا لأربعة : لذوى مروة ظاهرة ، أو زى
طاهرة ، أو ذى مال واسع ، أو ذى أدب بارع ، ويقبح ممن سواهم ، لأن

الفقير إذا تعدى طوره ، ورام أن يحاوز قدره ، فبح ذلك به : كما أنه يبيع
بذى الغنى ترك التعرض لأسباب الهوى ، وذلك لصغر نفسه الدنية ،
وسقوط همته الرديّة ، لا يتمتع من طلبه قلة ذات يده ، ولا تعذر الجدد ، بل
فساد الطبع ، وعدم الحاسة ، وموت الذات .

وبعد فإن كنا فى تقدّمنا فى غرض خطابنا ، وفصول كتابنا ، بإباحة العشق
والهوى ، ودعونا إليه الأدباء ، وحثنا عليه الظرفاء ، وملأنا بذلك كتابنا ،
فإننا نرد للنصيحة فيه بابا يميل إليه أهل التدبير ، وأهل المعرفة والتبحر ،
ويرغب فيه العاقل ، ويزهده فيه الجاهل ، لأنى لم أخله من كلام مشهور ، وشعر
مشهور ، تقف على ما أصلت^(١) بين لك ما فرغت ، إن شاء الله .

٢٢ - باب النهى عن الهوى

والتعرض لأسباب الضنى

اعلم أنه يبيع بالرجل الأديب ، والعاقل اللبيب ، أن يستخذى فى هواه ،
ويملك قلبه سواه ، ويكون خادما قلبه ، وأسير حبه ، لاسيما مع تغير الزمان ،
وغدر الأحباب والخلائ ، ما يجد فيهم خيلا صادقا ، ولا يصاحب إلا ما ذقا^(٢) ،
ثم أن أجمل الجهالة ، وأضل الضلالة ، صبر الفتى الأديب على غدر الحبيب ،
فإن الصبر على الحياطة والغدر ، يضع من المروءة والقدر ، وقد قال بعض
الشعراء فأحسن :

ولانى وإن حنت إليكم ضما كثرى فما قدر حتى أن يذل له قدرى
فلا ينبغي لأحد أن يذل لهواه ، فيشمت بنفسه أعداءه ، ولا يركن إلى

(١) أصله : بين أصله أو أسأله .

(٢) المائق : الذى لم يخلص الود .

واحدة من النساء الحرائر والاماء ، فكلهن في الغدر سواء ، وما لواحدة
منهن عهد ولا وفاء ، ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
حيث يقول :

ألا أيُّها القومُ المحبُّونَ وَيَحْكُمُ تَعَزَّوْا عَنِ الْأَحْيَابِ وَأَحْسَبُوا الْأَجْرَا
فما واحدٌ منهم يُوَافِي لِوَاحِدٍ وَصَاحِبِي تَجْزِي وَفَاقِي لِمَا غَدَرَا
فلو كنتُ من صَخْرٍ لَمَّا كُنْتُ صَابِرًا وَمَا أَنَا مِنْ صَخْرٍ وَمَا أَتْرَكَ الصَّبْرَا
وقد بلغنا أن بعض بلاد الهند قوما لا يشقون ، ويرونه ضربا من
السحر والجنون ، وذلك لمن فيهم الفلسفة ، ولهم الحكمة والتجربة .

وزعموا أن سبب العشق سبب النوى ، وفيه المذلة والعناء ، ومنه يكون
السقم والضعف ، وأكثر من في النساء وفاء . أسرعن خيانة وجفاء ،
وأعطاهن حلفا وإيمانا ، أسرعن خبثا وسلوانا ، فيارحن للآداب ، وشفقن
على الظرفاء ، فما أطولَ بلاءهم ، وأكثرَ شقاءهم ، وأسخرن عُيونهم ، يبتلى
العزيرُ منهم بالذليلة ، والكثيرُ منهم بالقليلة ، والشريفُ بالذنية ، والنبيلُ
بالزرية ، فيطول في عشقها سرُّه ، ويكثر في أمورِها فكرُّه ، وتنهل عليها
إذا نأت دموعه ، ويطول لديها إذا قربت خضوعه ، وهي تُظهر له المحبة ،
وتُبدى له الرغبة ، وتحلف بالإيمان المحرجات ، والعهود الموكدات ، أنه
حظها من الآدميين ، وشغلها دون سائر العالمين ، وتُريه الجزع عند الفراق ،
والفرح عند التلاقي ، فتملأ قلبه هُما ، وتورثه ضنى وسقا ، وهي تكتب
سواء ، ولا تتأبى بهواه ، لها في كل زاوية ريط ، وفي كل علة خليط ، لم
يعدّها قول الشاعر :

(١) عدا الأمر وعن الأمر : تركه .

فَيَأْمَنُ لَيْسَ يُقْنِعُهَا حُبٌّ وَلَا أَلْفًا حُبُّ كُلِّ عَامٍ
أَظُنُّكَ مِنْ نَبِيَّةٍ قَوْمِ مُومَى فَهُمْ لَا يَصْنَعُونَ عَلَى طَعَامٍ
أَتَيْتُ قَوَادِمَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزُّحَامِ
وَلَا قَوْلَ الَّذِي أُنْشِدْنِي قَوْلَهُ أَيْضًا:

الْحَانُ يَجِزُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا كَثُرُوا لَكِنَّ قَلْبِكَ مِثْلُ الْحَانِ أَضْعَفُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ خَمْسُونَ يَتَشَقَّهِمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَهُ أَلْفٌ وَأَلْفٌ
وَحَكِي الْمَيْمَنُ بْنُ عَدَى: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ هَوَى جَارِيَةً، فَتَمَسَّكَ
بِوَدَّهَا، وَرَكَنَ إِلَى حُبِّهَا، ثُمَّ أَطْلَعَ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ، فَقَطَعَهَا
وَأُنْشِدَ يَقُولُ:

الْأَحَى أَطْلَالًا لِوَاسِعَةِ الْحَبْلِ أَلَوْفُ تَسْوَى صَالِحِ الْقَوْمِ بِالرِّذْلِ^(١)
فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَضْحَى بِمُنْتَرَجِ اللَّوَى إِلَى الرَّمْلَةِ الْقُصْوَى بِسَاقِطَةِ النَّعْلِ
جُلُوسًا إِلَى أَنْ يَقْضَرَ الظِّلُّ عِنْدَهَا لَرَاحُوا وَكُلُّ الْقَوْمِ مِنْهَا عَلَى وَصْلٍ
وَمَنْ أَكْثَرَ الْحَالِ، وَأَحَقُّ الْمَقَالِ، قَنَاعَةُ الْمَرْأَةِ بِصَدِيقٍ، وَصَبْرُهَا عَلَى
رَفِيقٍ، أَحْسَنُ مَنْ فِيهِنَّ حَالًا، وَأَقْلَهِنَّ أَشْغَالًا، مِنْ لَهَا صَاحِبٌ مَشْهُورٌ،
وَخَلِيلٌ مُسْتَوْرٌ، وَرِيْطٌ تَرَاثَلَهُ، وَصَدِيقٌ تَحَامَلَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا مَالَ،
وَلَا لَطْمَعٍ وَأَمَالٍ، فَقَدْ كُنَّا تَقْدِمْنَا فِي بَابِ صِفَةِ الْقِيَنَاتِ، وَمَا طُبِعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِيَانَاتِ، أَنَّهُنَّ يَكْتَسِبْنَ بِالْهَوَى وَالْمَشَقِّ، وَيُذَكِّرُنَّ بِالتَّلَقُّ
وَالرَّفَقِ، وَلَيْسَ بِنَاتِ الْبُيُوتِ فِي الْخُدُورِ، وَرَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٢) وَالْقُصُورِ،
كَذَوَاتِ الْمَذَقِّ مِنَ الْقِيَنَاتِ، وَكَذَوَاتِ التَّكْسِبِ مِنَ الْمُتَمَتِّنَاتِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ

(١) الحبل: الرمال. الرذل: التبيخ.

(٢) الحجال: جمع الحجة: ستر يضرب للعروس، أو بيت يزين لها.

معروفات بطلب الدرهم والأموال ، منسوبات الى التكبّب بتعشّق الرجال ، لا يقدم عليهنّ إلا مغرور ، ولا يثق بهنّ إلا مسحور ، وإنما يذهب على أهل الألباب ، وأهل النظرف والآداب ، مكرّ البنات المخدرات ، والغواني المحجّبات ، اللواتي لم ترهنّ العيون ، ولم تكترفيهنّ القالة والظنون ، اللواتي يبذلن نفيسَ الأموال لمن يتعشّقنه ، ويعتّين من راسلته وكاتبته ، وتزعم أنّهنّ وراء الحجاب ، ودون الأقفال والأبواب ، وأنهنّ لافرج لمن إلا في المسكّابة ، ولا فرج إلا في المراسلة ، ولا سرور إلا في النظر من بعيد ، ولا يقدرن على اللقاء إلا في الخروج في كلّ عيد ، وأولئك اللواتي تحفّ أمورهنّ ، وتغنى سرائرن ، ويطمع الجاهل فيهنّ ، ويصبوا الزق^(١) إليهنّ ، ويتقّ بحبّهنّ الأحداث والأطفال ، ولا يتمسك بمودّتهنّ إلا الجهّال ، مع أن مكرهنّ أخفى من الخيال ، وأعظم من راسيات الجبال ، تنفذ حيلهنّ على الرجال . ويتمكّن كيدهنّ من الأبطال ، وفيما خبر الله جل ثناؤه في بعض القرآن من عظيم كيدهنّ ، ولطف حيلهنّ ، ما يغني عن شرح كثير من سرّهنّ ، وإن في قصة زليخا ويوسف ما يستغني به ذوو العقل والافهام من مكرهنّ القويّ ، وكيدهنّ الخفيّ ، ولن يحترز منهنّ إلا المجربّ ، ويتقّى منهنّ إلا المدرّب ، فإنّ ذا الحنكة اذا كان بهنّ عليا ، وكان في أمورهنّ حكيما ، أخذ من حبّهنّ عفّوه ، وشرب من هواهنّ صفّوه ، ولم يعلق بهنّ فؤاده ، ولم يلمكن قياده ، وذلك الحسن الحال ، والرخي البال ، لم تورّقه الغموم ، ولم تُنضِجه الموم ، لا كالذي غلب عليه الشتاء ، وأنتج له البلاء فركن

(١) نزع الرجل : نشط وطاش وخف عند الغضب .

الى حبيب، ودعته الرغبة الى ودهن، فتمكن منه الهوى، وتفرّد به الضنى،
وتلك لا تقصر بسره . ولا تعباً بفكره، وباقه أقيم صادقاً لو حلفت،
آتمن لا يعرف شيئاً من الوفاء ما حثت، ولو بحث المغرور بهن، المخدوع
بجهن، عن صحيح أخبارهن، ولخص عن مكنون أسرارهن، لو قلب على
صورة غدرهن، ولبان له جملة من مكرهن، ولهن عليه بعد الكرامة،
ولرجع على نفسه بالملامة، كما أنشدنى بعض الأدباء لنفسه :

أَوْصَلَكَ أَرْجُو بَعْدَ أَنْ رَثَّ حَبْلُهُ لَقَدْ ضَلَّ سَبِيَّ إِذْ رَجَوْتُ مَوْلَا
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ قَدْ هُنْتُ فِي عَيْنِي وَكُنْتُ جَلِيلَا
إِذَا لَمْ يَجِدْ لِقَائِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَبَا وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ الْعَزَاكِ سَبِيلَا
فَوَاقَهُ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فَيْكَ عَذُولَا
وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا :

سَأَغْدِرُ حَتَّى تَعْجِبُوا مِنْ خِيَاتِي فَإِلَى ذَنْبٍ غَيْرِ حُسْنٍ وَقَائِي
وَلَوْلَا أُمُورٌ عَارَضَتْ مَا سَبَقْتَنِي إِلَى النَّدْرِ حَقًّا لَوْ تَرَكْتُ وَرَائِي
سَأُزِفُ دُمْعِي حَسْرَةً وَتَذْمًا عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَبَوِي وَعَنَائِي
وَأُنْشِدُنِي لِلْحُسَيْنِ الْخَلِيعِ :

تُرَاكُ عَلَى الْآيَامِ تَنْجُو مَسْلَمًا وَلَسْتُ تَرَى مِنْ غَدْرِي أَبَدًا بَدَا
السَّاتِ الْإِلَى آلَيْتَ بَاقَهُ جَاهِدَا بَيْنَنَا وَخُنْتَ اللَّهَ مَوَافَقَهُ عَمْدَا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدٌّ بِذَلِكَ لِمَنْ خَانَنِي وَدَى وَلَمْ يَرْعَ عَلَى عَهْدَا
عَدِيمُكَ مِنْ قَلْبٍ أَقْلَمَ لِنَادِرٍ عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي جِدَا

ومن ذلك قول الحكيم :

ألا في سبيل الله ودٌ بذلكه
سوى ما إذا فكرت فيه وجدتي
وأشدني بعض الأدباء لنفسه :

توأفيت لي حتى حسبك مفرماً
ومالك شيء منها غير أنني
وما كنت أدرى كيف يصبر عاشق
فأثقتني بالنذر من غمرة الهوى
ولولم تخلفني بغدرك لم أجد
فلم تر عيني قبل شخصك ظالماً
فجوزيت عني بالذي أنت أهله
سيتدم إنسان لعبد خيل له
وأشدني أيضاً :

يا قلب قد بان من كلفت به
شملك بالفكر في تفكيره
قد يئلم العاجز الضعيف وقد
وقد يفوت القريب مطلبه
فإن يذكك الوصال حسرته

لمن لم يكن متى بلغشاره أهلاً
أفوز به أني اكتسبت به عقلاً

وأعرضت حتى خلت نفسي بجرماً
أراك ترى نقض المواقف مغنماً
ولا كيف يسلي بعد أن يقتبماً
وعلمت قلبي الصبر حتى تعلماً^(١)
إلى سلوة حتى القيامة سلماً
تعمد أن يحني فأصبح منبماً
فكل امرئ يجزي بما قد تيمماً
وقل لمن لم يرع أن يقتدماً

فخل عنك البكاء من أثره
أعظم مما لقيت من حذرته
تتلف روح القوى من غيرته
وقد يؤوب البعيد من سقرته
فقد جئت اللذبة من أمره

(١) غمرة الشيء : شدته .

(٢) غير الدم : أحده .

فَارْحَلْ فَمَنْ لَا يَحِلُّ مَوَدُّهُ يُفَضُّ بِهِ صَفْوَهُ إِلَى كَدَرِهِ

ولقد أحسن الحكمي حيث يقول :

أَيُّهَا الْمُتَنَكِّبُ عَنْ عَفْوِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمَرَةٍ^(١)

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ^(٢)

وأشدني محمد بن خلف أحد الفقهاء ، وأحسن في قوله :

إِذَا كُنْتُ لَا أَتُكُّ مِنْكَ مَرُوءًا بَقْدَرُ فَإِنَّ الْمَجْرِيْسَ بِرَائِعٍ^(٣)

إِذَا خَافَتِي مِنْ كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهُ فَلَسْتُ بِمِجَنَّتِ الْخُلُودِ بِقَانِعٍ

أَبَتْ عَزَمَاتِي أَنْ يَقُودَ زِمَامُهَا إِلَى غَادِرٍ بِالْهَدَى ذُلُّ الْمَطَامِرِ

فَيَا مَنْ بِهِ كَانَتْ حَيَاتِي حَيِيَّةً إِلَيَّ وَمَنْ لَوْلَاهُ قُلْتُ رَوَائِي

نَعَزُ يَا مَنْ عَنْ تَذَكُّرٍ مَا مَضَى فَلَسْتُ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي بِتَابِعٍ

وَأَيُّ وَإِنْ لَمْ يَرْقَ دُمِي ثَامَةً عَلَيْكَ فَمَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِرَاجِعٍ

وأجود ما قيل في هذا الباب قول أبي ذؤيب الهذلي :

فَإِنْ تُعْرِضِي عَنِّي وَإِنْ تَبْدَلِي خَلِيلًا وَإِذَا كُنْتُ سَوْءَ قُصَارَاهَا^(٤)

(١) المتناكب : التناكب لك : اتصافك بالتردد عليك . والعفر : طول العهد . لست من ليلى : لست من سمارى ليللا . والخطاب لصديقة ، اتصلت بهديق له ، يراها منها ، وإن كان في الظاهر لا ذكر ، إذ المقصود الشخص .

(٢) ذاد عنه : حواه ودافع عنه ، والبيت للتشيل ، يقول : لا أحيك بعد خيانتك .

(٣) لا أتك : لا أزال . مروع : فزع . الرائع : المحجب .

(٤) قصارها : مصيرها الذي تصير إليه ، أى الناية التى تحبس عندها وتقف ثلاثتها ،

ويروى : فإني تسمى حبل وإن تبدل

فَإِنِّي إِذَا مَا خُلَّةٌ رَثْتُ حَبْلَهَا وَجَدْتُ لِصِرِّي وَاسْتَمَرَّ عِذَارُهَا^(١)
وَحَالَتْ كَحَوْلِ الْقَوْسِ طُلَّتْ وَعُطِّلَتْ ثَلَاثًا فَأَعْيَى رَدُّهَا وَظَهَارُهَا^(٢)
فَإِنِّي قَمِينٌ أَنْ أُوَدِّعَ عَهْدَهَا بِحَمْدٍ وَلَمْ يُرْفَعْ إِلَيْنَا شُكْرُهَا^(٣)
وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهُ
وكيف تراه بعد يُنْسَاهُ صَانِعًا بَنَ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَدْوَى مَرَاتِرُهُ

فكذلك لعمري ينبغي أن يفعل الأديباء ، وبمثل هذا فليتمتع الظرفاء ، وقد
يجب على العاقل المتأدب وذوى الحنكة والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة
الريحانة ، يتمتع بنضرتها ، ويتمتع بزهرتها ، حتى إذا جاء أوان جفافها ،
وحالت عن حالها في وقت قطافها ، نبذها من يدهم ألقاها ، وباعدهم من مجلسه
وقلاها ، إذ لم يبق فيها بقية لمستمع ، ولا لذة لمستمع ، وقدر الذى يقول :
نَمْتَعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجَاً فِي الْخَلْقِ حِينَ يَبِينُ
وَأَنْ هِيَ أَعْطَتْكَ الْبَيَانَ فَإِنَّهَا لِأَخْرَجَ مِنْ خُلَاتِهَا سَتْلِينَ
وَأَنْ أَقْسَمْتُ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
ومثل ذلك قول النمر بن تولب :

وَكُلُّ خَلِيلٍ عَلَنَهُ الرَّعَا تُ وَالْحَبْلَاتُ كَذُوبٌ مَلَقُ

-
- (١) الخلة : الخلية . رث : خلق . واستمر عذارها : اقبل ، يقال : أمروا الخيل فاستمر ، أى فقلته قتلا شديدا فاقبل ، وهذا مثل ، يقال : لوى عن عذاره : إذا عصى
(٢) حال : تحول من حال إلى حال . علنت : أصابها الندى والعلل . ظهر القوس : ظهرها .
يشبه خليلته في تحولها وعدم استقامتها على وده بقوس أصابها العلل فتدبت ، وعطلت ، أى ألقى
وزرها ثلاثة أشهر ، فأعوج مقبضها وظهرها ، وأعيت تلك القوس أن ترجع إلى استقامتها .
(٣) القمين : الخليل الجدير . الشار : العيب والكلام المصيب .

ومن جيد ما قيل في هذا الباب ، مما يجب قبوله على ذوى الألباب ، قول الحكم بن معمر الحضري ، أحد بني حصن بن محارب :

وبعض الهوى داءٌ وفي اليأس راحةٌ إذا انبتٌ وصلٌ لونيّاك منزلٌ^(١)
وذو العقل لا يأمن على وصلٍ خلّةٍ إذا لم يكن يوماً عليها معولٌ^(٢)
فلترضى بالامر الذي ليس بالرضى إذا كنتَ تعتمُ الامور وتفصيلٌ^(٣)
إذا المرء لم يُحِبِّكَ إلا تَكْرُماً فدعهُ ولا يعجزُ عليك التحوُّلُ^(٤)
وفي الأرض أكفاءٌ وفيها مرأغمٌ عريضٌ لمن غاف الهوانَ ومرحلٌ^(٥)
وأن يقطعَ الامرُ الذي أنتَ قادرٌ على جذوٍ منه أعفٌ وأَجَلٌ^(٦)

والكلام في هذا الباب مطرد^(٧) ، والقول فيه مفسرد^(٨) ، ولكن كرهت به إطالة الكتاب ، واقتصرت على قليل من الخطاب ، وأبدت نصيحتي للأدباء ، وأهل المعرفة والعقلاء ، وأخبرت بما صحَّ عندي ، وبالفن في النصيحة جهدي ، فإن رغب فيها راغبٌ فقير ملوم ، وإن زهد فيها زاهدٌ فقير مذموم ، وأنا أعود الى ذكر الطرف والهوى ، فقد مضى من هذا الباب ما كفى .

واعلم أن للعشق سُنَّةٌ مقصودة ، وللطرف شرائعٌ محدودة ، ورأينا أربابه

(١) انبت : اقطع

(٢) عَمَ عن الامر : كف عنه بعد المضي فيه

(٣) المرأغم : المرِب والقَهَب .

(٤) جذه : قطعه فاقطع . أجَل : أحسن

(٥) اطرد الامر : تبع بعضه بعضاً واستقام وتماثلت أحكامه ، ومنه حكم مطرد ، أى عام لا تنفوذ فيه .

(٦) مفسرد : متتابع في نظام .

وأهله وطلابه متبعين لسُبلها^(١)، متمسكين بحبلها، متى حالوا عنها شتموا بغير اسم الظرفاء عند أهل الظرف، ودُعوا إلى غير سُنَّة العشاق والأدباء، ولهم فيما استحسَنوه من الزي والطيب والثياب، والمدايا والطعام والشراب، حدٌّ محدود، مستحسن معلوم، وزى بين الطائفتين مقسوم، لا الرجال يتجاوزون ما حدُّ لهم إلى حد متظرفات النساء، ولا النساء يتجاوزن حدَّهن إلى حد الرجال الظرفاء، وأنا أصف لك زى الفريقين من الظرفاء والمتظرفات، وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزي والهيئات، إن شاء الله.

٢٢ - باب ذكر زى الظرفاء في اللباس

المستحسن عند سرَّوات الناس^(٢)

اعلم أن زى الرجال الظرفاء: وذوى المروءة والأدباء، الغلائل^(٣) الرقاق، والقمص السَّفاق^(٤)، من جيد ضروب الكتان، الناعمة النقيَّة الألوان، مثل الدِّيقي^(٥) والجنَّابي والمبطنات التَّاخَّج والحامات، ودراريع البرَّدجرد^(٦) والاسكندرانى، والملحم الخزى^(٧) والحراسانى، ومبطنات القومى^(٨) الرطب، وأزُر القصب الشَّرب، والأردية المحشاة العدنية، والطَّيالة

(١) السبل: جمع السيل، الطريق.

(٢) سرَّوات الناس: سادتهم.

(٣) الغلائل: جمع الغلالة، شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع.

(٤) سفق الثوب: كان سفيقا، أى كشيئا.

(٥) الدِّيقي: نبة إلى ديق، وهى قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب المثقلة.

(٦) الدراريع: جمع الدراعة: جبة مشقوقة من الإمام. وبردجرد: بلدة بين الكرخ ومهذان.

(٧) الأثواب الملحمة: المسدودة من قدام. والخز: الحرير، أو مانسج من صوف وحرير.

(٨) القومى: ثياب يعض.

الملحَم التيسابورية، والمُصنَّعة الدَّيْقِيَّة، والجِباب التيسابورية، والمُصنَّعة
الطَّرَازِيَّة، والوَشْي العُذْرِيَّة، والخَزُوز الكُوفِيَّة، والمطارف السُّوسِيَّة،
والأَكْسِيَّة الفَارِسِيَّة، والطَّيَالِسَةُ التُّومِيَّة الرُّزْق السُّلُولِيَّة، وكلُّ ما أشبه
ذلك وقاربه، ودنا منه وصاحبه، وليس يُستحسن لبس الثياب الشَّعْبَة
الألوان، المصبوغة بالطَّيْب والزعفران، مثل الملحَم الأصفر، والديقُّ
المعْبَر، لأن ذلك من لبس النساء، وليس القينات والإماء، وقد يلبسون
ذلك في الفصد والعلاجات، ووقت الشراب والخطوات الغلاتلَّ الممسَّكة،
والقمص المعْبرة، والأردية الملوَّنة، والأزر المعصفرة، وربما استعملوها
لفرشهم، ولبسوها في وقت قصفهم^(١)، وتظرفوا بها في مجالسهم، وتخففوا بها
في منازلهم، والظهور فيها قبيح بالسوقه والظرفاء، مستحسن من أهل النِّعم
وأبناء الخلفاء. وليس يُميز أهل الظرف والأدب لبس شيء من الثياب الذنسة
مع غسيل، ولا غسيل مع جديد، ولا الكتان مع المزوي، ولا الباياف
مع القوهي أيضا، وأحسن الزي ما تشاكل وانطبق، وتقارب واتفق.

٢٤ — باب زي الظرف

في التَّكُّ والنعال والخفاف

ومن زِيهم لبس النعال الزَّيْجِيَّة، والنخان الكَنْبَاتِيَّة، والمشعْرة البامانيَّة،
والخُذْر الطَّاف، والمُخَمَّة الخفاف، ويشرك أسودها بأحر، وأصفرها
بأسود، ويلبسون الخفاف الهاشمية، والمكدورة الكُتَّانِيَّة، ومن الأَدَم
للنخين، والأسود الرزين، بالجوارب الخُرَّ، والمُرْعَزَى وَالْقَزَّ، ويعيون

(١) القصف : الإقامة في الأكل والشرب والهوى

لبسَ الأحمر من الخفاف ، وليسَ الدارشيّة الخفاف ، ويتخذون التّكك الإبريمية ، والتكك الحزّية ، والمطارف القطنية ، والمتقوشة الأرمنية .

٢٥ - باب زيهيم المنصوص

في الخواتيم والفصوص

التختم بالعقيق الأحمر ، والفير وزج الأخضر ، والفضة المحرقة ، والياقوت الاسمانجوني ، والبجاذي الخراساني ، والمعرانية الحجر ، والياقوتية الصفر ، واليمانية السود ، الحسنة القدود ، على الخواتيم المهرانية ، والمضروبة المتوكّلية ، ولا يتختمون بالذهب ، وليس من زى ذوى الأدب ، وإنما هو من لبس النساء ، وليس الصبيان والاماء .

٢٦ - باب زيهيم في التعطر والطيب

الذى من خالفه كان غير مصيب

ومن زيهيم في التعطر والطيب بالمسك المسحول^(١) ، بماء الورد المحلول ، واستعمال العود المعتبر ، بماء القرفة^٢ المخمّر ، والتّد السلطاني^٣ ، والعنبر البخراني^٤ ، والببير والذرائر المفتوحة بالعبائر ، وسوى ذلك من الطيب لا يقربوه ، والكافور لعله يردّه لا يستعملونه ، إلا من حرارة ظاهرة ، أو من علة غالبة ، أو موضوعا على الحجر ، مخلوطا بببير المسك وزعفران الشّمر ، وهو بهذه الصفة أطيب البخور ، وليس البرمكية وما أشبهها عليهم بمحذور ، وإن الجيد من البرمكية ، من البخور الذّكية ، وإنما يكره استعمالها المتطرّفون

(١) المتحول : المسحول .

إذ هي مما يستعملونه المتقللون . وكذلك اجتنبوا ماء الخلق^(١) لأنه من طيب النساء . والغالية^(٢) إذ هي من طيب الصيان والاماء ، ولا يستعملون شيئاً من الطيب الذفر^(٣) ، مما يسدو له لون ويبقى له أثر ، وفي ذلك حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : طيب الرجال ما ظهر رائحته^(٤) ، ومتى استعملوا شيئاً من الغالية أو طيب النساء ، كانت في أصول الشعر ، بحيث يشم ولا يرى له أثر .

٢٧ - باب في منكرات النساء

في اللباس المخالف لزيّ الطرقات

ليس الغلال اللّخانيّة ، والأردية الرشيدية ، والشروب المزرة ، والأردية الطبرية ، والقصب الملون ، والخبر المعين ، والمقانع النيسابورية ، وأزر اللحّم الخراسانية ، والجربانات^(٥) المخافية ، والكمّام المفتوحة ، والسراويلات البيض المذيلة ، والمعكج^(٦) السود المسفكة ، ولا يلبس شيئاً من التلك ، ولا شيئاً من المرشوش والمطيب ، ولا التقيّة الألوان ، ولا من الثياب البياض الكتّان ، إلا ما كان ملوّناً في نفسه ، أو مصبوغاً من جنسه ، أو مميّزاً بلون من أجناس المسبك والمصنّدك ، وأجناس المعنبر والمسنبل ، ليحول بالطيب عن تلك الحال ، إذ لبس البياض عندهم من زيّ الرجال ،

(١) الخلق : ضرب من الطيب أعظم أجراه الزعفران .

(٢) الغالية : أخلط من الطيب .

(٣) ذفر الثني : ظهرت رائحته واشتدت ، طيبة كانت أو خبيثة . وأغلبه في الحبيثة .

(٤) الجامع الصغير السيوطي : طيب الرجال ما ظهر ريحه وخنى لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخنى ريحه .

(٥) الجربان : طرق التميمي .

(٦) المعج : ثوب تشده المرأة على رأسها .

ولا يلبس أيضا من الثياب الأصفر والأسود والأخضر، والمورّد، والأحمر،
إلا ما كان جنسه الصفرة أو التزريق، والحضرة والتوريد والحرّة، مثل اللآذ
والحرير والقرّ، والديباج، والوشى والخز، لأنّ لبس المورّد والأحمر،
والسبى الأخضر، إنما هو من لبس النساء التَّبَطِّيات، ولبس الاماء
المتقينات. والبياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق والحِداد من
لبس الأرامل والمقرّعات. وأحسن الذى عندهم ما ذكرناه، وليس يتجاوز
حدّ ما رسمناه.

٢٨ - باب زيهى الخفاف لى الرمال

فى لبس التّكّ والخفاف والتّعال

لبس التّعال الكنبائيّة للشّعرة، والمدهونة المخضرة، والخفاف الزنانية،
والمكدورة والهاويّة، والتّكّ الأبريسميّة، والرجال يشركونهنّ فى التّكّ
الأبريسميّة، ولا يشركن الرجال فى التّكّ الديباج المنسوجة، وشرايات
الأبريسم المفتولة، والزناير العراض، ولا يذهبن فى ألوانها إلى البياض،
ولا ما كان منها كثير الألوان والتّخيط، وتطيرن من الألوان، وقد يلبسن
أيضا التّكّ الحرّة المطرقة القطنيّة.

ومن زيهى أيضا فى الطيب، الذى لبس للرجال فيه نصيب، استعمال
الأنخال والصندل، والصّياح والقرنفل، والساهرية والأذقال، والمجونات
والزعفران، والخلوق وماء الخلوق، والكافور وماء الكافور، والمثلثة
الخرزانيّة، والبرمكيّة السلطانيّة، وشار صنوف الأدهان، من البنفسج
والزنبق والبان، إلا أنّهنّ اجتنبن استعمال التّرشنام، والرجال لا يستعملون

شيئا من ذلك، والنساء يستعملن جميع طيب الطرفاء، والطرفاء لا يستعملون شيئا من طيب النساء.

ومن زينة المعلوم، في لبس الخلى المنظوم، لبس نحاق^(١) القرنفل المحمر، ومراسل الكافور والعنبر، والقلائد المفصلة، والمعاذات المحرمة، بشرابات الذهب المشبكة، والابريسية المدسلة، واتخاذ السج^(٢) اللطاف، من المخروطة الخفاف، ومثل السج الحالك، والكوفر والكرك، والبللور النقي، وحب التوتو السرى. والحب الأحمر، والكاربا الأصفر. وسائر صنوف الياقوت والجوهر؛ ويتنعم بالحب وصنوف الجوهر كرازين^(٣)، وينقش بالابريسم والذهب عصائين، ويتخذن خواتيم المقرنة، والمناقير المطبقة، بفصوص الياقوت الأحمر، والزمرّد الأخضر، والاسمانجوني والأصفر، ولا يحنس بهن التخنم بالمينا والعقيق، والفضة والحديد، والملاوح والفيروزج، والبيجاذي والمسابع، وذلك من لبس الرجال والإماء، وليس من لبس منظرقات النساء؛ ولا يتخذن منها ما ضاق وعسر، ولا ما جفا وكبر، وقد تطير بعض الطرفاء من هدية الخاتم، وزعموا أنه يدعو إلى القطيعة، وتهاداه آخرون وأقاموه مقام التذكرة والوديعة، فأما الذين تطيروا منه فينشدون:

وما كان هذا المجرم من طول بنضه ولكن بعض المزج للبر قاتل
مزحت ليحني مرة بخواتيم لأخذه حلت على التوازل
فصدت ولم تعلم على خيانه وطول صدور الخلل للعقل سامل^(٤)

(١) النحاق: جمع الخنقة، القلادة

(٢) السج: جمع السجعة وهي كساء اسود

(٣) الكرازين: جمع الكرز وهو تاج ملوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر

(٤) السامل: الخلق البالي

وينشدون أيضا :

لَمَنِي مَزْحَةٌ وَلَمْ أَعْلَمْ بِخَاتَمِهِ فَكَانَ مِنْهُ ابْتِدَاءُ الْمَجَرِّ وَالنَّصَبِ
قَدْ كُنْتُ مَا قَالُوا أَهْلُ الظُّرْفِ أَنْكَرَهُ وَكَانَ قَوْلُهُمْ عِنْدِي مِنَ اللَّعِبِ
إِنَّ الْخَوَاتِيمَ فِيهَا قَطِيعٌ وَصَلِيكُمُ قُلْتُ هَذَا لَعَمْرِي غَايَةُ الْكَذِبِ
حَتَّى أَبْتَلِيَتْ فَكَانَ الْحَقُّ قَوْلُهُمْ أَخَذَ الْخَوَاتِيمَ فِيهِ أَكْثَرُ الْعَطَبِ
وَأَنْشَدَنِي صَدِيقِي فِي ضِدِّ ذَلِكَ :

يَقُولُ أَنَا فِي الْخَوَاتِيمِ إِنِّهَا تُقَطِّعُ أَسْبَابَ الْهَوَى وَأَقُولُ
بِأَنَّ خَوَاتِيمَ الْمَلَّاحِ وَصُولُهُ وَخَاتَمُ مَنْ تَهْوَى الْمَلَّاحُ وَصُولُ
وَالْعَلَّةُ فِيَا كَرَمِهِ الظُّرْفَاءُ ، وَتَطْيِيرُ مِنْهُ الْأَدْبَاءُ ، مِنْ هَدِيَّةِ التَّسَكُّةِ وَالْخَاتَمِ ،
حَتَّى صَارَ مُسْتَفِيعًا فِي الْعَالَمِ ، أَنَّ هَذَيْنِ وَحْدَهُمَا مِنْ جَمِيعِ الْمَلَّاحِ أَنَّ يُسْتَظَرَّفَا
فِي سُبُلَا ، وَيُسْتَحْسَنَا فَيَسْتَوِيَا ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا أَهْدَى إِلَى خَلِيلِهِ ، وَأَرْسَلَ
إِلَى حَبِيبِهِ ، بِخَاتَمَةٍ أَوْ تَكْتَةٍ ، فَقَدْ ذَلَّكَ مِنْ يَدِهِ أَوْ حَزَنَتِهِ ، بَعَثَ بَاعَثٌ مِنْ غَيْرَتِهِ ،
عَلَى قَطِيعَتِهِ وَهَجَرَتِهِ ، فَأَمَّا مَنْ يَتَلَقَّى هَدِيَّةَ إِخْوَانِهِ بِالْقَبُولِ ، وَيُنْزِلُهَا مِنْهُ بِالْمَنْزِلِ
الْجَلِيلِ ، وَيَحْفَظُهَا كَحَفْظِهِ لِبَصْرِهِ ، وَيَشْفَقُ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ وَغَيْرِهِ ، فَهُوَ آيَنٌ
مِنَ الْمَجَانِبَةِ ، مُسْتَرِيحٌ مِنَ الْمَعَاتِبَةِ .

وَقَدْ رَأَيْنَا مَنْ رَجَعَا أَهْدَوْا ذَلِكَ ، فَيُهْدُونَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَيْعِ ، وَيَأْخُذُونَ
مِنْهُمْ الشَّيْءَ الطَّافِيفَ الْيَسِيرَ ، كَالْذَرَمِ الصَّغِيرِ ، وَالْقِطْعَةِ مِنَ الْبَحْرِ ، فَيُخْرِجُ
بِهَذَا الْبَيْعِ عَنْ حَدِّ الْهَدِيَّةِ ، وَيَأْمَنُونَ مَا فِيهِ مِنْ مَكْرُوهِ الْبَلِيَّةِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ دَخَلَ عَلَى خَالِدِ خَلِيلُوهُ ، فَظَرَ فِي أَصْبَعِهِ إِلَى خَاتَمِ ،
فَقَالَ : أَرَيْتَهُ . فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ عَلَامَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَارِيَةِ يَحِبَّهَا ، فَأَنْصَرَفَ

فاستعمل واحدا على مثاله ، ثم بحث به اليها ، فأنكرت الفص ، فبعثت به اليه ولم تأته ، فدخل على حياله ، فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول :

تَفْدِيكَ رُوحِي يَا أَبَا جَعْفَرٍ جَرِيَّةٌ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ
تَعَلَّقَتْنِي وَتَعَلَّقَتْهَا طِفْلَيْنِ فِي الْمَهْدِ إِلَى الْمَكْبَرِ
كُنْتُ إِلَيْهَا تَهَادَى الْهَوَى بِخَاتَمٍ لِي غَيْرِ مُسْتَكْرٍ
فَأَنْكَرْتَهُ إِذْ رَأَتْ فَصَّهُ فَأَدْرَكْتُهَا غَيْرَةُ الْمُنْكَرِ
قَالَتْ لَقَدْ كَانَ لَهُ خَاتَمٌ أَحْمَرُ يَهْدِيهَا الْيَنَابِرُ
فَالْيَوْمَ قَدْ عُلِقَ غَيْرِي قَدْ أَهْدَى لَهُ الْخَاتَمَ لَا أَمْتَرِي
آمَنْتُ بِاللهِ وَأَيَاتِهِ إِنْ أَنَا لَمْ أَهْجُرْهُ فَلْيَضُرْ
أَوْ يَأْتِ بِالْحُجَّةِ فِي تَهْمَتِي إِذَا فِي خَاتَمِهِ الْأَحْمَرِ
فَلَرَدُّهُ تَرَدَّدَ وَصَلَهَا إِلَيْهَا قُرَّةُ عَيْنِي يَا أَبَا جَعْفَرِ
فأخرجه من أصبعه فدفعه اليه ، فهذا دليل على إجازة تهادي الخواتم ،

وحفظها لأربابها ، وشدة الغضب والغيرة عند ذهابها .

فأما الطعام فعيوبه أشد الأشياء على الظرفاء ضرراً ، وممن عيوبه أشد توقياً وحذراً ، لتكاثر عيوبه ، وكثرة معيبه ، وأنا آيين زيم في ذلك ، وما استحسنوه في ذلك واستعملوه ، وما استقبحوه فاجتنبوه ، إن شاء الله .

١٩ - باب ذكر نهي الظرفاء في الطعام

الذي يأثروا به عن منزلة اللثام

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير الأثم ، والتجامل عن الشره والنهم ،

وأكل الأوساط الرقاق، والبر ما ورد النفاق، وليس يأكلون النصب^(١)
والعضة^(٢)، ولا العرق والكلوة، ولا الكرش والقبة^(٣)، ولا الطحال
والرئة، ولا يأكلون القديد^(٤)، ولا يأكلون الثريد، ولا ما في القدر من
الورق، ولا يتحسّون المرق، ولا يقعون مواضع الدسم، ولا يملأون
أيديهم بالزهم^(٥)، ولا يملأون الملح، وهو عندهم من أكبر القيح،
ولا يكثر كيون في الحلل، ولا يعمنون في أكل البقل، ولا يأكلون الطلع^(٦)،
لشبهه رائحته برائحة الماء الدافق، ولا يمشون^(٧) من العظام كراديس^(٨)
قصب الساق الغليظ، وإنما مشاشهم ما لان وصغر، ولا ما غلظ وكبر،
ويأخذون ما ثقل من المشاش على ظهر الأصابع، ويطرحونه ناحية من
الجوان، ولا يزعمون ما بين أيديهم من الرغشان، ولا يتعدون مواضعهم،
ولا يلمعون أصابعهم، ولا يملأون بالقم أفواههم، ولا يدسمون بكبرها
شفاههم، ولا يقطرون على أكفهم، ولا يعجلون في مضغهم، ولا يأكلون
بجانب الشدقين، ولا يزاجون بين الاثنين، ولا يجاوزون ما بين أيديهم
شيء من الفئات، ولا يأكلون قدرا باثمة، ولا قدرا مسخنة، ولا يغمسون
في مرقة، ولا يضعون لقمة. ولا يأكلون شيئا من السكوريح والصنخانة^(٩)

(١) النصب : واحدة الصب : أطباء المفصل التي تلام بينها وتشدها وهي منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس .

(٢) العضة : كل عضة مما لحم يجتمع .

(٣) القبة : العظم الثاني . من الظهر بين الإيتين .

(٤) القديد : اللحم المقدد .

(٥) الزهم : الشحم

(٦) الطلع : ما يبدو من ثمرة التخل في أول ظهورها

(٧) مش العظم : بعض أطرافه

(٨) الكراديس : جمع الكردوسة : كل عظم اجتمع عليه اللحم

(٩) الصنخانة : السلك الصغير المملوح

ولا الرُّبَيْنا. والسَّمِيكَات ، ولا شَيْئًا من الكَوَامِيخ^(١) والمَالِح ، وأسْكَلُ ذلكَ عَندَهم من الفَضائِح ، إلّا أن القِيانَ المُنْتَظَرَات ، والنِّساءَ القُضْرِيَّات ، ربّما يُنْظَرْنَ بِأَكْلِ المَالِحِ والمَمْلُوحِ في مَنَازِلَ مُتَعَشِّقِينَ . ويَبُوتُ مُرَابِطِينَ ، فيذهبن مذهب طَرَحِ المَؤَنَات ، وخَفَةَ لِتَغْفَات ، ولا يَأْكُلُون الجِرادَ والأَرِيَّانَ ، لِمَطَةِ شَهْمَا بِالْأَشْيَاءِ القِيحَةِ مِنَ الحَيَوَانِ ، ولا يَأْكُلُون الحَبُوبَ الَّتِي تُسَبِّجُ الأَرِيَّاحَ ، وتُولَدُ القِرْقَرَةُ والانتِفَاخُ ؛ ولا يَأْكُلُون في النَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ أَكَلِهِ ، وَيَكْثُرُونَ القِيَامَ في مَجَالِهم ، ولا يَكْثُرُونَ مِنَ الضَّحْكِ والكَلَامِ ، عَندَ حُضُورِ المَائِدَةِ والطَّعَامِ ، ولا يَتَخَلَّوْنَ عَلى المَائِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَقْرُغَ ، ولا يَتَحَفَّزُونَ لِمَجِيئِهَا قَبْلَ أَنْ تَوْضَعَ ، وَإِذَا غَسَلُوا أَيْدِيهم لم يَطْلُبُوا الغَسْلَ وَيَلْ طَلَبَ إِيْتَانِها مِنَ الوَسْخِ والكَدْرِ ، ولم يَقْصِدُوا التَّقْصِيرَ الَّذِي يَبْقَى مِنْهُ رَاحَةُ النَّمْرِ^(٢) ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا تَمَدَّلُوا فَعَلُوا كَفَعَلِهم إِذَا غَسَلُوا .

فَأَمَّا الثُّغْلُ فَاتَّهَمَ يُحْضِرُونَهُ مَوَانِدَهم ، وَيُطْعَمُونَهُ وَلَا تَدُمُ ، ولا يَكْثُرُونَ مِنْ أَكَلِهِ ، ولا يَأْتُونَ عَلى كَلِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْثُونَ مِنْهُ بِالشَّيْءِ الْبَسِيرِ مِنَ التَّنْعِغِ^(٣) ، وَيَحْتَفِيزُونَ مِنْ ذَلِكَ الِهْتِدَابِ^(٤) وَالْأَكْشُوتِ^(٥) لِيَرُدَّها ، وَالْفُجْلَ والحَرْفَ لَتَنْتَهِمَا . وَالْكُرَّاثَ والبَصَلَ لِأَتْنَهِمَا ، والقَدَاحَ^(٦) وَالْحَتْدَقُوقَ^(٧) لِحُشْنَهْمَا ،

(١) الكَوَامِيخ : جَمْعُ الكَامِيخ : أَدام يُؤَدِمُ بِهِ ، وَخَصَّهُ بَعْضُهُم بِالْمَخَلَّاتِ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِشَهْوَى الطَّعَامِ

(٢) الأورديان : نَوْعُ سُرْطَانٍ يَجْرِي

(٣) النمر : رَجُلٌ عَلى

(٤) التنعغ : يَجْلِسُ طَبيبٌ الرَاحَةَ يُؤَكِّلُ وَيَتَدَاوَى بِهِ

(٥) الِهْتِدَابُ : يَجْلِسُ يُؤَكِّلُ

(٦) الأكشوت : نَوْعٌ مِنَ الثِّبَاتِ

(٧) القداح : أَطْرَافُ الثِّبَاتِ الضَّخْمِ

(٨) الحتدقوق : بَقَّةٌ أَوْ حَشِيَّةٌ

لأنهما أيضا يُخَضَّران الأسنان والعمور ، ويُخَذَّتان الرَّاحَةُ والتغير ، ولن يقع الثوم في قِدر فيذوقونه ، ولا البصل فيقربونه ، ولا يلفظون باسم الطَّرْحُون^(١) لا ابتداء اسمه ، وشناعة لفظه ، فيكنون عنه فيُضيفونه الى التَّغْنِغ ، وقد سَمَّاه بعضهم بَقْلَةَ الجِيع ، وسَمَّاه آخرون كافور الفُؤَاد ، وكلُّ يُقصد الى معناه ، والخس لا يقربونه لموضع تَفَقُّثته ، والخيار لا يأكلونه لِصَلَّةِ برده ، والجَزَر يتجاللون عن مسّه ، ولا يرون النظر اليه دون أكله ، وكذلك القِثَاءَ والمِلْيُون^(٢) ، ولموضع التَّوَيَ أيضًا رغبوا عن أكل الزيتون ، ورغبوا عن ماخالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء ، مثل القَسَب^(٣) والبُسْر^(٤) ، والمَشَقَّق أيضًا والتمر ، وكذلك سائر الارطاب ، والمشمش والنِّقَّ والعُنَّاب ، وكذلك في الخَوْخ والشاهلوج والإجاص ، وهو عديم من أكل العوام لا من أكل الخواص ، ولا يَنفَقُ عديم الرُّمَّان والتين ، وهذان عديم والبَطِيخ من تهجين ، خاصة اذا انشقت الرُّمَّانة ، وتصدَّعت البطيخة إذا انكسرت ، وجَوْزَةٌ ولَوْزَةٌ وتينة ومَوْزَةٌ ؛ ولا يدفع بعضهم إلى بعض وَرْدَةٌ واحدة ولا لوزة واحدة للقفيل ، ولما يقع فيه من التَّمثِيل ؛ ولا تقول منظرًا لآخرى هذه وردتْكَ ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمَّانك

(١) الطَّرْحُون : نبات يكبس في اللبن أو الماء المالح ويؤكل وقال ابن الطييار في مفرداته : هو نبات طويل الورق دقيق الساق يطول على وجه الأرض نحوامن شبر إلى ذراع ونصف ، وهو من بقول المائدة ينض الشبوة ويطيب النكهة وإذا شرب الماء عليه طيبه .

(٢) المِلْيُون : نبات له قضبان رخصة يؤكل . وقال ابن الطييار في مفرداته : المليون ورقة كورق الشبث ، ولا شوك له البتة . وله بذر مدور أخضر ثم يفسد ويحمر ، وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب التيل صلبة ، منه يرى كثير الشوك .

(٣) القَسَب : تمر يابن يفتك في الفم .

(٤) البسر : التمر إذا نعن ولم ينضج .

تيفتك وذلك عندم أجلّ العيوب ، تشمئز منه القلوب ، ويحتنبون له أشد
الاجتناب ، ويكتنبون له أمرًا اكتتاب ، وكذلك لا تقول واحدة لأخرى :
ارضى رجليك ولا ذيلك ولا أفعدى عليه ، ولا أدخله ولا أخرجه ، ولا
أصعديه ، ولا أصقيه ، ولا أنفضيه ، ولا سبي ، ولا سرحي ولا شيلي ، ولا انتحي ،
ولا اعملي ، ولا قد عملت ؛ ويحتنبون ذلك وما أشبهه من الكلام ، مما كثر
استعماله في خطاب العوم ، ولا يكادون يلفظون به ، ولا يُطيف بالسنتهم ،
ولا يميزونه في شيء من مخاطبتهم ، ويحذرونه ويتوقون منه ، ويعيبون
المتكلم به ، ويعرضون عنه .

٣٠ - بلب ذكر زهرهم في الشراب

الذي يتخيره ذور الآلباب

أما ما عليه الظرفاء ، وأهل المروءة والأدباء ، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده ،
ولا يشربون إلا أجوده ، مثل المشمس والزبيبي والمعلل ، والمطبوخ والطلاء
والمعدل ، ولا يشربون مالا ماله الخثر^(١) ، ولا ما خالطه الكدّر ، ولا يشربون
إلا ما صفا من الشراب ، ويتجاللون عن المسجورى الذوشاب ، إذ هو من
شراب العامة والرعا ، وشرب الشوكة والاتباع ، ولا ينتقلون على شراهم
بالأشياء الرذلة ، مثل الباقلي والبُلوط ، والبسر المقلو ، والقرثاء والخنطة ،
والغبيراء والشاهبلوط والخرنوب الشأى ، وما أشبه ذلك من الأقال ؛
وأكثر ما ينتقل به المتظرفون ، ويبعث به المزيعكون ، تلوح البندق ،
ومقشر الفستق ، والملح النفعلي ، والعود الهندى ، والطين الحراسانى ، والملح

الصَّنْعَانِ، وَالسَّفَرَجَلَ الْبَلْفَنِيَّ، وَالتُّفَّاحَ الشَّامِيَّ، وَيَتَخَذُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ
الْأَنِيةِ أَسْرَاهُ، وَمِنْ الزَّجَاجِ أَجْوَدَهُ وَأَتَمَّهُ.

وَأَمَّا مَا اجْتَنِبُوهُ مِنَ الْمَهْدَايَا، وَتَخَوُّوْا مِنْ هَدِيَّتِهِ الْبَلَايَا، فَأَشْيَاءُ يَكْثُرُ
بِهَا الْعَدَدُ، وَيَطُولُ بِهَا الْأَمَدُ، وَأَنَا أَذْكَرُ مِنْ يَسِيرِهَا، مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى
كَثِيرِهَا.

٣١ - باب ذكر الأشياء التي يتغير الطرفاء من ههنا

ويرغبون عنها لشناعة أسمائها

فمن ذلك الْأَرَجُّ^(١) وَالسَّفَرَجَلُ وَالشَّقَاقِي^(٢) وَالسُّوسَنُ^(٣) وَالنَّمَامُ^(٤)
وَأَطْبَاقُ الْخَلَّافِ^(٥) وَالنَّرَبُ^(٦) وَالْبَانُ^(٧)

فَأَمَّا الْأَرَجُّ، فَانْ بَاطِنُهُ خِلَافُ ظَاهِرِهِ، وَهُوَ حَسَنُ الظَّاهِرِ، حَامِضُ

(١) الْأَرَجُّ: نَبَاتٌ حَامِضُهُ مَسْكَنٌ غِلَّةُ النِّسَاءِ، وَيَجْلُو الْوَلْنُ وَالْكَفُّ، وَقِشْرُهُ فِي
الشَّيْبِ يَمْنَعُ السُّوسَ.

وَقَالَ ابْنُ الْبَطَّارِ: الْأَرَجُّ كَثِيرٌ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَهُوَ عَمَّا يَفْرَسُ غَرَسًا وَلَا يَكُونُ رِيًّا،
وَوَدْقُهُ مِثْلُ وَدْقِ الْجَوْزِ، وَهُوَ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، وَغَوَارُهُ شَيْءٌ بَنَوَارِ النَّزْجِ إِلَّا أَنَّهُ
أَلْفٌ، وَلَهُ بَزْرٌ شَبِهُ الْكَثْرَى.

(٢) الشَّقَاقِي: نَبَاتٌ أَحْمَرُ الزَّهْرِ مَبْقَعٌ يَنْقُطُ سَوْدَاءً.

(٣) السُّوسَنُ: نَبَاتٌ مِنَ الرِّيحَانِ بَرِّي وَبَسْتَانِي وَيَعْرِفُ بِالزُّبُنِقِ، وَهُوَ أَيْضًا
وَأَصْفَرُ وَأَزْنَقُ.

(٤) النَّمَامُ: نَبْتُ لَهُ بَزْرٌ كَالرِّيحَانِ عَطَرِي قَوِي الرَّائِحَةِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِسَطْوَعِ رَائِحَتِهِ.

(٥) الْخَلَّافُ: صِنْفٌ مِنَ الصَّفَصَافِ، وَجِهَةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْخَمْسِ، وَلَهُ لَبٌّ لَيْنٌ دُهْنِي.

(٦) النَّرَبُ: شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ ضَخْمَةٌ شَاكِلَةٌ.

(٧) الْبَانُ شَجَرٌ يَسُو وَيَطُولُ فِي اسْتِرَاءٍ، وَخَشَبُهُ خَوَارٌ خَفِيفٌ، وَقَضْبَانُهُ سَمِيحَةٌ
خَضِرٌ، وَهَدْيُهُ يَبِيتُ فِي الْقَضِيبِ وَهُوَ طَوِيلٌ أَخْضَرُ شَدِيدُ الْحَضَرَةِ. وَثَمَرُهُ تَشْبَهُ قُرُونِ
الْغُرْيَا إِلَّا أَنَّ خَضَرَتَهَا شَدِيدَةٌ وَفِيهَا حَبٌّ فَإِذَا انْتَهَى اقْتَتَحَ وَاسْتَرَحَبَ. وَهُوَ أَيْضًا غَبَرٌ
غَوْرُ النَّسْتِ.

الباطن ، طيب الرائحة ، مختلف الطعم ، ولذلك يقول فيه الشاعر :

أَهْدَى لَهُ أَحَابَهُ أَرْجُوَّةَ فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِبَادَةِ زَكِرِ^(١)
خَافَ التَّلَوْنَ إِذْ أَتَتْهُ لَأُتْمَاهَا لَوْ تَكَانَ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ
فَرَقَ الْمُتَشَبِّهَ مِنْ حُوضَةِ لُتْمَاهَا وَاللَّوْنُ زَيْنُهَا لَعَيْنِ النَّاطِرِ
وأما السفرجل ، فلان فيه اسم السفر ، وقد قال فيه الشاعر :

مُنْجِيَنِ بِالسَّفَرَجَلِ لَا أَرِيدُ السَّفَرَجَلَا
إِسْمُهُ لَوْ عَرَفْتَهُ سَفَرٌ جَلٌّ فَاعْتَلَى

وقال آخر

أَهْدَتْ إِلَيْهِ سَفَرَجَلًا فَتَطِيرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُتَمِيمًا مُسْتَعْبِرَا
خَافَ الْفِرَاقَ لِأَنَّ أَوَّلَ إِسْمِهِ سَفَرٌ فَحَقٌّ لَهُ بَأْسٌ يَتَطِيرَا
وأما الشقائق ، فليشطر اسمه ، ولقول الشاعر فيه :

لَا رَانِي طَوَالَ دَفٍّ رِي أَهْوَى الشَّقَائِقَا
إِنْ يَكُنْ يُشْبِهُ الْخُدُو دَ فَنِصْفَ إِسْمِهِ شَقَا

وقال آخر :

لَا يَحِبُّ الشَّقَائِقَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَاشِقَا
إِنْ نِصْفَ إِسْمِهِ شَقَا . إِذَا قُبِتَ نَاطِقَا

وأما الوسن ، فلان اسمه السوء ، وقال فيه الشاعر :

سُوسَتُهُ أَعْطَيْتَنِيهَا وَمَا كُنْتُ بِأَعْطَايَكُمَا مُحْسِنَةً
شَطَرُ اسْمِهَا سُوءٌ فَإِنْ جِئْتُ بِالْآخِرِ مِنْهَا فَهُوَ سُوءُ سَنَةٍ

(١) البياضة : التكهين . زجر الطير : أطاره فتقال به إن كان طيرانه عن العين ، أو
طير به إن كان عن اليسار .

وَأَنْتِ إِنْ هَاجَرْتَنِي سَاعَةً قُلْتُ أَتَتْ مِنْ قِبَلِ السُّوسَةِ
وقال آخر :

يَا ذَا الَّذِي أَهْدَى لَنَا سُوسَنَا مَا كُنْتَ فِي إِهْدَائِهِ مُحْسِنًا
أَوَّلُهُ سُوءٌ قَدْ سَلَفَ يَالَيْتَ أَتَى لَمْ أَرِ السُّوسَنَا
وأما الياسمين ، فليبدأ اسمه تَطْيِيرَ منه ، ولقول الشاعر :

إِنِّي لَأَذْكُرُ بِالرَّيْحَانِ رَائِحَةً مِنْهَا فَلَقَلْبَ بِالرَّيْحَانِ إِيْنَاسُ
وَأَمْنَحُ الْيَاسْمِينَ الْبُخْضَ مِنْ حَذَرِي لِيَأْسُ إِذْ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْمِهِ يَاسُ
وقال آخر :

أَبْصَرْتُهُ فِي الْمَنَامِ نَاقِلِي مِنْ كَفِّهِ الْيَاسْمِينَ وَالْغَرْبَا
فَكَانَ يَأْسُ فِي الْيَاسْمِينَ وَفِي الْغَرْبِ اغْتِرَابٌ يَأْشُومُ مَا وَهَبَا
وقال آخر :

أَهْدَى حَبِيْبِي يَاسْمِيْنَا فِي مَنْ سِرَّهُ الطَّيْرَةُ وَسَوَاسُ^(١)
أَرَادَ أَنْ يُوَسِّسَ مِنْ وَصْلِهِ إِذْ كَانَ فِي شَطْرِ اسْمِهِ الْيَاسُ
وأما التَّمَامُ ، فليشاعه اسمه . وقول الشاعر فيه :

حَيْثُمَا بِتَحِيَّةٍ فِي مَجْلَسٍ بِقَضِيبِ تَمْلَمٍ مِنَ الرَّيْحَانِ
فَطَيَّرْتُ مِنْهُ وَقَالَتْ أَقْصَى لَا تَقْرُبَنَّ مُضَيِّعَ الْكَيْتَمَانِ
وأما الْآسُ^(٢) ، فقد تطير منه قوم : وزعموا أنه إِيْاسُ ، وتقال به آخرون ،
وزعموا أنه مُوَاساةٌ وَأَسَاسُ ، قال الشاعر :

(١) الطَّيْرَةُ : ما يَشَامُ بِهِ .

(٢) الْآسُ : خضرة دائمة ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمرته سوداء ، ومنها
ما هو أبيض كالقثوثين وورقه كالزبرجد ، ويحلو إذا أبتغ ، وعصارة ثمره رطبة تفضل فل
التره ، وهي جيدة للعدة ، مدرة ليقول ، وطبخ الثري صغ الشمر .

ما أَحْسَنَ الْأَسَى فِي عَيْنِي وَأَطْيَبَهُ لَوْلَا اتِّصَالُ حُرُوفِ الْأَسَى بِالْيَاسِ
ماضِرٌّ مَنْ كَانَ أَهْدَى الْأَسَى مِنْ يَدِهِ لَوْ قَالَ رِيحَانَةٌ يَعْنِي بِهِ الْأَسَى^(١)
لَوْلَا الَّذِي أَتَقَيَّ مِنْ طَيْرِي بِهِمَا مَا قَارَعَا أَبَدًا تَلَجًّا عَلَى رَأْسِي
كَذَلِكَ تَطَيَّرُوا مِنَ الْخِلَافِ ، لِمَوْضِعِ الْخُلْفِ ، وَالْقَرَبِ لِلْإِغْتِرَابِ ،
وَالْبَانِ لِلتَّبَاقُيْنِ .

وَرَوَى عَنْ كَثِيرٍ عَزَّةٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهَا عَلَيْهِ ، وَأَنَّهَا تَشْوَقُهُ ، فَخَرَجَ يَرِيدُهَا
وَهِيَ بِمَصْرَ ، فَرَأَى غُرَابًا سَاقَطًا عَلَى بَاقَةِ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيَطَّارُهُ عَلَى رَأْسِهِ ،
فَطَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَتَى عُرَافًا مِنْ نَهْدٍ أَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى ، فَأَيَّسَهُ^(٢) مِنْ حَيَاتِهَا ،
وَأَخْبَرَهُ بِوَقَاتِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَصْرَ خَبَّرَ بِوَقَاتِهَا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فَمَا أَعْيَفَ النَّهْدِيُّ لَادِدَ دَرْدُؤُهُ وَأَعْلَمَهُ بِالزَّجْرِ لَاعَزُ نَاصِرُهُ^(٣)
رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقَطًا فَوْقَ بَاقَةٍ يَنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيَطَّارُهُ .
فَأَمَّا غُرَابٌ فَانْغَرَبَ مِنَ الْهَوَى وَبَانَ فَبَيْنَ مِنْ حَيْبِ تُعَاثِرُهُ
وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ :

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْجِرَانِ غُرَابٌ يَنْوَحُ عَلَى عُصْنِ بَاقٍ^(٤)
أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدَ الصَّبَاحِ يَبْكِي بَعِثَيْنِ مَا تَذَمَّعَانِ^(٥)
وَفِي تَبَعَاتِ الْغُرَابِ انْغَرَبَ وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَيْدِ التَّدَاقِي^(٦)

(١) الْأَسَى : الطَّيْبُ .

(٢) أَيَّسَ : قَطَعَ أَوْ قَطَعَ الْأَمَلَ .

(٣) لَادِدَ دَرْدُؤُهُ : لَا كَثُرَ خَيْرُهُ .

(٤) الْجِرَانُ : مِنَ الْبَعِيرِ : مُقَدِّمُ عَقْبِهِ ، وَيُقَالُ : أَلْقَى الْبَعِيرُ جِرَاءَهُ ، أَيَّ بَرَكَ . وَالْمُرَادُ : ظِلَّةُ اللَّيْلِ .

(٥) الْأَحْصُ مِنَ الطَّيْرِ : مَا تَنَازَلَ رِيشَ جَنَاحِهِ .

(٦) نَبْ الْغُرَابِ : صَوْتُ أَوْ أَتَذَرُ بِالْيَيْنِ عَلَى زَعْمِهِمْ .

وقال بعض الأعراب :

وكنْتُ قد اندمكتُ فهاج شوقِي بكاءَ حَمَامَتَيْنِ نَجَاوَبَانِ
نَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِي عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ
فقلتُ لصاحبي " وكنْتُ أُخْرَى بِزَجْرِ الطَّيْرِ مَاذَا تُخْبِرَانِ
فقالا الدارُ جَامِعَةٌ بِسَعْدِي فقلتُ بَلْ أَنْتُمَا مُتَيْمَنَانِ
وكانَ البَانُ أَنْ بَانَ سَلَمِي وَفِي الْغَرْبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ وَإِنِ^(١)
وقال نُصَيْب :

الْأَرَاغُ قَلْبِي مِنْ سَلَامَةٍ أَنْ غَدَا غُرَابٌ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْبَانِ يَنْعَبُ
فَأَزَجُرُ ذَاكَ الْبَانِ يَنْتَا مُوَاشِكَا وَغُرْبَةً دَارَ مَا تَدَانِي فَيَصْقَبُ^(٢)

وقد استحسنا هدايا كثيرة ، وتفاءلوا فيها بقول الشاعر . وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف ، واجتنبوه لعلّة التسفيل ، وأحبّوه من حسن التّفوّّل ؛ فن ذلك الرّمّان ؛ وهو ممّا ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل ، وما يقع فيه من التّمثيل ، وكذلك الشاهلوج والتّنبّي والورد والبنفسج ، فأما الرّمّان فقد قال فيه الشاعر :

أَهْدَتُ إِلَيْهِ بَطْرَهَا رَمَانًا تُفَيِّيه أَنْ وَصَلَهَا قَدْ آتَى
قَالَ الْفَتَى لِمَا رَأَى تَفَوُّلاً وَصَلٌ يَكُونُ مَتَمًّا أَحْيَانًا
رَمٌّ يَرْمُ تَشْعُثِي بِوَصَالِهَا لَقَدْ التّفَوُّلُ صَادَقًا قَدْ كَانَا
وأما الشاهلوج ، فهو ممّا فيه النوى ، وقد تهاداه قوم لموضع تَفَوُّل الشاعر به ، إذ يقول :

(١) وفي : قر وضف .

(٢) مواشكا : سريما . صقب : قرب ، يحد .

أَهْدَتْ إِلَيْهِ الْآنَ شَاعِلُوجَا تُنْبِيهِ أَنْ لَوْجَاهُ كَانَ وَلُوجَا
فَضَى عَلَى قَالِ الْهَدِيَّةِ جَاسِرَا عَمْدًا فَصَارَ مُدَاخِلًا خَرِيْمَا
وَأَمَّا النَّبِيُّ ، فَهُوَ يُسْتَقْبَلُ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَيَا أَحْسَنَنَا خُلُقًا وَمَنْ فَاتَ الْوَرَى سَبَقًا
تَقَالَتْ بَانَ تَبَيُّ فَأَهْدَيْتَ لَنَا النَّبِيَّ
فَأَبْقَاكَ إِلَهُ النَّاسِ مَا سَرَّكَ أَنْ تَبَيُّ
وَأَشَقَّى اللَّهَ شَانِيكَ وَحَاشَى لَكَ أَنْ تَشَقَّى

وَأَمَّا الْبَنَفْسُج ، أَيْضًا ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَهْدَتْ إِلَيْهِ بَنَفْسَجًا يُسْلِيهِ تُنْبِيهِ أَنْ بِنَفْسِهَا تُقْدِيهِ
فَارْتَاخَ بَعْدَ صَبَابَةٍ وَكَابَتْهُ وَرَجَا لِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ تُدْنِيهِ

وَأَمَّا الْخَوْخ ، فَقَدْ أَطْبَقُوا فِي وَصْفِهِ ، وَأَكْثَرُوا فِي مَدْحِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ
أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْخُدُودِ مِنَ التَّفَاحِ ، وَأَقْرَبَ شَبَهِهَا بِالْوَجَنَاتِ الْمَلَاخِ ، لِأَنَّهُ يَشَارِكُهَا
فِي الْبَيَاضِ وَالسَّمَرَةِ ، وَالْأَدَمَةِ^(١) وَالصَّفْرَةِ ، وَالتَّوْرِيدِ وَالْحَمْرَةِ ، وَالزَّغَبِ
الَّذِينَ الْبَشَرَةُ ، وَهُوَ أَطْيَبُ مَلْئَمٍ ، وَأَعَذِبُ مُقْبَلٍ ، وَأَذْكَى مَمْسَمٍ ، وَهُوَ عِنْدَ
طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى أَجَلَ مَرْتَبَةٍ مِنَ التَّفَاحِ ، لَوْلَا مَا غَالَطَهُ مِنَ النَّوَى الَّذِي
يَشْتَمُزُّ مِنْهُ الظَّرْفَاءُ ، وَيَشْتَنَاهُ الْأَدْبَاءُ ، وَأَنَّهُ مَفْقُودٌ ، وَالتَّفَاحُ مُوجُودٌ
وَأَمَّا الْوَرْدُ ، فَقَدْ تَقَالَتْ^(٢) بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الظَّرْفَاءِ ، وَذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،

أَنْشَدْنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

(١) الْأَدَمَةُ : السَّمَرَةُ .

(٢) قَالَتْ بِهِ : خَدَّ تَشَابَهَ .

أَهْدَى لَهُ وَرْدًا فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الْوَارِدِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَرْدًا
فَارْتاحَ مِنْ فَرَحٍ بِطَيْبِ وَفُودِهِ وَعَدَا لَهُ وَرْدُ الْحَيَاءِ فَرَادَا
وليس عندهم في الروض شيء يشبهه ، ولا في عروض الروض ما يدركه ،
وقد ذكرت ذلك في باب لطيف ، لرغبتي في اقتصاد التأليف ، قف عليه
واعرفه .

٣٢ — باب ما قيل في صفة الورد

ومحله من قلوب ذوى الوجد

اعلم أن أهل القَرْف قد أكثروا من تفضيل الورد ، ومدحته الشعراء ،
وقد أطلبت فيه ، وأفرطوا في نعت حسنه ، واشتهوا رائحته ، حتى شبهوه
بالوجنات الحمر ، وقايسوه إلى الخمر ، ومثلوه بالأشياء الملاح ، كفعلهم
بالتفاح ، وهما عندهم في مرتبة واحدة ، قال العباس ابن الأحنف :

أَبْيَضُ الْأَسِّ وَالْخِلَافُ جَمِيمًا لِمَكَانِ الْخِلَافِ وَالْيَاسِ مِنْهَا
وَأَحَبُّ التَّفَاحِ وَالْوَرْدُ حَتَّى لَوْ وَزَنْتَهُ بِالْجِبَالِ وَزَنَّا
أَشْبَهَا رَيْحَهَا وَنَسَكَةً فِيهَا فَمَا يُنْبِثَانِ بِالطَّيْبِ عَنْهَا^(١)
وقال آخر :

عَشِيَّةَ حَيَاتِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ خُدُودُ أَصِيفَتَ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
وَوَلَّى وَفُئِلُ الْحَمْرِ فِي حَرَكَاتِهِ فَبَالُ نَهْمِ الرِّيحِ بِالنُّصْنِ النُّصْنُ

(١) النسكة : ربح النعم . الطيب : كل ذى رائحة عطرة .

وقال آخر:

يَضَحُّكَ الْوَرْدُ إِلَى وَرْدٍ بِخَدَيْكَ مُقِيمٍ
جَمْعًا شَكْلَيْنِ وَقَعِيدٍ نِ لَالِخَاطِ النَّدِيمِ
غَيْرَ أَنَّ الْمِسْكَ أَوْلَى بِكَ فِي كُلِّ نَسِيمِ

وقال آخر:

سَيَعْلَمُ الْوَرْدُ أَنِّي غَيْرُ ذَاكَرِهِ إِذَا الْخُدُودُ أَعَارَتْ حُسْنَهَا بَصَرِي
كَمْ بَيْنَ وَرْدٍ مُقِيمٍ فِي أَمَاكِنِهِ وَبَيْنَ وَرْدٍ قَلِيلِ الْمُسْكِ فِي الشَّجَرِ
هَذَا جَنِيٌّ مَصُونٌ فِي مَنَابِتِهِ وَذَاكَ مُتَمَنٍّ فِي كُلِّ مُحْتَضِرٍ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر:

مَرَّتْ وَفِي كَفِّهَا وَرْدٌ قَهْلْتُ لَهَا حَيَّ مُحِبِّكَ قَالَتْ عَنْهُ لِي سُغْلُ
قَهْلْتُ مُخَلًّا، قَالَتْ قَدْ وَهَبْتُ لَهُ وَرْدًا جَنِيًّا وَذَا بِالْكَفِّ يُتَذَلُّ
إِنْ كَانَ لَمْ يَجْتَنِبْ مِنْهُ أَنَا مِلَّةٌ قَدْ جَنَّتْ لَهُ الْأَلْخَاظُ وَالْمُغْلُ

وقال آخر:

وَرْدٌ خَدَيْكَ مُقِيمٌ أَبَدًا لَيْسَ بِرِيمٍ^(١)
أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مَابَدَا مِنْهُ نَعِيمٍ

وقال آخر:

تَمَتَّعَ مِنَ الْوَرْدِ الْقَلِيلِ بِقَاوِهِ فَإِنَّكَ لَمْ يَفْجَمَكَ إِلَّا فَاوُهُ
وَوَدَّعَهُ بِالْتَفِيلِ وَالْثَمِّ وَالْبُكَاءِ حَيْثُ بَعْدَ حَوْلٍ لِقَاوُهُ

(١) رام المكان : قاره .

وقد تطير منه آخرون ، وسموه الغدار ، وغضوا دونه الأبصار ، لقلبه ،
ويسير مكته ، وسرعة زواله ، وتغيره وانتقاله .

وخبرت أن قينة أهدت إلى ريبط لها غصن آس ، فسر به وأنشأ يقول :
والآس يبقى وإن طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
وأهدت له وردا تطير منه وقال :

أنت وردٌ وبقاءُ الـ وردٌ شهرٌ لاشهور

يذهبُ الوردُ ويفنى وإلى الآس نصير

فكذب إليه بعض إخوانه :

سر بالآس الذي أهدت له ثم لما أهدت الوردَ جزع

ذاك أن الآس باقٍ دائمٌ ولأن الوردَ حيناً ينقطع

وقال بعض الشعراء :

وصلت وكان الوردُ أولَ ما بدا فلما تولى الوردُ وتلى مع الوردِ

فبالت أن الورد آس فإنه يدوم على الحالين في الحر والبردِ

وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وقد أفردت
لذلك كتابا ، بوبته أبوابا ، وترجمته بكتاب العقد ، وشحنته بفضل الورد ،
فأغنى ما في ذلك الكتاب ، عن إعادة ذكره في هذا الباب .

والتفاح أعظم عندهم قدرا ، وأجل أمرا ، وأعلى درجة ، وأرفع رتبة ،
لسلامته من اليباض والتوريد ، وقد ذكرت فضائل التفاح في كتاب النفاحة
في غير باب ، فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، غير أني أذكر في كتابنا
هذا جملة ما وصفته به الأدباء ، ومدحته به الشعراء . ولست أذكر في عرض

هذا الكتاب، شيئاً مما في ذلك الكتاب، لئلا يُبتلى بشيء من المحن .
فَيُنسَب إلى ضيق العطن^(١)، وبالله التوفيق .

٢٢ - باب ذكر انفعال

وما كره الأدباء من أكله

اعلم أنَّ التفاح عند ذوى الظرف والشاق وذوى الاشتياق لا يعده
شيء من الثمر، ولا النور^(٢) والزهر، كيف وبه تهدأ أشجانهم، وبوروده
تسكن أحزانهم، وعنده يضعون أسرارهم، وإليه يُبدون أخبارهم، إذ كان
عندهم بمنزلة الحبيب والأنيس، وبوضع الصاحب والجليس، وليس في
هداياهم ما يعادله، ولا في أطافهم^(٣) ما يشاكله، لقلبه شبهه بالحدود الموردة،
والوجنت المضرجة، وهو عندهم رهينة أحبابهم، وتذكر أصحابهم، إلى
وُردته يتطربون، وبرؤيته يستبشرون، ولهم عند نظرم إليه أنين، وعند
استنشاق رائحته حنين، حتى إن أحدهم إذا غلب عليه القلق، وأزعجه الأرق،
لم يكن له معول إلا عليه، ولا مشنكى إلا إليه، وأنشدني بعض أهل الأدب:

لَمَّا نَأَى عَنِ مَجْلَى وَجْهِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بِمَجْرَاهَا
صَيَّرَتْهُ تَفَاحَةً يَتَنَا إِذَا ذَكَرْنَاهُ شَمَمْتَاهَا
وَأَمَّا لَهَا تَفَاحَةٌ أَشْبَهَتْ خَدْيَهُ فِي بَهْجَتِهَا وَأَمَّا
وَقَالَ الْحَكِيمُ:

تَفَاحَةٌ جَاءَتْ وَقَدْ عُلِقَتْ وَرُكِبَتْ بِالْوَرْدِ وَالْأَمْسِ

(١) العطن: المتأخ حول المورد. ومن المستعار: فلان ونسع العطن، إذا كان
وجع الترواح.

(٢) النور: الزهر، أو الأيض منه.

(٣) الأطاف: جمع اللطف: الهدية.

أَشْرَبَ مِنْ كَأْسِي عَلَى رِيحِيهَا بِالرَّغْمِ مِنْ أَهْلِي وَجُلَانِي^(١)
وقال آخر:

تُفَاحَةٌ أَهْدَيْتَ ظَرْفًا مَعْضُضَةً وَقَدْ جَرَى مَا تُفَرِّي فِي ضَوَاحِيهَا
يَبْضَاءُ فِي حُمْرَةٍ عُلَّتْ بِغَالِيَةٍ كَأَنَّمَا جُنَيْتَ مِنْ خَدِّ مُهْدِيهَا
قَدْ أَتَمَعْتَنِي بِهَا فِي النَّوْمِ جَارِيَةٍ رَوْحِي مِنَ السُّوءِ وَالْإِسْقَامِ تَقْدِيهَا
لَوْ كُنْتُ مَيْتًا وَنَادَيْتُ بِنَعْمَتِهَا لَذَلْتُ لِلصَّوْتِ مِنْ لَحْدِي أَلْيَا

وقال آخر:

حَيَّاهُ مَنْ يَهْوَى بِتُفَاحَةٍ قَدْ عَضَّ أَعْلَامًا بِأَسْنَانِهِ
جَادٌ وَلَمْ يَتَخَلَّ بِهَا بَعْدَمَا عَذَّبَهُ دَهْرًا بِهَجْرَانِهِ

وقال آخر:

تُفَاحَةٌ تَأْكُلُ تُفَاحَةً يَابِقِي كُنْتُ الَّذِي يُوَكَّلُ
فَالْتَمَرُ وَالتَّنَرُ لِيكِي أَشْتَنِي بَعْلَةَ الْأَكْلِ وَلَا أُوَكَّلُ

وقال آخر:

تُفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَاحَةٍ قَرِيبَةِ الْعَهْدِ بِكَفْنِهَا
أُحِبُّ بِهَا تُفَاحَةً أَشْبَهَتْ خُرَّتُهَا حُمْرَةَ خَدِّيَا

وقال آخر:

تُفَاحَةٌ حُمْرَاءُ مَنْقُوشَةٌ رَكِبْتُهَا فِي خُضْرَةِ الْإِسْرِ
فَلَمْ تَزَلْ فِي كَفِّ نَدْمَانِنَا تَدَوَّرُ مِنْ كَأْسٍ إِلَى كَأْسٍ

(١) الرِّغْمُ : التَّكْرَهُ .

وقال آخر :

تَفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تَفَاحَةٍ صَمَخَهَا الْمُهْدَى لَهَا بِالْعَبِيرِ^(١)
يَا مُهْدِيَ الْحَسْرَةِ يَا قَاتِلِي أَهْدَيْتَ لِي وَاقِعَ قَسَمِ الظُّهُورِ
قَد كُنْتُ فِي بَحْرَيْنِ مِنْ حُبِّكُمْ فَصُرْتُ مَذْأَهْدِيَّتُهَا فِي بَحْرِ
وقال آخر :

قُلُوْا نِيْ اِشْتَكَيْتَ لِأَجْلِ حُزْنِيْ وَمَا أَلْقَاهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ
وَكَانَ طَعَامُنَا فِيهَا جَنِيًّا مِنَ التَّفَاحِ وَالْوَرْدِ النَّضِيدِ^(٢)
لَقُلْتُ دَعُوا لَهَا حِصَصِيْ فَلِيْ أَشْبَهَهَا بِالْوَانِ الْخُدُودِ^(٣)
وقال آخر :

حَيَّاهُ مِنْ يَهُوَى بِنَفَاحَةٍ قَدْ جَنَيْتَ بِاللَّحْظِ مِنْ خَدِّهِ
مَعْضُوضَةٌ بِاللَّحْظِ مَحْفُوقَةٌ بِسَكْرِ الْأَجَالِ مِنْ صَدِّهِ
لَوْ شَمَّهَا الْخَلْقُ لَمَاتُوا مَعًا لَعُشْرٍ مَا يَلْقَاهُ مِنْ جَهْدِهِ
وقد مضى من هذا الباب مَقْنَعٌ^(٤) ، وهو كثير متسع .

ولهم أشياء من زَيِّهِمْ جَلِيلَةٌ ، وَتُفٍّ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ نَيْيِلَةٌ ، أَنَا أَصْفَاهُ لَكَ
فِي مَوْضِعِهَا ، وَأَطْلَعُهَا مِنْ مَقَاطِعِهَا ؛ مِنْهَا السَّوَاكُ الَّذِي صَيَّرُوهُ كَأَحَدِ
الْقُرُوضِ الْوَاجِبَةِ ، وَالْأُمُورِ الْإِرَادِيَةِ ، وَقَدْ شَرَحْتُ فِيهِ بَابًا لِنَقْفِ عَلَيْهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) صَمَخَهَا بِالطَّيْبِ : لَطَنَهُ بِهِ . الْعَبِيرُ : أَخْلَاطُ مِنَ الطَّيْبِ .

(٢) ثَمَرُ جَنَى : جَنَى مِنْ سَاعَتِهِ ، نَضِيدٌ : ضَمُّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ مَتَسِقًا أَوْ مُرَكَّبًا .

(٣) الْحَصَصُ : جَمْعُ الْحَصَةِ : النَّصِيبِ .

(٤) مَقْنَعٌ : مَا يَقْنَعُ وَيَرْضَى بِهِ .

٣٤ - باب ما جاء في السواك

وما قيل في عود الأراك^(١)

اعلم أن من زى الظرفاء، وأهل المروّة والأدباء، وأرباب الديانة والترقى، استعمال السواك والتسوك، فهو أنبل النظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المروّة، ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة، وله خصال مستحسنة، وهو أيضا من السنّة. وقد روى في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: طهّروا أفواهكم فاتها مسالك التسييح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

وحدثنا أبي قال: حدثنا ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن إدريس، عن محمد بن اسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمر، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل تسوك.

وعن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أمرت بالسواك حتى حسبت أن يكون يكتب على.

وعن ابن أبي مليكة قال: عائشة تقول: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وليتي ويومي وبين سحري^(٢) ونحري^(٣) وخلطت ريقه بريقي، فقلت: يا أم المؤمنين، وكيف خلطت ريقه بريقك؟ قالت: دخل عبد الرحمن

(١) الأراك: شجر، واحده أراكة.

(٢) السحر: الرّة.

(٣) النحر: أعلى الصدر.

ابن أبي بكر ويده سواك ، فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : قد
اشتبهى السواك ، فأخذتُ سواكه فضغته ، ثم أعطيته فاستاك عليه السلام .
فلم يشغل النبي صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواك ، إذ هو
أطرف ما استعمل ، وأنبى ما استحسن ، لأنه يبيض الأسنان ، ويصفي
الأذنان . ويطيب النكحة ، ويطفى المرّة ، وينشف البلغم ، ويشدّ اللثة ،
ويقوى العمور ^(١) ، ويجلو البصر ، ويحدّ النظر ، ويفتح الشدّد ، ويشهى
الطعام ، وقد استعملوا أمر المساويك الأراك ، والشكر ، وأصول
السوس ، وعود الخبّ ، وعروق الإذخر ^(٢) ، وعقد العاقر قرحاً ، وكلما
أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم ، وأبلغ في معاني وصفهم .

وللساويك أوقات معلومات ، ومواضع محدودات ، لا تستعمل في غير
أوقاتها ، ولا يتجاوز بها عن ساعاتها ، لجائز استعمالها بالندوات والعشيات ،
وأوقات الظهيرات . وقبل الغداة ، وبعد الصلاة ، وعلى الريق ، وعند النوم ،
وفي نهار الصوم .

ولا يجوز السواك عندم في مواطن شتى ، منها الخلاء والحمام ، وقارعة
الطريق : ومحفل الناس ، ولا يستاك أحدهم وهو قائم ، ولا متكئ . ولا نائم ،
ولا حيث يراه أحد ، ولا يستاك ويتكلم ، والسواك في الخلاء والحمام من
فضل السفلة والعموم ، وهو أيضا يرخي اللثة ، ويغير النكحة ، وليس ذلك
عندم من فعل الأدباء ، ولا من فعل ذوى المروّة والظرفاء .

وقد اتخذ أهل الظرف للساويك طسوتا لطافا ، وأباريق الشبّة ^(٣)

(١) العمور : جمع العمر : لحم ما بين الأسنان .

(٢) الإذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) الشبّة : النحاس الأصفر .

الخفاف ، وكراسى الآبنوس المصدقة ، والخيزران المشبكة ، والاحقاق
الخروطة ، والمسواكدانات المدهونة ، والسّنونات^(١) المعمولة ، ووقتوا له
الأوقات المعلومة ، التى جعلوها كالفرائض المكتوبة ، والسّن المفروضة ،
يتأهبون لوقته ، ولا يستعملون رأس المسواك مدة طويلة ، وذلك عندم
من الأفعال الذليلة ، ويتخذون لها اللقائف الخبز ، وعصائب القز ، ليصونها
بذلك عن الدنس ، ويوقوها من الغيار والنجس .

وقد تهادى أيضاً أهل الطرف المساويك ، وأقاموها مقام الرهينة والتذكرة ،
والوديعة والقُبلة ، كما فعلوا باللبان الممضوع ، والتفاح المعضوض ، وقال
العبّاس بن الأحنف :

طَالَ لَيْلِي بِجَانِبِ الْمِيدَانِ	مَعَ جَوَارِي الْمَهْدِيِّ وَالْخِزْرَانِ
أَرْسَلْتُ بِاللَّبَانِ قَدْ مَضَعْتُهُ	بَيْنَ تَفَاحَتَيْنِ فِي رِيحَانِ
وَبِمَسْوَكَهَا الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ	هُنَّ لِي فِيهَا مِنْ طَيِّبِ الْأَنْصَانِ
فَكَأَنِّي وَجَدْتُ رِيحًا مِنْ الْغَرِّ	دُوسَ فَاحَتْ مِنْ رِيحِ ذَلِكَ اللَّبَانِ

قال أيضاً :

وَلَمَّا وَهَيْتُمْ خَاتَمًا فَرَدَدْتُهُ	لِمَعْرِقِي أَنْ الْخَوَاتِمَ تَقَطَّعُ
فَأَهْدِي سِوَاكَ مَسًّا فَكَافَانَهُ	يُسَكِّنُ نَارًا فِي جَوَى الْقَلْبِ تَلْدَعُ

وقال بشار بن برد العُقيلي يذكر ذلك أيضاً :

تَسَوَّكَتْ لِي بِمَسْوَكَ لِنَعْلَيْ	مَا طَعَّمْتُ فِيهَا وَمَا مَهَّمْتُ بِإِصْلَاحِ
لَمَّا أَتَانِي عَلَى الْمَسْوَكَ رِيْقَتَهَا	مِثْلُ وَجْهِ كَرْزَالٍ الْمَاءِ بِالرَّاحِ

(١) السّون : المسحوق الذى تدلك به الأسنان لتنجلي .

قُلْتُ مامسٌ فاما ثم قلت له ياليتي كنت ذا المسواك يا صاح
وقال أيضا :

يا أطيَبَ النَّاسِ رِيقًا غيرَ مُتَحَبِّرٍ إلَّا شَهادَاتِ أَطرافِ الْمَساوِيكِ
إِنَّ الَّذِي راحَ مغبوطًا يَنْعَمُ كَفُّ تُمْسِكٍ أو كَفُّ يَعْطِيكِ
وَلَوْ وَهَبْتُ لَنَا يَوْمًا نَعِيشَ بِهِ أَحْيَيْتِ نَفْسًا وَكانَتْ مِنْ مَساعِيكِ
يارحمةَ أَهْلِ حُلِّي فِي مَنْزِلِنَا حَسْبِي بِرِاحةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ
وقال أيضا :

يَطِيبُ مَسواكُها مِنْ طِيبِ نَكْهَتِها وَإِنَّ أَلَمَ بِجِلْدِها جِلْدُها طابًا
وقال آخر :

وَبَرَّ أَهْلُ نَفْسَتِهِ عَنْ مَتَبِّمٍ كَنُورِ الْأَفاحِي طِيبِ الْمُنْدُوقِ^(١)
إِذا مَضَعَتْ بَعْدَ امْتِناعٍ مِنَ الضَّحَا أَنايِبَ عَيْدانِ الْأَرَّاكِ الْمُخَطِّ
سَقَتْ شُعْبَ الْمَسواكِ ماءً غَمَامَةٍ فَضِيضًا بِمَزْوجِ الْعُقارِ الْمَصْفَقِ^(٢)
وقال جرير :

ما اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرْزُقُهُمْ إِلَّا أَرى أُمَّ نوحَ فَوْقَ ما وَصَفُوا
كَأَنَّها مُزَقَّةٌ غَرَّاءُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُؤارِي لَوْنُها الصَّدْفُ^(٣)
مَكْشُورَةُ الثَّنَدِيِّ فِي لَبٍّ يَرِيئُها وَفِي الْمَناصِبِ مِنْ أُنباها عَجَفُ^(٤)

(١) الأفاحي : جمع الصقوان والأفصوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره منفحة يشبهون بها الأسنان .

(٢) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء ليصفو .

(٣) الغراء : البيضاء .

(٤) منصب الأسنان : منابتها .

تَسْتَقِي اَنْبِيَا حَاذِي الْمِسْوَاكِ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضْمَنُ مَاءَ الْمَزَةِ الرِّصْفُ^(١)
وقال الفرزدق :

دَعَوْنَ بِقَصْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرُّكْبُ مِنْ نَعْمَانِ أَيْلَمَ عَرَفُوا^(٢)
فَحَنَ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا غُرُوبُهُ رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رُكْبُنٌ أَعْجَفُ^(٣)
وقال ذو الرمة :

جَرَى الْإِسْحَلُ الْأَخْوَى بِطِفْلِ مَطْرِفٍ
عَلَى الْغَرِّ مِنْ أَنْبِيَائِهَا فَهِيَ نُصْعُ^(٤)

وقال آخر :

نَظَرْتُ بَعِيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمتِ بِطَلْمِيَاءَ عَنْ غُرٍّ لَهَا غُرُوبُ^(٥)
جَوَى الْإِسْحَلِ الْأَخْوَى عَلَيْهِنِ أَوْ جَرَى عَلَيْهِنَ مِنْ مَاءِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ
وقال جرير :

يَجْرَى السَّوَاكُ عَلَى أَغْرَسِكَاتِهِ بَرْدٌ تَحْذَرُ مِنْ مُتَوْنِ عَمَامٍ^(٦)
إِفْرَأ السَّلَامَ عَلَى سَعَادٍ وَقُلْ لَهَا يَوْمًا تَرُدُّ رَسُولَنَا بِسَلَامٍ

(١) الامتياح : استخراج الريق بالمسواك .

(٢) عرفوا : أتوا عرفات حين حجوا .

(٣) ماح : اغترف الماء بكفه ، ويريد سقين به . الرضاب : الريق . الغروب : جمع الغرب ، وهو أول كل شيء ، ويريد يبروه قطع أسنانه وذلك الحدادة . أعجف : هزل . ويريد أن التفت قليلا للعم ، وهو ما تمت به المرأة .

(٤) الإسحل : شجر يتخذ منه المساويك . أخوى : يضرب لونه إلى السواد من شدة خضرته . طفل : رخص ناعم . يعني كفها . مطرف : مخضوب الأطراف بالحناء . نصع : شديدة البياض . ويروي : على الزهر من أنبيائها والزهر : البيض ، (٥) الشادين : أولاد الطيبة .

(٦) البرد : حب النعام المعهود ، وهو ماء النعام يسقط جامدا بشدة البرد ، ويريد بالبرد : الأسنان البيضاء . ومتن الثنن : ما ظهر منه .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّقَاءَ وَأَنْ صَفَتْ بَنَائِلَهَا فَرَعَ الْبَشَامُ الَّذِي تَجْلُو بِهِ الْبَرْدُ^(١)
مَا فِي قُودَاكَ مِنْ دَائٍ يُخَامِرُهُ إِلَّا أَلَى لَوْ رَأَى رَاهِبٌ مَسْجِدًا

وقال جميل بن معمر :

بَغْرٍ قَدْ سَقَيْنَ الْمِسْكَ مِنْهُ مَسَاوِيكَ الْبَشَامِ وَمِنْ غُرُوبِ
وَمِنْ تَجَرَى غَوَارِبِ أَقْجَوَانٍ شَتِيتِ النَّبْتِ فِي عَامِ خَصِيبِ

وقال آخر :

وَعَادَيْنَ بِالْقَضْبَانِ كُلُّ مُفْلَجٍ بِهِ الظُّلُمُ لَمْ يُفْلَلْ لَهُنَّ غُرُوبُ^(٢)
رُضَابًا كَطَعَمِ الشَّهْدِ يَجْلُو مَتُونَهُ مِنْ أَلَايِكَ أَوْغَضَ الْبِشَامُ قَضِيبُ^(٣)
أُولَئِكَ لَوْلَاهُنَّ مَا سَقَتْ نَضْوَةَ وَلَا قَابَلَتْنِي فِي الْبِلَادِ جُنُوبُ^(٤)

وقال أيضا :

إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الشَّمَالِ تَسَمَّتْ وَجَدْتُ لِرَبِّهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا^(٥)
تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عَوْدَ أَرَاكَةِ لِهِنْدٍ وَلَكِنْ مَنْ يُبْلَغُهُ هِنْدًا
وَأُنْشِدُنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ : أَنْشِدُنِي الزَّيْبِرَ بْنَ بَكَارٍ قَالَ :

أُنْشِدُنِي أَبُو مُسْلِمٍ الْكَلَابِيُّ لِمَهْدِيِّ بْنِ الْمُلُوحِ الْكَلَابِيِّ :

نَفِيتَ لَيْلِي وَقَدْ كُنَّا نُبْتَخِلُهَا قَالَتْ : سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْمَرْبِيعَ الْجَدْبَا
يَا حَبِيبًا رَاكِبًا كُنَّا نَهْسُ لَهُ يَهْدِي لَنَا مِنْ أَرَاكِ الْمَوْسَى الْقَضْبَا

(١) البشام : شجر عطري الرائحة يستاك بجنبه ، وجهه يعرف عند العيادة بحب البشام.

(٢) الظلم : يريق الأستان .

(٣) الشهد : السبل ما دام لم يصبر من شدة .

(٤) النضو : الهزول من الحيوان .

(٥) الزيا : الريح الطيبة .

وقال القطامي :

مُنْعَمَةٌ تَجْلُو بِخُوطِ أَرَاكَةِ ذَرَى يَرَدُّ عَذْبِ شَنَبِ الْمُنَاصِبِ ^(١)
كَأَنَّ فُضِيضًا مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ عَلَى ظَلَمٍ جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ ^(٢)
لِمُسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى يَوْتُ وَمِنْ طَوْلِ الْعِدَاتِ الْكِرَادِبِ ^(٣)
وقال بعض الأعراب ، وَتُرَوَّى لِلْأُمَيْلِسِ :

مُنْعَمٌ هَيْفَاءُ عِجْرَاءُ خَدَلَةٌ تَمْسُ مَتَانِي شَعْرَهَا قُضْبًا خَزَلًا ^(٤)
وَتَجْلُو بِسَوَاكِ الْأَرَاكِ مَفْلَجًا عَذَابَ الثَّنَائِيَا لَا انْقِصَارًا وَلَا نُعْلًا ^(٥)
وقال العطوي :

عَدَكْنِ الْفَوَازُ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ فِي يَدَيَّ ذَاتِ دَمْلَجٍ وَوِشَاحٍ ^(٦)
وَنَسَائِيَا رَقِيقَةً كَقَدِيرٍ مِنْ مُدَامٍ وَرَوْضَةٍ مِنْ أَقْلَاحٍ
فَسَاوِيكُهَا بِهَا كُلُّ يَوْمٍ فِي رِيَاضٍ مِنْ اصْطِلَاحِ الرَّاحِ

(١) الجوط . الضن الناعم لسنة ، أو كل قضيب . أراكه : شجرة يؤخذ منها السواك .
ذرى : أعلى . الشنب : الثغر : المفجع . ويروى : شنب ، والشلب : برد وعذوبة في
الأسنان ، أو تقط يعض فيها . أوحدة الأنياب كالقرب تراها كالمنشار . المناصب :
المنابت ، ويريد مراكز الأسنان ، يعني أنه مفجع .

(٢) فضييض : ماء سائل ، وكل ما سقط من السماء فهو فضييض من الماء . غريض :
طرى . ظلماً : عطش .

(٣) مستهلك : هالك في الشوق ، والمستهلك : الجاد في الأمر ، كأنه جطه ما هنا
لجج في الحب . العِدَات : جمع العدة : الوعد .

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . عجواء : عظيمة العجز ، مؤخر الجسم .
خدلة : تمتلئ الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . الخزل من الإبل : ما ذهب ستامه . ويريد :
قضيبي مستقيمة

(٥) شلت أسنانه : تراكبت فوق بعضها .

(٦) الدملج : حل يلبيس في المعصم .

وقال علي بن الجهم :

حَجَّوْا مَوَالِيكَ يَا بُرْهَانَ وَاعْتَمِرَا
فَأَنْجِفْنِي مِمَّا أَتَحْفُوكِ بِهِ
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ حَتَّى تُرْسِلِينَ بِهِ
وَلَا بِي الطَّيِّبُ فِي ذَلِكَ :

شَبِيدِي عَلَى طَيْبِ اللَّاتِ وَرَيْقِهَا
كَأَنَّ حَبَابَ الرِّيقِ حِينَ تَمُجُّهُ
رَشَاشُ ذِكْرِ الْمَسْكِ شَيْبَ بَعْضِهِ
وَقَالَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

شِفَاءُ الصَّدَى مَاءُ الْمَسَاوِيكِ وَالَّذِي أَجْ

تَنِي الرِّيقَ مِنْ خَلِّ يُنَازِلُهَا طِفْلٌ

فِيَا جَبْدًا ذَاكَ السَّوَاكِ وَجَبْدًا

بِهِ الْبَرْدُ الْعَذْبُ الْفَرِيضُ الَّذِي يَحْمَلُو

وَأَحْسَنُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ بَعْضَ رَيْقِكَ قُلْتُ لِي
أَخْشَى عَقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلاكِ
أَيُجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مَتِّمٌ
مَاذَا عَلَيْكَ جُعِلَتْ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى
مِنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمَسَاوَاكِ

(١) بُرْهَانَ : مِنْ جَوَارِي الْمَتَوَكِّلِ .

(٢) الْحَبَابُ : الْقَضَائِعُ الَّتِي تَطُولُ الْمَاءَ أَوْ الْحَرَّ . مِجَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ مِنْ فَه : رَمَى بِهِ .

(٣) الْعُقَارُ : الْحَمْرَةُ . شَمْعُ الثَّرَابِ . مَزَجَهُ بِالْمَاءِ .

وهذا باب تطلب فيه الشعراء ، ويتسع لها القول في ذكره ، وقد مضى من بعضه ، ما أغنى عن شرح كله .
وأنا أصف لك جملة من جميل مناقبهم ، وما يؤثرون من حسن مذاهبهم ، إن شاء الله تعالى .

٣٥- باب صفة ذوى التقرف

ومبايقتهم لذوى التكلف

اعلم أن من كمال أدب الأدباء ، وحسن تطرف الطرفاء ، صبرهم على ما تولدت به المكارم ، واجتنابهم لحسيس المآثم ، وأخذهم بالشيم السنية ، والأخلاق الرضية ، وأنهم لا يداخلون أحدا في حديثه ، ولا يتطلعون على قار في كتابه ، ولا يقطعون على متكلم كلامه ، ولا يستمعون على مسير سره ، ولا يسألون عما ورى عنهم عليه ، ولا يتكلمون فيما حجب عنهم فهمه ، يدرعون إلى الأمور الجليلة ، ويتباطئون عند الأشياء الرذيلة ، فهم أمراء مجالسهم ، يفتح غير الأخلاق ، وبهم يتألف متنافر الأخلاق ، تسمو إليهم الآفاق ، وتنثني عليهم الأعناق ، ولا يطمع في عيهم العائب ، ولا يقدر على مثالبهم الطالب ، ألا ترى أنهم لا ينتجعون^(١) ، ولا يقبضون^(٢) ، ولا يتناهبون ، ولا يستنثرون^(٣) ولا يتجشئون^(٤) ، ولا يتمطون ، وذلك عيب عند الطرفاء ، مكروه عند العلماء ، وفيه حديث مأثور ، حدثني عبيد بن شريك قال : حدثنا ابن أبي مرزوق قال : أخبرني يحيى بن أيوب قال : أخبرني ابن عجلان عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يحب العطاس ويكره التثاوب ، وأن أحدكم إذا قال ماها فإن ذلك الشيطان يضطك في جوفه .

(١) تجمع بالدم : طلع به . (٢) تثر الشيء : تهاطل متفرقا .

(٣) تمشأ : أخرج من فة الجشاء ، وهو ريح يخرج من الفم مع صوت .

والظرفاء لا يتأبون ولا يتمطون ، ولا يوقعون أكفهم ، ولا يشبكون أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يحكّون أجسادهم ، ولا يمسّون آفاتهم ، خاصة إذا كان أحدهم بين يدي خلية أو ربيعة أو حنية ، أو من يحتمله ومن يكرمه ، ولا يدخل أحدهم الحلاء من حيث يراه أحد ، ولا يبول بين يدي أحد .

وليس من زيمهم الاقواء^(١) في الجلسة ، ولا السرعة في المشية ، ولا الالتفات في طريق قصدوه ، ولا الرجوع في طريق سلكوه ، ولا ينفضون الغبار عن أرجلهم في المواضع المكتوسة ، ولا يستريحون في الأماكن المرسوشة ، ولا يحلسون في مجلس فينتقلون منه ، ولا يقعدون بحيث يقامون عنه ، ولا يشربون ماء الأجباب ، ولا الماء في دكاكين الشراب ، ولا ماء المساجد والسيل ، وذلك مشى عند ذوى العقول ؛ ولا يدخلون دكان هرأس^(٢) ، ولا دكان رواس ، ولا يجتازون بـدكان مرقا ، ولا يأكلون شيئا مما يتخذ في الأسواق ، ولا يأكلون على قارعة الطريق ، ولا في مسجد ولا في سوق ، وفي ذلك حديث مأثور ، وخبر مشهور ، حدثني أحمد بن الهيثم المعدل قال : حدثني سهل بن نصر وإسحاق ابن المنذر قالا : حدثنا محمد بن الفرات قال : حدثني سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الأكل في السوق دناءة^٣ .

وظريف^٤ لا يأخذ شعره في دكان حجام ، ولا يدخل بغير مئزر إلى الحمام ، وقد حدثني أحمد بن محمد بن غالب صاحب الحليل ، قال : حدثني أحمد بن

(١) أقمى الكلب : جلس على استه .

(٢) المراس : صانع المريسة ، أو بانها .

عبد الله بن هشيم ، عن معمرة ، عن إبراهيم قال : النظر في مرآة الحجام دناءة .
وحدثنا أحمد بن محمد بن غالب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن
سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من قلة مروءة الرجل نظره في مرآة
الحجام واطلاعه في بيت الحائك .

وقد ينبغي للظريف أن يدخل الحمام على خوة ، لئلا ينظر فيه إلى سوءه ،
ولا يمدّ عينه إلى أحد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يدلى رجله في البئر
التي ينصب إليها الماء ، فإن ذلك مما يفعله الأذنياء ، ولا يدلك يديه بخرقه ،
فإن ذلك مما يستعمله السفهاء ، ولا يتمرّع على حرارة أرض الحمام ، فإن
ذلك مما يفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له أن يدخله متزراً ، ويقعد فيه معتزلاً ،
ولا يقعد مستوفزاً^(١) على رجله ، فإن ذلك طعن على عقله ، ولا يميل مضطجعا ،
بل يقتصب متربّما ، حتى إذا نصب العرق من بدنه ، وتحدّر على جسده ،
وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشفه عن بدنه بمنديل ، ثم دعا لرأسه
بالغسل ، والأشنان^(٢) المنخول ، فإن كان من أهل المروآت والنعم ، وأهل
اليوتات والقدر ، فمن لا ينسب في فعله إلى شيء ليس من شكله ، فليبتدىء
دخوله الحمام بالمسك عن الكلام ، والتجرّع من الماء الحار ثلاث جرّع ،
وليقدّم العرق فوق نطع^(٣) حتى إذا عرق سلت بدنه ، وجمع عرقه فوزنه ،
وهذا الفعل لا يصلح إلا لذوى نعمة أو شريف ، أو متأدّب فيلسوف ، وأما
سائر الناس من أهل الطّرف ، فأنهم يُسبون بهذا الفعل إلى السفخ .

ولا ينبغي للظريف أن يمشى بلا سراويل ، ولا يتزّز بمنديل ، ولا يمشى

(١) استوفز في قدمه : قد غرطه وكأه يتياً للووب .

(٢) الأشنان : ما تنسل به الأيدي من الخصى .

(٣) النطع : بساط من جلد .

عُلُولُ الْأَزْوَارِ ، وَلَا مَسْبِلَ الْأَزْوَارِ ، وَلَا يَمَاسُ فِي الشَّرَى ، وَلَا يَرْكَبُ حِمَارَ
الْكِرَى ، وَلَا يَنْزِلُ فِي خَرَابٍ ، وَلَا يَقْبُضُ عَلَى كِتَابٍ ، وَلَا يَشَارِطُ صَانِعًا ،
وَلَا يَصَاحِبُ وَضِيعًا ، وَلَا يَشَاتِمُ رَفِيقًا ، وَلَا يَنْتَابُ أَحَدًا ، وَلَا يَذْكُرُ سُوءَ
أَخَا ، وَلَا يَنْتَمِ بِسَرِيرَةٍ ، وَلَا يَظْهَرُ خِيَتَهُ ، وَلَا يَفْخَرُ عَهْدًا ، وَلَا يَخْلَفُ وَعْدًا ،
وَلَا يَضْرِبُ ^(١) بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَلَا يَفْسُدُ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ ، وَلَا يَسْعَى إِلَى سُلْطَانٍ ،
وَلَا يَفْتَمِرُ بَانْسَانَ ، وَلَا يَهْتِكُ حُرْمَةً ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِمِرْقَةٍ ، وَلَا يَتَحَلَّى بِالْكَذِبِ ،
وَلَا يَسْتَهْدِفُ الْقَرِيبَ ، وَلَا يَجَاهِرُ بِالزُّنَى ، وَلَا يَنْطَلِقُ بِالْحَنَاءِ ، وَلَا يَفْسُدُ حُرْمَةً
الْأَخِ الصَّدِيقِ ، وَلَا حُرْمَةَ الْجَارِ الْقَرِيبِ ؛ وَأَجُودُ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ
الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ :

قَالَتْ ، وَقُلْتُ : تَحْرَجِي وَصَلِي حَبْلَ أَمْرِي بِرِوَصَالِكُمْ صَبَّ ^(٢)
صَاحِبٌ إِذَا بَعَلِي ، قَهْلْتُ لَهَا : الْقَدْرُ مَتَى لَيْسَ مِنْ شَيْئِي
تَقْنَنَ لَا أَذْنُو لَوْصَلِمَا عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ مُخْلِفُهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

وَمِنْ تَكَامُلِ ظَرْفِ الطَّرِيفِ : ظُهُورِيَّتُهُ ، وَظُهُورِ طَيْبِ رَأْيِهِ ، وَتَقَاءِ
دَرَنِهِ ^(٣) ، وَنَظَافَةِ بَدَنِهِ ، وَلَا يَنْسَخُ لَهُ ثَوْبٌ ، وَلَا يَذْوَنُ لَهُ جَيْبٌ ^(٤) ، وَلَا يَنْفَتِقُ
لَهُ ذَيْلٌ ، وَلَا يُرَى فِي دُخَارِهِ ^(٥) مَيْلٌ ، وَلَا فِي سِرَاوِيلِهِ ثَقْبٌ ، وَلَا يَطُولُ

(١) حَرْبٍ : أَعْرَى ، وَشَجَعٌ وَحَرَضٌ .

(٢) تَحْرَجُ : تَجَنَّبُ الْإِثْمَ .

(٣) الدَّنُّ : الْوَسْخُ .

(٤) الْجَيْبُ مِنَ الْقَمِيصِ : طَوْفَةٌ .

(٥) الدُّخَارِيُّ : جَمْعُ الدُّخْرِيسِ : بَنِيَّةُ الثَّوْبِ ، وَهِيَ مَا تَجَمُّلُ فِي نَحْرِ الثَّوْبِ

لِتَوْسِيمِهِ .

له ظُفرٌ ، ولا يكثر له شعرٌ ، ولا يفوح لا يبطه دُفرٌ ^(١) ولا لبدنه غُمرٌ ^(٢)
ولا يدل له أنفٌ ، ولا يسود له كفٌ ، ولا يظهر له شُقاقٌ ، ولا يُرَشش
له بَصاقٌ ، ولا يقف في مأفه رَدَدٌ ، ولا صِواره زَبَدٌ .

ومن زِيَّهم في مصاحبة الأوداء ، ومعاشرة الأخلاء : حفظُ العهود ،
وإنجازُ الوعود ، والدِّوامُ على الوفاء ، وقِلَّةُ الرغبة في الجفاء ، وحسنُ المؤاناة
لأودائهم ، والمساعدة لأخلائهم ، والبشرُ بمن لقوا ، والتفقدُ لمن فقدوا ،
والمساعفة بأبدلهم ، والمعونَةُ بأموالهم ، وتخفيفُ المؤن على إخوانهم ،
وكفُّ الأذى عن جيرانهم ، والصفحُ عن المسيء لهم عند إساءته ، ومقابلةُ
المحسن بإحسانه ، والترحيبُ بالصغير ، والتبجيلُ بالكبير .

وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا
أبو الرجال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما من شابٍ أكرمَ شيخاً عند سنِّه إلا إلاقض الله له من يكرمه عند سنِّه .
وقد يجب أيضاً على أهل المروءة ، مثل الذي يجب على أهل الظرف والفتوة ،
والآداب ، لأنهما ليسا بالذاذاة والقصف ، ولا بالمفاخرة والحسب ، وإنما
هما بكال المروءة والآداب . ولن يعرف الفتي جميل مواهب الفتوة إلا بسلوك
طرائق المروءة ؛ وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال : إن الفتوة
ليست بالفسق والفجور ، ولكنها طعامٌ موضوع . وأذى مرفوع . ونائلٌ
مبذول ، وبشرٌ مقبول ، وغافٌ معروف ، واجتنابٌ للقيح ، وأدبٌ ظاهر ،
وخلقٌ ظاهر ، وتركٌ بجمالة أهل الشرور ، والسموُّ إلى معاني الأمور ،
والإحسانُ إلى من أساء ، ومكافأةٌ من أحسن ، وقضاءُ حوائج الناس .

(١) الدفر : خيث الرنحة .

(٢) الغمر : زنج العم .

(٣) الزبد : الحُبث .

فهذه جملة من ذنوبهم في حسن مناقبهم ، ومستحسن جميل مذاهبهم .
ولهم أيضا رقة الطبع ، والتلطف في كل الأمور ، والمدارة والتلق ،
والتأني والترقيق ، ومن ذلك قولهم ؛ مَنْ حَبَّ طَبَّ ؛ أي رفق ودارى ؛
ومن ذلك سمى الطيب طيبا ، لترقيقه ومدارته والعرب تقول : هو طيب
بالأمور ، أي عالم رقيق ، قال عمر بن أبي ربيعة :

فَأَتَتْهَا طِبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْطُ الْجِدَّ مِرْكَارًا بِالْعَبِّ
تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَأَتَتْ لَهَا وَتُرَاخِي عِنْدَ سَوَارِكِ النَّعْبِ

ولهم حسن التأني فيما يريدونه ، ولطيف الحيل فيما يحاولونه ، وخفي
التلطف لما يطالبونه ، حواجمهم سرية ، ومراهم مخفية ، وأمورهم باطنة ،
وجيهم لطيفة ، يورعون الأمور مواردَها ، ويصُدِّرونها مصادِرَها .

ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم ، والبرِّ والملاطفة والمكاتبة والتحفة
من غيرهم ويستصغر ؛ ومن ذلك أنهم ربما أهدوا الأثرجة الواحدة ،
والتفاحة الواحدة . والدستبوية اللطيفة ، والشهامة اللطيفة ، والنصن من
الريحان ، والطاقة من الترجس ، والرطل من الشراب ، والقطعة من العود
والمخزنة من الطيب ، والشئ اليسير ، والوهط الصغير ، ونظير ذلك من
الآشياء القليلة الخفية والذليلة ، التي لا قدر لها عند ذوى العقول ، فيستكثر
ذلك منهم ويلقَى بالقبول ، وتُستحسن هداياهم وتُستطرف ، ويُفرح بها
وتُستطرف ، ورغبة غيرهم من الناس في الأشياء الجليلة ، والهدايا النيلة ،
والطُرف السرية ، والتحف السفية ، غير أهل الطرف ، فانهم اقتصروا على
الاطف اللطيف ، والبر الخفيف .

ومن ذلك كتبهم الملاح ، والفاظهم الصحاح ، التي يستعطفون بها القلوب ،

ويسترون بها العيوب ، ويستقيلون بها العثرات ، ويستدركون بها المحفوكات^(١) التي قد استخلصوها من بديع الحرير الصيني ، ومليح الملحم النيسابوري ، وصفيق الديقق الحني ، ونقى التاخنج والقوهي .

وتغلغلوا إلى الكتاب في ذلك بالذهب والمسك ، والزعفران والسك^(٢) واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق ، وجياد الزناير الدقاق ، وطيبوها بالمسك والندائر^(٣) وعَنُونُوهَا بِمُتَطَرَفَاتِ الْأَمْثَالِ وَالنُّوَادِرِ ، وَخَتَمُوهَا بِالْغَالِيَةِ الْمُسْتَمْسِكَةِ ، وَطَبَعُوهَا بِنُفَى الْأَلْفَاظِ الْمُهْلِكَةِ ؛ وَقَدْ ضُمِّنَتْ مِنْ مَلِيحِ الْمَكَاتِبَةِ ، وَطَرَائِفِ الْمَعَاتِبَةِ ، وَجَمِيلِ الْمَطَالِبَةِ ، وَشَكِيلِ الْمَدَاعِبَةِ ، مَا يَقْرَبُونَ بِهِ الْبَعِيدَ ، وَيَهْنُونَ بِهِ الشَّدِيدَ .

وقد بينت ذلك أحسن البيان ، وشرحته بأخص المعاني ، ووصفتُ ما يتوصلون به من الرسائل ، وما يضمنونه كتبهم من الرسائل ، في كتاب مفرد ، وكلام مجرد ، ترجمته كتاب فَاحِ الْمُهْجِ ، فجعلتُ ما فيه ذريعة إلى الفرح ، فأغنى عن تطويل هذا الباب ، مأمراً في ذلك الكتاب ، وأنا أصف لك أيضاً في كتابنا هذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة ، وما استعملوه بينهم من المعاتبة ، وأقصد في ذلك إلى مداعبة الكتاب ، ومعاتبة الأحباب ، وما تعاتبوا به من الآيات ، واختاروه من المقطعات ، وما ذكروا على العنوانات من الكلام ، وما ضمنوه في كتبهم من السلام ، على غير نقص مني لكل ما في ذلك من الأشعار ، إذ كان قصدي في كل أبواب الكتاب إلى الاختصار . وباقه أستعين وأستكني ، وإياه أسترشد وأشهدى .

(١) المحفوكات : جمع المحفوة : السقطة والذلة .

(٢) السك : ضرب من الطيب .

(٣) الندائر : جمع الندور : ما يندر من عطر ونحوه .

٣٦ - باب ما اشتهر من أفعال الأورداء في المعانيات

واستحسن من الظرفاء من ملحق المعانيات

أخبرني الوضاح بن ثابت الكاتب قال : كنتُ عند بعض الكتاب ، إذ دخلت عليه وصيفة كأنها قرٌ ، تنثني في مشيتها كأنها جانٌ ، وكأنها غصنٌ بان ريان ، حتى وقفت بين يديه ، فقالت : مولائي قرأ عليك السلام ، وتقول لك ، يا أخي جفوتنا من غير استحقاق الجفاء ، وملت إلى غير مذاهب الظرفاء ، وإني لم أزل واثقة بإخائك ، راجية لحسن وفائك ، وتحقيق ظن مؤمك ، أولى بك من الوقوف على تجنبك .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها ، يا أختي أنا من ودك ، على أحسن عهدك ، ومن الأمل لك على أضعاف ما عندك ، ولقد استوحشنا من فقدك ، فاجعلي لنا حظاً من أنسك .

فسأله عنها ، فقال : جارية على بن الجهم .

وأخبرني محمد بن إبراهيم الحمداني قال : أخبرني مولى لمحمد بن عبد الله ابن طاهر قال : قرأت رقعة لمولاي إلى بعض إخوانه : يا أخي مددت يداي إلى المودة مبتدئاً فشكرناك ، وشفعت ذلك بشي من الجفاء فعذرناك ، والرجوع إلى محمود الوداد ، أولى بك من المقام على مكروه الصد .

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له : أيذك الله بوفاء الأدب من النزاع إلى الجفاء ، وجعل آخر سخطك موصولاً بأول الرضاء .

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له يستعبه على جفاء كان منه : ليس من تدبير من شملته أهبة الحكم ، وسمحت به معالي الحكم ، أن يعطف على عهود صديق يعقود ، ولا تضمحل واجبات الحقوق ، ولا تُغيّر

نُوبٌ^(١) أَيَّامه ، عن رعاية ذِمَّامه^(٢) والسلام .

وكتب آخر إلى صديق له : بدأتنا بمودة عن غير خيرة ، وهجرتنا من غير سبب يوجب طول الهجرة ، وقد أطعنا أولك في إغاثك ، وآيسنا آخرك من وفاتك ، فسيحان من لو شاء كشف باليقين من الرأى عن غير سِمة الشكوك في أمرنا فأقنا على اتلاف ، أو اقترنا على اختلاف ، والسلام .

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض الكتَّاب : بلغنى حسنُ محضرك ، فقيرٌ بديع من فضلك ، ولا غريب عندى من يرك ، بل قليل اتصل بكثير ، وصغيرٌ لحق بكبير ، حتى اجتمع في قلب قد وُطنَ لودتك ، وعُتق قد ذلت لطاعتك ، وليس أكبر سؤلها وأعظم أربها إلا طولَ عمرٍ بقاؤِ النعمة عليك . والسلام

وكتب بعض الكتَّاب إلى صديق له : مازال ما أجدُ من عواقب رأيك ، وأشبهُ من وفاتك ، حتى وثق في ضميرى من مودتك ، ما استنجدنى لطاعتك ، واستوى على من موافقتك ، ما سهل على سبيل عتبك فما أسألك بغلبة الهوى طريقاً إلا إلى رضاك . ولا أستعين بهواك منك عليك إلا كان عوناً على لك ، ولتعم المستعبدُ لى أنت على المحامد ، واكتساب سنأ الفوائد ، ولذلك أقول :

على رقيبٍ من هواك يَقودُنِي إليك على الحالاتِ في السُّخْطِ والرِّضى
وليس هواى حيث لَا يَسْتَحِقُّهُ ولكن هواى حيث كَانَ لك الهوى
لِسَانِي رَهينٌ بالذى أَنْتَ فاعِلٌ ورأى موصولٌ بما كُنْههُ يَرَى^(٣)

(١) النوب : جمع التوبة : التهمة .

(٢) الذمام : الحق ، الحرمة .

(٣) الكنه : جوهر الشيء وأصله وقدره وحقيقته وغايته ،

وما زلت لي عوناً برأى موفقٍ على صِلَةِ القرْبَى بهْدَى أُولَى النَّهَى
وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك سُروى أَعَارَنيَ اللهُ حياتك،
أَذَارَيتك، كَوَحْشَتِي لك إِذَا لم أَرْك، وحفظي لك في مفْيِيك، كودَّتِي لك في
مشهدك، وَإِنِّي لَصَافِي الأَدِيم، غير نَعْلٍ^(١) وَلَا مَتَغِيرٍ، فامْنَحْنِي من مودَّتكَ
مُزْنَ لِنَادِقِ مشربك، وَكُنْ لي كَأَنَا، فَوَاقِه مَانِحَتٍ^(٢) عن نَاحِيَتِكَ، إِلَّا وَأَنَا
عَنِّي الضَّلُوع إِلَيْكَ، وَالسَّلَام.

فكتب إليه محمد: يَا أَخِي مَا زِلْتُ عَنْ مودَّتِكَ، وَلَا حُلْتُ عَنْ أَخَوَتِكَ،
وَلَا اسْتَبْطَأْتُ قَسِيَّكَ، وَلَا اسْتَزِدَّتْهَا فِي مَحَبَّتِكَ، وَإِنْ شَخَصَكَ لِمَائِلُ^(٣)
نُصْبٍ^(٤) طَرَفِي، وَلَقَلَّ مَا يَخْطُو من ذَكَرِكَ قَلْبِي. وَفَه دَرَّ الَّذِي يَقُولُ:

أَمَا وَالَّذِي لو شَاءَ لَمْ يَخْلُقْ النَّوَى لَنْ غَبْتَ عَنْ عَيْنِي لِمَا غَبْتَ عَنْ قَلْبِي
يُذَكِّرُنِيكَ الشُّوقُ حَتَّى سَكَتَنِي أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي
وكتب بعض الكتاب إلى صديق له، تَبَيَّنَ مِنْ جَفْوَةٍ، سَيِّدِي الرِّمْتَنِي
الْحَضُوعَ، وَحَرَمْتَ عَلَيَّ الْمَجُوعَ، وَحَرَمْتَ نَارًا بَيْنَ الضَّلُوعِ، فَرَكَمْتَنِي
فِيكَ لَا تَذَا بِالْعُدْوِ، وَنَمْنَعَا مِنَ السُّلُوِّ، مَنْخَفِضًا مِنَ الْعُلُوِّ، بِإِزْلَةٍ مِنْ خَانٍ
وَدَا، أَوْ قَضِ عَهْدًا، أَوْ أَخْلَفْ وَعْدًا، أَوْ أَظْهَرْ صَدًّا، أَوْ جَحْدَ يَدًا، أَوْ
كَفَرَ عَارَةً^(٥) أَوْ غَطَّ^(٦) نَعْمَةً سَالِفَةً.

سَيِّدِي لَمَّا اشْتَغَلْتَ بِكَ النَّفْسُ التَّلَقُّةَ، وَالْعَيْنُ الْآرِثَةُ: حُلْتَ عَنْ مَحْمُودِ
الْوَفَاءِ، وَزُلْتَ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يُوْجِبُ عَقُوبَةَ الْمُجْتَرِمِ، وَغَيْرِ سَبَبٍ يَقْدِرُ فِي

(١) التلّ الفاسد، أو ولد الزانية لفساد نَسَبِهِ.

(٢) عاج عنه: رجع عنه وتركه.

(٣) النصب: الشيء المنسوب: يقال: هذا نصب عنى، أى أمانها.

(٤) المارة: العلية.

(٥) غطت النعمة: لم يشكرها.

مودعة العبد المهتمم^(١) ، الذى توقعه جريرته ، وتوبقه^(٢) خطيته ، وتحل به إساءته ، وتلزمه هفواته .

سبى ، أوقنى يسير جفائك ، وإعراض لحظائك ، فى بحار هموم ، غريقها غريق صباة وغموم ، أخطبك بلسان يعجز عن المحاطبة ، وأكاتبك بسبى لا تجرى الى المكاتبه . وأناجيك بضمير الهيبه ، المشاهد لك فى الغيبه ، مناجاة مفرم ، وصریح تجلّد ، وحليف تلدّد^(٣) .

سبى كل عذاب ووجد جديد ، وسقام عتيد ، فهو فى محبتك ، والدوام على مودتك يسير ، فأما السبيل الى وجه السرور فتعذرة ، والخلاص فى طرق السلامة الى الراحة فستوعره ، قد غلب الظلم وبعد المورد ، وقلّ العزاء . وقعد الصبر ، وانحلت العزيمة ، وبطل الرأى ، وثبت الهوى ، فتمكّن فى الحشا^(٤) ، فلا يحصى لعبدك عنك ، ولا بدّ له فى حالة السخط والرضى منك .

سبى الرجوع الى محمود الشيمه أشبه من العود ، بالفضل ، والتلؤلؤ بالوصل أولى بالمولى من الوقوف على الصدّ ، الذى يقدح فى النية ، ويزيل عقد الطويه ، وشفيعى اليك ، الذى أرجو نجاح الشفاعه خضوعى لك ، واعتصامى بك ، وانحطاطى فى طاعتك ، ووقوفى بين يديك ، مستكيناً متحيراً معترفاً ، فان ذلك أبلغ شفيع ، وأنت فيما تراه فى أمرى أكرم مولى فى كل حال ، فانه يتوقع كتاب جواب كتابه ، بما يسكن اليه ، وتتجدد به النعمه عليه ، فحقّق تأمله وأكرم صفده^(٥) وأقم أودّه ، وعدّ فى جفائه ، الى دوام صفائه ، والسلام .

(١) المهتمم : المظلوم ، اعتضمه : ظلمه وغصبه وكسر على حقه .

(٢) أوبقه : أهلكه . (٣) التدد : التجرّ .

(٤) الحشا : ما اعتضت عليه الضلوع . (٥) الصفد : العطاء .

٢٧ - باب ما فتنوه كتبهم من الوشاح

وتكاتب به ذوو الظرف والأخطار

أشدنى بعض الأدباء :

هذا كتابٌ مقيمٌ خطتُ إليك أناملُهُ
وَرَجَّ المِدادَ بدميهِ فبكتُ عليه عواذِلُهُ
أنتَ الطَّيِّبُ فدأوه يا مُبْتَلِيهِ وقَاتِلُهُ

وقال آخر :

هذا كتابٌ قَتَى له هِمَمٌ عَطَفْتَ إليك رِجاءَهُ هِمَمُهُ
غَلَّ الزَّمانُ يَدَي عِزَّتِهِ وَرَمَى به من حَالِقِ قَدَمِهِ^(١)
أَفْضَى إِلَيْكَ بِسِرِّهِ قَلَمٌ لوْ كانَ يَعْقِلُهُ بِكى قَلْبُهُ

وقال آخر :

هذا كتابي بدمع عيني أَمْلأه قَلْبِي على بَنَانِي
إلى غَزَالٍ كَنَيْتُ عَنْهُ يَحُلُّ عن لِسَانِهِ لِسَانِي

وقال آخر :

هذا كتابُ أَخِي هَوَى وَصَبَابَةٍ لا يَسْتَطِيعُ لِمَا به كِتْمَانَا
لَاقِ الدَّوَاةَ بِعَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ كَانَتْ لِمُضْمَرٍ لَاعِجٍ عُتُونَانَا^(٢)
قَرَحِ الفَوَادِ تَعُوْدُهُ أَشْجَانَهُ لِمَا به بِخِلِ الطَّيِّبِ وَخَانَا

وقال آخر :

هذا كتابٌ مقيمٌ يشكو الصَّبَابَةَ في كِتَابَةِ
فَارَدَتْ عَلَيْهِ جَوَابُهُ كَيْ يَسْتَرْخِجَ إلى جَوَابَةِ

(١) الخالق : الجبل الميت المرقع لانباء فيه .

(٢) لاق الهواة : أصْلح مدادها .

لو كان ينطق ذا الكتا
بُشكا اليك عظيم ما به
وقال آخر :

هذا كتابُ قَيَّ شكا سَقَمًا
يُنْكِ عَلَيْهِ جُفُونُ مُقْلَتِهِ
لولا مُرَاقِبَةُ العَدُوِّ وَمَنْ
لَبكى علانيَّةً وقال لهم
وقال آخر :

هذا كتابي اليك أشكو
كُتِبْتُ أَشْكَو إِلَيْكَ مَا بِي
يَا حَسَنَ الوَجْهِ كُنْ شَفِيعِي
مَا ذَكَرَ القلبُ مِنْكَ شَيْئًا
وقال آخر :

هذا كتابُ قَيَّ لِنَيْبِكَ حَافِظِ
إِنْ غَبِثَ أَنْسَ طَرَفَهُ بدموعِهِ
وقال آخر :

هذا كتابُ أَخِي هَوَى مُشْتَاقِ
أَمْلى هَوَاهُ عَلَى بَنَانِ يَمِينِهِ
وَكأنَّهُ يُقْنِي بِمَا فِي نَفْسِهِ
فَرَحَ الجُفُونِ بِدَمْعِهِ المِهْرَاقِ
فَأَبَانَ كَيْفَ مَصَارِعُ العُشَاقِ
مِنْ طُولِ شَوْقٍ وَاكْتِثَابِ بَاقِ

(١) شفه المرض : أوجعه .

(٢) المستهام : من ذهب فواده وخطب عقله من الحب . مدق : قلل مرضه ودعا

من الموت .

وقال آخر :

هذا كتابٌ مَتَمُّ مُشْتاقٍ يشكُّو إلى مستظرفِ ذَوَاقٍ
أهدى له الهجرانُ بعد تَوَاصُلٍ وكذلك فِصلُ الحائِنِ المَذاقِ ^(١)
ما هكذا فِصلُ الكرامِ فَأَجَلِي ومحرَّجِي إِنْ تَنَقَّضَ مِيشَاقِي
وَارْتِي لَصَبٌ هَاتِمٌ قَدْ شَفَعُ طولُ النَحِيبِ وشِدَّةُ الإِفْلاقِ
وأنشدني إبراهيم بن محمد لنفسه :

هذا كتابٌ مَتَمُّ في قلبه نَارٌ تَضْرُمُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
فإنَّا قرأتُ كتابَه فاجعلْ له بعد الصَّدودِ إلى الوَصَالِ سِيلًا
فلقد تركتَ فَوادَه في غَمْرَةٍ وتركتَ في الأحْشَاءِ مِنْهُ غَلِيلًا ^(٢)
ولقد تبرَّمَ بالحياة وطولها وعسى مَدَاهُ أَنْ يَكُونَ قَلِيلًا
لا تُغْرِبَنَّ بِهِ رَدَاهُ وَحِينَه حاشاك أَنْ تُرْدِي بِدَاكِ قَتِيلًا
حاشاك مِنْ قَلْبِي أَطَارُ رُقَادَه فَأَبَى الرُّقَادَ فَمَا يَلْدُ مَقِيلًا
وأنشدني أيضًا لنفسه :

هذا كتابي إليك فاقْرَأْ كتابَ ذِي صَبَوَةٍ عَمِيدِ
أَقْلَعُهُ شَوْقُهُ الْمَعْنَى وَهَذِهِ لَوَعَةُ الصَّدودِ
لَكِنَّهُ فِي الظُّلَامِ يَبْكِي بُكَاءَ ذِي الْفَقْدِ لِلْفَقِيدِ
إِنْ كُنْتَ غَضِيانَ فَارْضَ عَنِّي رِضَى الْمَوَالِي عَنِ الْعَبِيدِ
وَلَا بِي الطَّيِّبُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :
هذا كتابي إليك فاقْرَأْ كتابَ مَنْ شَفَعَهُ السَّقَامُ

(١) المذاق : من كان وده غير خالص .

(٢) غمرة الشيء : شدة ومزدحه . القليل : حرارة الحب أو الحزن .

وارث لِسْقَمِي وطولِ صبري قد وَمتَ مِنِّي الْعِظَمُ
ولا تُؤذِ قَتْلِي وهَجْرِي فَقَتَلُ حِلْفِ الهوى حَرَمُ
وقال آخر :

أَرَدَ الْمَحَوِّ فِي سَطُورِ كِتَابِي شاهدٌ لِي بِعَبْرَةٍ وَانْتِجَابِ
وَبُكَائِي يَدُلُّ أَنِّي سَقِيمٌ خاضعٌ للهوى طویلُ الْعَذَابِ
أَنَا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْيَأْسِ وَقَفَ لستُ أدرى بما يكونُ جَوَائِي
فَإِذَا اشْتَقْتُ أَنْ أَرَاكَ أَنَادِي فَرَجَّ اللهُ لِي مِنَ الْحُجَابِ
وقال آخر :

غَضِبْتَ لِمَحَوِّ فِي الْكِتَابِ كَثِيرِ قالتُ أَرَادَ خِيَاتِي وَغُرُورِي
كُتِبَ الْكِتَابُ عَلَيَّ خِلَافَ ضَمِيرِهِ وَالْمَحَوِّ فِيهِ لِبَلَّةِ التَّغْيِيرِ
مَا كَانَ دَمْعِي لِلغُرُورِ وَظَنُّكُمْ كَلَّا وَلَا السَّهْوِ وَالتَّقْصِيرِ
كُتِبَتْ يَمِينِي وَالدُّمُوعُ هَوَايِلُ حَذَرَ الْفِرَاقِ لِمَا يُجْنِي ضَمِيرِي^(١)
فَالْمَحَوِّ مِنْ قَبْلِ الدُّمُوعِ وَإِنَّمَا تَجْرِي دُمُوعُ الْعَاشِقِ الْمَهْجُورِ
وقال آخر :

مَا زِلْتُ أَبْكِي فِي يَدَي قَلَمٍ حَتَّى اسْتَهْلَكْتُ مَدَامِيعَ الْقَلَمِ
أَكْتُمُ وَجْدِي وَالنَّعْمَ يَظْهَرُهُ بَوَاكِفِ كَالْبَلْبَانِ مُنْجِمِ^(٢)
مَا زِلْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَوَى فَلَقَدْ عَذَّبَنِي مَنْ هَوَيْتُ بِالسَّقَمِ
يَا سَيِّدَا تَاهَ مَا يَكْلُمُنِي نَمَتْ وَعَيْنُ الشَّجِيءِ لَمْ تَنْمِ

(١) أجمته : ستره وأخفاه .

(٢) وكف الدمع : سال قليلا قليلا . الجمان : القوثر . انجم : سال قليلا أو كثيرا وانصب

أَنَا قَتِيلُ الْهَوَى وَمَيِّتُهُ لَا عَذْبَ اللَّهِ قَاتِلِي بِدِي
وقال آخر:

إِنِّي رَفَعْتُ إِلَيْكَ قَهَّهَ عَاشِقُ وَرَجَوْتُ عَذَابَكَ فَأَخْطَرْتُ فِي قَهَّيْ
وَلَقَدْ كَتَبْتُ وَدَمَعْتُ عَيْنِي سَاكِبُ فَانَا قَرَأْتُ فَأَخْسِنِي وَتَنَبَّيْ
إِنَّ الدَّمْعَ تَفَجَّرَتْ فَتَحَدَّرَتْ مِنْهَا قُتُونٌ فِي صِفْعَتِ مَوَدِّي
لَا فَرْجَ اللَّهُ الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى عَنِّي وَلَا زَالَتْ عَلَيْكَ مَجْنَحِي
وقال آخر:

أَمَّا الرُّسُولُ فَقَدْ مَضَى بِكِتَابٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَائِي
وَتَعَجَّلْتُ رُوحِي الظُّنُونُ وَأَشْرَبْتُ طَمَعَ الْحَرِصِ وَخَشْيَةَ الْمُتَرَاكِ
وقال آخر:

أَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَ هَذَا الْكِتَابِ قَدْ أَنَانِي بِرَحْمَةٍ وَعَذَابٍ
أَشْتَهِي فَكَمْ فَأَفَرَّقُ مِنْهُ قَهْوَادِي مَفْرُقُ الْأَسْبَابِ
وقال آخر:

كِتَابُ صَبٍّ بِدَمْعِ عَيْنٍ يُمِلُّهُ قَلْبُهُ الْكَتِيبُ
يَكْتُبُهُ كَفَّهُ بَضْفٍ وَمَا لَهَا فِي الْهَوَى نَصِيبُ
وقال آخر:

أَمَّا الْكِتَابُ فَقَدْ مَضَى وَأَمَامَهُ خَوْفُ الرَّقِيبِ وَسُطُورَةُ الْحُجَابِ
طَلَبَ الْجَوَابَ فَأَخْسِنُوا فِي وَدِّكُمْ لَا تَبْخُلُوا عَنِّي بَرْدَ جَوَابِ
هَلْ تُنْقِذُونَ مُتَيْمًا ذَا صَبُورَةٍ أَضْحَى أَسِيرَ تَذَكَّرٍ وَتَهَايَ
جُودُوا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ وَتَعَطَّفِ فَلَقَدْ أَطْلَمْتُ بِالصُّدُودِ عَذَابِي

أما الكتاب فمن كتيب عاشق
لكنه غادر إلى ذي سلوة
وقال آخر :

لولا الكتاب الذي جاء الرسول به
جاء الرسول على يأسٍ وعِدو
وقال آخر :

صليبي بالكتاب وبالسلام
وجودي بالكتاب وعثونه
من الشمس المنيرة يوم دجن
وناحلة قد يتك يا منسكى
وقال آخر :

كتب إلى يا روحى كتاباً
ولولا العيب همت إليك لما
مخافة نظرة من عين واثى
وقال آخر :

لم يزدنى الكتاب إلا اشتياقاً
بأبى أنت يا حبيسة قلبي
وأشدنى أبوعبد الله الواسطى لنفسه :

كتبته إلى تذكر ما تلاقى
من الشوق المبرح والفرق

(١) الأوصاب : جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحوه الجسم .

(٢) الرقى : بنية الحياة .

(٣) دجن اليوم : كان فيه غيم ومطر .

لعمرك ما أَهْمَنُكَ فِي وَدَادٍ وَلَكِنْ لَمْ تُلَاقِ كَمَا الْأَقِي
فَوَادِي هَائِمٌ وَالْعَيْنُ تَذْرى دُمُوعًا تَسْتَهْلُ مِنَ الْمَاقِي
وَقَدْ دَفَعْتُ الْفِرَاقَ وَكَانَ مُرًّا كَرِيهًا طَعْمُهُ عِنْدَ الْمَذَاقِ
عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَبَدَيْتُ صَبْرًا عَلَى خَدِّ الصَّبَابَةِ غَيْرُ بَاقٍ
وَقَالَ آخِرُ :

قَوْلًا لِي كَتَبَ الْكِتَابَ بِكَفِّهِ إِرْحَمْ قَدَيْتُكَ ذِلَّتِي وَخُضُوعِي
مَا زِلْتُ أَبْكِي مَذَقَرَاتُ كِتَابِهَا حَتَّى مَحَوْتُ سَطْرَهُ بِدُمُوعِي
وَقَالَ آخِرُ :

الْذَّمُّ يَمْحُو وَيَذِي تَكْتُبُ عَنِ الْمَوَى وَامْتَنَعَ الْمَطْلَبُ
أَمَارُ خَدَّيْ قَمَرِ زَاهِرٍ إِلَيْهِ مِنْ زُهْرَتِهِ الْمَذْهَبُ
لَقَدْ يَرَانِي سَقَمٌ قَاتِلٌ وَهَذَا جِسْمِي دَفَعٌ مُنْصَبٌ
وَقَالَ الْحَدِيثُ بْنُ وَهَبٍ :

يَا مُنْكَى وَمُرُورِي جُهْدُنَا غَيْرُ يُسِيرِ
وَالَّذِي نَشْكُوهُ فِي الْكُتُبِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرِ
لَمْ تَطْلُقِ أَلْسِنَا مِنْ وَصْفِهِ عَشْرَ عَشِيرِ
فَتَقِنِي يَا أَبَا أَنْتَ بِمَكْتُونِ الضَّمِيرِ
ثُمَّ قُولِي مَطْلَعُ الْجَوِّ زَاهٍ وَالشَّعْرَى الْعَبُورِ^(١)
حَفِظَ اللَّهُ قِيَّ بَا تَ لَهَا خَيْرَ سَمِيرِ

وَلِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

مَنْ الْوَهْمُ مِنْ آثَارِ قَبْرِ مَنْتَمٍ وَهَامَ رَوَى قَبْرِ الْقَتِيلِ الْمَتَمِّ

(١) الْجُوزَاءُ : بَرَجٌ فِي السَّمَاءِ . الشَّعْرَى الْعَبُورُ : كَوَكَبٌ فِي الْجُوزَاءِ .

وَمَنْ طَلَّلَ لِلشَّوْقِ لَمْ يَنْفَعِ الْبَلَى
الزينة الدنيا ومُنِيَّةُ أَهْلِهَا
وَأَمْلَحَ خَلْقَ اللَّهِ قَدْماً وَصُورَةً
وَسَلَامٌ عَلَى مَنْ شَقَنِي وَأَذَانِي
وَأَسْكَنَ قَلْبِي كُلَّ وَجْدٍ وَمَأْلَمٍ
وَأَنْدَبُهُ بِالْدمْعِ طَوْرًا وَبِالْدمِ
عَلَى الْبُؤْسِ وَالسَّرَّاءِ حِينَ التَّعْنُمِ
وَبَعْدُ فَقَدْ وَاللَّهِ يَا سَوْلاً عَبْدَهَا

٢٨ - وما ضمنوه كتبهم من المعلوم

وجعلوه تلوا للشعر والنظام

عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا سَلَامٌ مُودَعٍ
سَلَامٌ مُحِبٍّ خَانَهُ حُسْنُ صَبْرِهِ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
سَلَامٌ سَقِيمٌ مَدَقَّ الْقَلْبِ مُفْرَحٍ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ
سَلَامٌ غَرِيبٌ شَفَقَ الْوَجْدُ وَالْهَوَى
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ هَلْ أَنَا مَيِّتٌ
فَيْشِي بِخَيْرٍ وَأَسْلَى لَيْسَ حُبُّكُمْ

(١) الميم : الحسن والجمال .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . قرقر : ردد صوته . القمري : ضرب من الحمام .

السدر : شجر التين .

(٣) استوسق : اجتمع .

آخر: عليك سلام الله أما قلوبنا
 نيتُ بوْد خالص وصباية
 آخر: عليك سلام الله قد شطت النوى
 أموت بوجد مضمر وصباية
 آخر: عليك سلام الله قدمت صبرة
 أرى الصبر عنكم كأنهم مذنايم
 آخر: عليك سلام الله قلبي متوق
 ومثل الهوى أضنى الحشاو بمنزل ما
 آخر: عليك سلام الله قدر صبايتي
 أبيت حليف المم والوجد والامى
 آخر: عليك سلام الله ما حن ألف
 سلام مشوق نحوكم متطلع
 فمرضى وأما ودنا فصحيح
 وتقدو بحب صادق وزروح
 وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا
 وأزداد إن زدتم على نايكم صدا
 ومالى عزاء مذنايت ولا صبر
 قد وجلال الله ضاق به الصدر
 وجسمي نحيل والمدامع تذرف^(١)
 يليت به تنكي القلوب وتشغف^(٢)
 إليك وشوق أننى مدنف القلب
 رهين يد الأحران والشوق والكرب
 وما اشتاق ذو وجد وما طلع الفجر
 أخى حشرات غانه فيكم الصبر

٢٩ - باب ما كتبه على العنوانات

وسلكوا به سبل المداعبات

إلى سبى ومالكى وروحي
 آخر: إلى الشمس المنيرة حين تبدو
 من الجسد الطريح بغير روح
 غداة الدجن من بين النجوم^(٣)
 حليف الشوق تخفى النجوم
 وبين ضلوعه قلب مصاب
 آخر: من الدنف الذى يضج حزينا

(١) متوق : مشتاق .

(٢) تنكى : تهر بالقتل والجرح . شغفه الحب : غنى قلبه وغلبه .

(٣) الدجن : المطر الشديد .

إلى الخُودِ التي أبْلَكَ شَبَابِي فأَضْحَى ما يَسْبِغُ لِي الشَّرَابُ^(١)
 آخر: مَنَى إلى قلبي ولم أر كاتبًا يَخْطُ بأقلامٍ إلى قلبه قَبْلِي
 أَرَى كُلَّ شَيْءٍ بِأَلْيَا مُتَغَيِّرًا وَحُبِّكَ لَا يَبْنِي وَلَكِنَّهُ يَبْنِي
 آخر: مَنَى إِلَيْكَ فَأَنَى هَائِمٌ دَقُّ حَافِ السَّعَامِ يَرَانِي الشُّوقُ وَالْأَسْفُ
 النَّفْسُ ذَاهِيَةٌ وَالْعَقْلُ مُحْتَلَسٌ وَالْقَلْبُ مُحْتَبِسٌ وَالرُّوحُ مُحْتَظَفُ
 آخر: مَنَى إِلَيْكَ فَأَوْجَدَنِي بِنَصْرِمٍ حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا قَلْبِي بِمَعْذُورٍ
 وَلَوْ رَأَيْتُكَ يَوْمًا لَا تَقْضَى حَزَنِي وَعَادَ عَيْشِي صَفْوًا بَعْدَ تَكْدِيرٍ
 آخر: مَنَى إِلَيْكَ فَأَنَى هَائِمٌ قَلَّتْ حَلِيفُ هَمٍّ قَرِينِ الْعَيْنِ بِالسَّهْدِ
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ قَلَّتْ إِذَا نَأَيْتِ وَمَا أَلْقَاهُ كَمَدٍ

وقد مضى من هذا الباب ما فيه كفاية ، ولو ذهبت الى تطويله لم يكن
 لآخره نهاية ، وقد أحببت أن أختم كتابنا بأشياء يد تحسنها الظرفاء ،
 وبميل إليها الأدباء ، مما يكتب على الأقلام من التَّنْف^(٢) ، وملح المقطعات
 والطرف ، وأنا ذاكر في ذلك بعض ما استحسنته ، وملحاً مما استرققته ،
 إن شاء الله .

قد جمعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرفات الأشعار ، ومستحسن
 الأخبار . ومتنخل^(٣) الآيات ، ومنتخب المقطعات ، ونوادر الأمثال ،
 وملح الكلام ، الذي يجوز كتابه على الفصوص والتفاح ، والقناني
 والأقداح ، وفي ذيول الأقدح والأعلام ، وطُرُز الأردية والحكم والقلائس

(١) الخود : الصية .

(٢) التنف : جمع التنف ، وهي من التني : القليل منه .

(٣) المتنخل : أفضل ما يختار .

والكرازن ، والعصائب ، والشكك ، والوقايات ، وعلى المناديل
والوسائد، والمخاد والمقاعد، والمناص، والحلل، والأسرة والشكك، والرفارف
ووجوه المستنظرات، وفي المجالس والايوانات، وصدور البيوت والقباب،
وعلى الستور والأبواب، والتعال السندية. والخفاف الزنانية، وعلى الجباه
والطرر، وعلى الحدود بالنالية والعنبر، وعلى الوطاة والشاح، وفي تغليج
الأترج والتفاح، وتما يُعدل به من تضيد الورد والياسمين، ويكتب على
أواني الذهب والفضة والسكاكين، وقضبان الخيزران المدهونة، والمخاد
الصينية، والمراروح والمذاب، والعيذان والمضارب، والطبول والمعازف،
والنايات، والآقلام، والدنانير والدرهم، وجعلنا ذلك أبوابا مبنية،
وحدودا مبنية، لتقف على أصولها، وتبين حسن فصولها.

٤٠ - باب ما يكتب على النصوص

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه:

آخر:	قد فاز بالطاعة من نالها	أنا والله أنا	أنا والله مقرر بالفناء
آخر:	أعددت لذني	حسن ظني بربي	
آخر:	ختم الله بخير عملي	وتوفاني على حب علي	
آخر:	حب علي بن أبي طالب	فرض علي الشاهد والغائب	
آخر:	بجب آل محمد	ألقى إله محمد	
آخر:	أنا بالله قانع	إن ربي لصانع	
آخر:	أنا بالله واثق	إن ربي لرازق	
آخر:	أتركاني والمدامي	وعلى الله خلاصي	

آخر: ما علينا من جُحاح في موى البيضِ الملاح
 آخر: أجب من يهواي برغم من يتهاني
 آخر: آفة عقلي بصري وله عقلي نظري
 آخر: تحت ثيابي بدنٌ ناجل وفي فؤادي شغلٌ شاغل
 آخر: أُميت عبدًا لك لا أجد أنا مقرُّ الهوى يشهد
 آخر: أنا مولى لأهل هل من توألهم عقل
 يعنى: هل أتى على الانسان، لأنها نزلت في علي.

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

القناعة خير من الضراعة.

التقلُّ خير من التذلل.

السَّلامة خير من الندامة.

الأسفُ أهونُ من التكلف.

بادِر الفرصةَ قبل أن تكون النُصَّة^(١).

المُحَرَّبُ قبل الطلب.

الفرار قبل الحصار.

الرجوع قبل الوقوع.

وفي ضرب آخر

لكلِّ حقٍّ حقيقة، ولكلِّ زمانٍ خليفة.

القصْد^(٢) أقربُ من التَّعَسُّف^(٣)، الكفُّ أخرى من التكلف.

(١) النُصَّة: الحزن، الم.

(٢) القصْد: قبيض الإفراط.

(٣) التَّعَسُّف: التَّكَلُّف.

الموت معتبرٌ ، والسبيل مختصرٌ
الحق يُنجي ، والباطل يُردي
التصحُّ ملامة ، والتصرُّجُ سلامة
الآملُ يَلْوِي ، والشيطان يَفْوِي
لكلِّ امرئٍ طريقةٌ ، ولكلِّ عاملٍ وثيقة .
بطولُ التجارب ، يُكشِفُ المآرب
طولُ الاعتبار ، من حُسْنِ الاختبار
فوتُ الآمل ، أشدُّ من حضور الأجل .

وما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم
مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ
مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ ، لَمْ يَحِلَّ إِلَى شِفَائِهِ
مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ ، دَلِمَ آسَاهُ^(١)
العقل عند الهوى أسير ، والشوقُ عليهما أمير
إذا كَثُرَ الجفاء ، قَلَّ الوفاء
إذا صَحَّ الظفر^(٢) ، وَقَعَتِ الْعَيْرُ^(٣) .
إذا صَحَّتِ الْقُلُوبُ ، اغْتَفَرَتِ الذُّنُوبُ .
قَلَّ مِنْ سَلَا ، إِلَّا اسْتَفْزَهَ الْهَوَى .
مَنْ مُنِّعَ مِنَ النَّظَرِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْآثَرِ
مَنْ مُنِّعَ مِنَ الْوِصَالِ ، قَنَعَ بِالْحَيَالِ .

(١) الأسي : الحزن

(٢) الظفر : التوذو والخلية .

(٣) غير العير : أحدها .

وفي ضرب آخر

الْحَيْنُ ، خَيْرٌ مِنَ الْبَيْنِ ^(١) .
 الْقَبْرُ ، أَفْسَحُ مِنَ الْحَجَرِ .
 الْمَوْتُ ، خَيْرٌ مِنَ الْفَوْتُ
 عُصَصُ الْفِرَاقِ ، شَرٌّ مِنَ السَّبَاقِ
 كَأْسُ الْحَجَرِ ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
 طُولُ الْجَفَاءِ ، يُكَدِّرُ الصَّفَاءِ .
 حُسْنُ الْوَفَاءِ ، رُكْنُ الْإِخَاءِ .
 آفَةُ الْحَيِّبِ ، نَظَرُ الرَّقِيبِ
 آفَةُ الْغَزَلِ ، سُرْعَةُ الْمَلَلِ
 الْهَوَى ، ثَوْبُ الضَّنَى
 ذَهَبَ الْفِرَاقِ ، بِحِيلَةِ الْعِشَاقِ

وفي ضرب منه آخر

حَفِي فَلْفِي ، أَلِفَ فَنَلِفَ ، حَنَ فَأَنَّ ، حَطِي فَرَضِي ، عَشِقَ فَزَهَقَ ،
 هَوَى فَضَنِي ، صُرِمَ فَظَلَمَ ، صَدَّ فَجَدَّ ، صَبَرَ فَقَدَّرَ ، مُنِعَ فَجَزَعَ ، نَالَ
 فَاسْتَطَالَ ، بَاحَ فَاسْتَرَا حَ ، سَلَا فَتَقَلَّا ، مَلَكَ فَتَفَنَّا ، عَدَلَ فَتَقَدَّلَ ، عَفَ فَتَكَفَّ
 وكان الحسن بن وهب تعشق جارية يقال لها : ناعم ، فتكس ^(٢) اسمها ،
 ونقش على خاتمه معان ، وذكر ذلك في أبيات يقول فيها
 نَقَشْتُ مَعَانًا عَلَى خَاتَمِي لِكَيْمَا أَعَانَ عَلَى ظَلَمِي

(١) الحين : الملاك . البين : الفقرة .

(٢) تكس : قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره .

كذا اسم من هام قلبي به وأصبح في حالة الهائم

نكنت الهباء فأغلقت به بطرفي ليخني على الحازم

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جوارى القيان ، ثم تنكر لها ، فكتب على خاتم لفظاً تعرض له بالعتاب ، فبلغه ذلك ، فكتب على خاتمه ضد ما كتب ، فبلغها فحتم ما كان على خاتمها ، وكتبت ضد ما كتب ، فبلغه ذلك ، فحتم ما كان على خاتمه ، وكتب ضد ذلك في أبيات يقول فيها :

كُتِبَتْ عَلَى فَصٍّ لِعَنَائِهَا مَنْ مَلَّ مِنْ أَحِبَّاءِهِ رَقْدًا

فكتب في قصي لينعها من نام لم يشعر بن سهدا

فحتمه واكتتبت ليلتي ما نام من يهوى ولا يجد^(١)

فحوته ثم اكتتبت أنا والله أول ميت كمدًا

قالت : يعارضني بخاتمه والله لا كلمته أبداً

٤١ — باب ما ورد على النعام

من الألفاظ الملاح

قرأت على تفاع مکتوبا بـاء الذهب :

قَبْلَ تَهْدُونِي فَخُطُّوا فِي سَطْرًا مِنْ ذَهَبٍ

إِنِّي أَعْطِفُ مَنْ صَدَّ لِيَصْفِي ذَا كَرَبٍ

وعلى أخرى بالقصة :

لَيْسَ شَيْءٌ يَتَهَادَى بِمِثْلِ تَقَاجِرِ مُكْتَبٍ

خَطَّ بِالْقِصَّةِ (مِنْ نَبْذِ رَأْسِ) تَحْوِيلِ مَهْذَبٍ^(٢)

(١) هيد : نام باليل .

(٢) رياض بالأصل وقد أكتناه بما يتفق والمعنى .

يَا مُنَى قَلْبِي مَا تَرَى فِي لَدَى عَشْقِي مُعَذِّبٌ
وعلى أخرى: أَنَا لِلْأَجَابِ بِاللَّهِ رٌّ وَبِالْوَصْلِ رَسُولٌ
أَهْكَدَى فَأَرْقُ الدَّ قَلْبٌ وَالْقَلْبُ مَلُولٌ
وعلى أخرى: وَإِذَا مَا مُرْسِلٌ نَدَ سَمٌ فَمَا أَنْتِ نَمُومَةٌ
أَنْتِ رَيْحَانَةُ قَلْبِي ثُمَّ لِلَّسْرِ كَتُومَةٌ
وعلى أخرى: أَنَا شَمَامَةُ الْكَرِيمِ (مِنْ أُنَيْسٍ) لِحْلِيهِ
وَرَسُولٌ مُبَارَكٌ مُذْهِبٌ صَدِّ مُؤْنِسَةٍ
وعلى أخرى: إِشْرَبْ عَلَى خُمْرَةِ مُفَاحٍ يَا هُوْنِسِي مِنْ بَارِدِ الرَّاحِ
حَيَّاكَ مَعشوقٌ لَهُ زَهْرَةٌ وَقِينَةٌ بِالْعُودِ مِفْصَاحٌ
وعلى أخرى: مَا تَحْيَا بِلَاءِ النَّاسِ مُذْ كَانُوا بِمَثَلِي نَسِي
لِي طَلِبٌ وَبَقَا وَمَلَأَتْهُ نَسِي
وعلى أخرى: لِي طَرَاوَاتٌ وَرِيحٌ ثُمَّ مَا وَفَضَارَةٌ
لَيْسَ لِلْيَاقُوتِ فَضْلٌ كُلُّ يَاقُوتٍ جِجَارَةٌ
وعلى أخرى: جَرَحَ اللَّهُ الَّذِي يَحْدُ رَحٌ بِالسَّكِينِ لِحْيِ
فَلَجُوا حَامِضَةً إِنَّهُ فِي كَيْتَلِ الشَّهْدِ طَعْمِي
وعلى الأخرى: أَنَا خُمْرَاءُ دَعُونِي لِحَبٍّ وَحَبِيبِ
وَكُلُوا ذَاتَ يَبَاضٍ أَكُلْهَا غَيْرَ مَعِيبِ
وعلى الأخرى: حَيَّاكَ إِنْسَانٌ لَهُ رَوْتٌ نَوَارَةٌ دَانِيَةٌ تَزْهَرُ
تَفَاحَةٌ خُمْرَاءُ مَقْشُوشَةٌ تَخْجَلُ مِنْ خُمْرَتِهَا الْجَوْهَرُ

٤٢ - باب ما وجد على فيقول المؤلفه وهو معلوم

وطرز الأردية والآكام

قال الماوردي : رأيت جارية ، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ،
لم أشك أنه عاشق لها واليها مائل ، لما رأيت من حركاته اذا نظرت ،
وسروره إذا خلعت ، وتهلله إذا غتت ، وكانت فوق وصف الواصف من
الحسن والجمال ، وعليها قيص موشح بالها ، ورداء معين ، مكتوب في
وشاح القيص :

أَغْيَبَ عَنْكَ بَوْدٌ لَا يُغَيِّرُهُ نَأَى الْحَلِّ وَلَا صَرْفٌ مِنَ الزَّمَنِ (١)
تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا الشُّغْلُ لِقَلْبٍ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ
وعلى طراز الرداء :

أَقْلُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا مُجِبٌّ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْحَيْبُ
قال : ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها : عريب ، عليها يص
ملحم ، موشح بالذهب ، مكتوب في وشاحه :

وَأَنَّى لَأَهْوَاهُ مُسَيِّئًا وَمُحِبًّا وَأَنضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالَّذِي يَقْضِي
فَتَى مَ رَوْحُ الرِّضَى لَا يَنَالُنِي وَحَتَّى تَمَى أَيَّامُ سَخَطِكَ لَا تُضِي (٢)
وعلى طراز كُتْمَه :

إِذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْلَمَنِي الْغَرَى قَرَرَتْهُ مَنْ أَهْوَى أَحْرَى مِنَ الْجَرَى
ورأيت على ماجن ، جارية مكّام المغنية ، قيصا في وشاحه بالذهب :
زَفَرَاكِي لَيْسَ تَفْتَنِي وَفَوَاكِي بِكَ مَضْنِي

(١) صرف البهر وصروقه : نواتية وحداقه .

(٢) الروح : الراحة ، والراحة .

اتَرَضَّاكَ وَأُبْدِي لَكَ (حُبًّا ذَاقْ) نَا"
بَابِي كَمْ أَتَمَّنِي وَإِلَى كَمْ أَتَمَّنِي
بعد ما أَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْأَحْرَارِ رَهْنًا

قال : ورأيت في صدر قيص جارية تَبَارِجُ الكُوفِيَّةَ ، مكتوبا بالفضة
والذهب سطرًا وسطرًا :

يَا قَتِي قُلْتُ إِذْ دَعَانِي هَوَاهُ مُتَجَيِّبًا لِصَوْتِي لَيْبِنَا
مَا بَكَتْ مُقَلَّتِي لِفَقْدِكَ إِلَّا جَزَعًا أَنْ أَمُوتَ شَوْقًا إِلَيْكَ
قال . ورأيت مرةً أخرى عليها دُرَّاعَةٌ ملحم بترانين أبريسم ، ولِبْنَةٌ
سُومَنَجُودَ ، وفي دَوَّرِ اللَّبْنَةِ مكتوب .

يَا رَامِيَا لَيْسَ يَذَرِي مَا الَّذِي فَعَلَا أَمْسِكَ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا شُلْتَ يَمِينِكَ أَنْ صَيَّرْتَنِي مَسَلَا
وكتبت بُنَّانُ جارية الخِزُرَانِ على ترانين دُرَّاعَةٍ لها بذهب :

لَمْ تَقُلْ قَوْلًا وَلَكِنْ حَلَقْتَ أَنَهَا أَحْسَنَ عَيْنٍ أَطْرَقَتْ
زَعَمْتَ أَنِّي قَدْ لَا حَظَّنْهَا أَيُّ عَيْنٍ لَحَظَّتْ فَاعْتَرَفَتْ
أُظْهِرْتُ حُجَّةً مَنْ يَعْشَقُهَا وَاسْتَبَاحَتْ غَفْلَةً وَانْصَرَفَتْ
وعلى طراز كُفَّهَا :

لَيْسَ بِي صَبْرٌ وَلَا بِي جَلْدٌ قَدْ نَقَى حُبُّكَ عَنِّي جَلْدِي
وأخبرني بعض أصحابنا قال : أخبرني من رأى في ذيل جارية الحسن بن
قارن مغسوجا في العَلَمِ :

أَحْسَنَ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْهُ
شَكْوَى فَتَاةٍ وَقَى يَعْشَقُهَا وَتَعْشَقُهُ
نَارُ الْهَوَى ذَانِيَةً تَحْرِقُهَا وَتَحْرِقُهُ
يَا حَبِذَا الْحَبُّ إِذَا دَلَمَ وَدَامَتْ حَرْقُهُ

وكتبت راعي، جارية الأحذب، قبل أن يشتريها اسحاق بن ابراهيم
الموصل، على وشاح قيصا :

إِذَا وَجَدْتُ لَمِيبَ الشَّوْقِ فِي كَيْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاكِ الْقَوْمِ أَتَرَدِّدُ
هَبْنِي طَفِئْتُ يَبْرُدُ الْمَاءُ ظَاهِرُهُ فَمِنْ لِحْرٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ يَتَّقِدُ
وكتبت جارية لقبيحة على ردا لها رشيدى :

أَرَأَيْتُمْ يَأْمُرُونَ بِقَطْعِ وَضْلِي مُرِيهِمْ فِي أَجْنَبِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوَلَكِ فَاعِصِي مِنْ عَصَاكِ
وكتبت جارية أبى حرب على ردا لها عمك :

مَنْ أَلِفَ الْحَبُّ بَكَى مَنْ شَفَّهَ الشَّوْقُ شَكََا
مَنْ غَابَ عَنْهُ إِلْفُهُ أَوْ صَدَّ عَنْهُ هَلَاكََا
يَا مَالِكَا عَذِّبْنِي بِمَجُورِهِ إِذْ مَلَكَا
رِقْقَا بِمَمْلُوكِكَ مَا يَحِلُّ ذَا الظُّلْمِ لَكََا
وكتب بعض الطرفاء على طراز مطرف خز :

وَهَبْتُ شِمَالُ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا تَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرَدَانِيَا^(١)
فَمَا زَالَ قُوْبِي طَيِّبًا بِنِ ثِيَابِهَا إِلَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ التَّوْبُ بِأَلْيَا^(٢)

(١) ليلة قرة : باردة . البرد : ثوب مخطط . (٢) أنهج التوب : بلى .

وكتبت دُبْسِيَّة جارية زُرْزُور على قباء معصفر :
وما البدرُ المنيرُ اذا تجلَّى هُدُوءاً حين يَنزلُ بالعِراقِ
بأحسنَ مِن بُيُوتِ يَوْمَ قَامَتْ تَهَادَى فِي مُعْصَفَرٍ رِقَاقِ

٤٣ - ياب ما وجد على لكرارز ولعصاب

ومشاد الطرر والذوائب

وكتبت عَلْلُ على قَلَنْسُوَة لها ديباج^(١) ، وهى جارية محمد بن المأمون :
ما يَلُ الحبيبَ طولَ التَّجَنَّى لِبَلَايَ بِهِ وَلَا الصَّدَّ عَنِّي
كلُّ يَوْمٍ يَقُولُ لِي لَكَذِبَتْ يَتَجَنَّى وَلَا يَرَى ذَاكَ مِنِّي
رَبِّمَا جِئْتَهُ لِأَسْلِفِهِ الْعُدَّ رَلْبَعُضِ الذُّنُوبِ قَبْلَ التَّجَنَّى
وكتبت جارية المارقِ على قَلَنْسُوَة لها بذهب :

كَتَبَ الشُّوقُ فِي فَوَادِي كِتَابَا هَوَ بِالشُّوقِ وَالْهَوَى نَحْتُمُومُ
رَجِمَ اللَّهُ مَعَشَرَا فَارْقُوفِي لَا يُطِيعُونَ فِي الْهَوَى مَنْ يَلُومُ
سَاقَ طَرْفِي إِلَى فَوَادِي بَلَايَ إِنَّ طَرْفِي عَلَى فَوَادِي مَشُومُ

وكان على قَلَنْسُوَة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوبا :

أَنَا بَعْدَ الْقَضَاءِ سُمْتُ فَوَادِي وَأَصَبْتُ الْغَدَاةَ عَيْنِي بِعَيْنِي
لَمْ تَزَلْ بِي حَوَادِثُ الدَّهْرِ حَتَّى فَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ أَحَبُّ وَبَيْنِي
وكتبت جارية الحُجَابِ على قَلَنْسُوَة :

اللَّهُ يَحْفَظُهُ عَلَى شَحْطِ النَّوَى مَا كَانَ أَوْصَلَهُ إِلَى تَعَذُّبِهِ

(١) القلنسوة : نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئةا متشعبة . الديباج : الثوب الذي سده ولحمته حرير .

وكتبت جارية ابن السلمي على كرزها^(١) :

الشَّمْسُ تَطْلُعُ لِلغَيْبِ وَلَا أَرَى شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى الزَّمانِ يَغِيبُ
وكتبت بُنَّانُ الشَّاعِرَةِ عَلَى قَلَنْسُوءَ لِمَارِيَتِهَا :

إِنْ كُنْتَ خُنْتَ وَلَمْ أَضْمِرْ خِيَاتِكُمْ فَاقِهِ يَاخُذْ مِنْ خَانَ أَوْ ظَلَمًا
سَمَاحَةً مِنْ مُجِبِّ خَانَ صَاحِبِهِ مَاخَانَ قَطُّ حُبٌّ يَعْرِفُ الْكَرَمًا
وَاقِهِ لَا ظَهَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ وَلَا سَأَلْتُ مُسَكِّرُهَا شَوْقًا إِلَيْكَ دَمًا^(٢)

وقال الجاحظ : رأيت نشوان ، جارية زلزُل ، وعليها عصاة مكتوب عليها :
عَيْنٌ مَسْهُودَةٌ فِي مَائِهَا غَرِقَتْ يَا لَيْتَهَا ذَهَبَتْ لَوْ لَمْ تَكُنْ خُلِقَتْ
لَمْ تَذْهَبِ النَّفْسُ إِلَّا عِنْدَ لِحْظِهَا وَلَا بَكَتْ بَدَمٌ إِلَّا لِمَا أُرِقَتْ
يَا مُقَلَّةٌ سَوْفَ أَبْكِيهَا وَيَا كِيدًا بِهَا أَحَاطَ الْهَوَى وَالشُّوقُ فَاحْتَرَقَتْ
وكان على كرزها :

الحُبُّ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ ذَوِي الْهَوَى بِاللُّحْظِ قَبْلَ تَصَافُحِ الْأَجْفَانِ
قال : ورأيت على قَلَنْسُوءَ تَبْلُغُح :
أَهْلُ الْهَوَى فِي الْأَرْضِ تَلْقَافُهُمْ يَمْشُونَ أَحْيَاءَ كَأَمْوَاتٍ

وكتبت شاذن ، جارية خنت قيمة جوارى المأمون ، على وقاية تجمع
بها ذواتها :

يَيْفُضَاءُ تَسْجَبُ مِنْ قِيَامِ فَرْعَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ جَنْلُ أَسْحَمِ^(٣)
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مَظْلَمٌ

(١) الكرز : تاج ملوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر .

(٢) المارب : جمع المربة : مجرى الدمع .

(٣) فرع المرأة - شرها - جمل الشعر : كثرة التف والسود . أسحم : أسود .

وقال علي بن الجهم : حضرت مجلس بعض الظرفاء ، فخرجت علينا جارية كأنها تمثال ، وعليها عصابة قد أرسلت لها طرفين ، على صدرها مكتوب :

مَنْ يَكُنْ صَبًا وَفِيًا فَرِمَامِي فِي يَدَيْهِ
خُذْ مِلِكِي بَعْنَانِي لَا أَزَعُكَ عَلَيْهِ

قال : فوثبتُ فأخذتُ بطرفي العصابة وقلت : أنا والله صبٌّ ، وأوفى خاق الله لحبِّ ، قالت : إنه لا بد للفرس من سوط ، قلت : يا غلام ، هات السوط : قالت : هيهات إذاك سوط الدواب ، وسوط مثلي شبيهه^(١) فضة وعلاقته ذهب .

وكان على قلنسوة زين مغنية اسماعيل :

أَقِيمْ عَلَى الْأَصَالِ مَتَنظَرًا لَهَا وَتَدَّ أَشْرَفَتْ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ عَلَى نَجِي
أَمُوتْ وَأَسْتَحْيِ الْهَوَى أَنْ أَدُمَّهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبٍ
وَقَالَ الزبير بن بكار : رأيت على قلنسوة بعض المغنيات :

أَدَمَيْتَ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتْهَا فَاقْصُ نَاطِرُهَا مِنَ الْقَلْبِ
وَعَلَى عَصَابَتِهَا :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِهَا أَخْرَجَتْهَا عَطْلًا مِنَ الذَّنْبِ
وَقَالَ الماوردي : رأيت جارية لبعض ولد المأمون ، وعليها قلنسوة عليها مكتوب :

يَا تَارَكَ الْجِسْمَ بِلَا قَلْبٍ إِنْ كَانَ يَهْوَاكَ فَا ذَنْبِي
يَا مَفْرَدًا بِالْحَسَنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بَطُولُ الشَّوْقِ وَالْكَرْبِ
وَعَلَى كَرَزَنَ لَهَا :

أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرُءُ بَطُولُ رُقٍّ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ عِبْدٍ خِلَافٌ

(١) الشيب : سِر السوط .

قال : ورأيتُ على جاريةٍ لأبي كَرَزَنًا مكتوبًا عليه :

عَذَبَهُ بِالْهَجْرِ مَوْلَاهُ وَزَادَهُ شَوْقًا وَأَضْنَاهُ
فَدَمَعُهُ يَجْرِي عَلَى خَدَّوْهُ وَلَمْ تَنْمَ لِلْوَجْدِ عَيْنَاهُ
فَدَكَّتْ بِالْحُبِّ عَلَى قَلْبِهِ : مَتَ كَمَدًا بِرَحْمِكَ اللَّهُ

وكتبت جارية لعيسى بن جعفر بن المنصور، وكانت قيمة له، على كَرَزَنَها :
لَيْتَ الْقَبَابَ عَلَى الْقَبَاحِ مُحَرَّمٌ وَعَلَى الْمِلَاحِ خَطِيئَةٌ لَا تُنْفَرُ
وكتبت على وقاية يجمع بها ضفائرها :

جَزَى اللَّهُ الْبَرَّاقِعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنْ الْعَيْنَيْنِ شَرًّا مَا يَهِينَا
يُغَطِّيَنَّ الْمِلَاحَ فَلَا تَرَاهُمْ وَيَسْتُرَنَّ الْقَبَاحَ فَيَسْتَوِينَا
وكتبت عارم، جارية جناح، على كَرَزَنَها، وكانت تتعشق بعض ولد
الحسن بن وهب :

وإِنِّي لَا خُلُوَ مَذْهَبُكَ دَائِبًا فَأَنْقَشُ تَمَثَّلًا لَوَجْهِكَ فِي التُّرْبِ
فَأَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَأَبْكِي تَهَضُّعًا إِلَيْهِ كَمَا يَبْكِي الْعَبِيدُ إِلَى الرَّبِّ
وكتبت ابنة الرُّصَافِيَّةِ، وكانت تتعشق ابن الرشيد، على كَرَزَنَها :

قَالُوا بِعَلَيْكَ سَبِيلُ الصَّبْرِ، قُلْتُ لَهُمْ : هِيَاتِ أَيْنَ سَبِيلُ الصَّبْرِ قَدْ ضَاوَأَ؟
مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ حِينَ يُنْصَرُّهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ مُشْتَاقًا
قال الفضل بن الربيع : قال أبي : رأيتُ على عصابة دُبَيْيَةَ جَارِيَةٍ
أَبَى حَرْبٍ :

تَحَايَنَ وَجْهَكَ تَمَحُّو الذُّنُوبَا وَتَعْمَلُ فِي الْقَلْبِ شَيْئًا عَجِيبَا
فَرَبِّ نَمَّ تَهْجُرُنِي ظِلْمَا تَجْنَى وَتُخْفِي عَلَى الذُّنُوبَا

وكتبت شمس الطنبورية على عاصبتها ، وكانت تغني الرشيد :
 لَا لِصَبْرٍ هَجَرْتُكُمْ عَلِمَ اللَّهُ وَلَكِنْ لِشِدْقِ الْإِشْتِيَاكِ
 رُبُّ سِرٍّ شَارَكْتُ فِيهِ خُمَيْرِي وَطَوَاهُ اللِّسَانُ عِنْدَ التَّلَاقِ
 وكان على قلنسوة شمائل جارية الماهانية :

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظِلَامُهُ فِي اللَّيْلِ سَارِي
 فَالنَّاسُ فِي سَدَفِ الظَّلَا مِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ^(١)

وكان على كَرَزَن مُشتاق ، جارية اسحاق بن علي الهاشمي ، مكتوبا بالذهب سطران :

إِنْ كَانَ قَلْبِي يَهْوِي وَصَلَ غَيْرِكُمْ إِذَا فُصِّلَ بَيْنِي الرَّحْمَنُ فِي بَصَرِي
 أَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ مَاعِشْتُ ذَا كَلْفٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِي يَاسِيدِي خَدْرِي^(٢)
 وكان على عاصبتها مكتوبا بالذهب :

مَا كُنْتُ إِلَّا حُلْمًا رَأَتْهُ عَيْنِي فِي الْوَسَنِ^(٣)
 يَا مِمِجَحَ الْفِعْلِ وَيَا أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ

٤٤ - باب ما وجر على الزنابير

والتسكك والمناديل

قال علي بن الجهم : رأيت في منطقة واجد الكوفية زُنَّاراً^(٤) مفسوجاً مكتوب فيه :

لَسْتُ أَذْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى^(٥)

(١) السيف : الخالصة . (٢) الحذر : تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة .
 (٣) الوسن : النعاس . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) قَلَّى على فراشه : تفلل .

لو تفرغت لاستطالته لَيْسَ لِي وَلِرَغْمِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخْلًا
ورأيتُ جارية في بيعة ماري مَرَّتْ في دار الروميين بمدينة السلام، كأنها
فلقة قر خارجة من الهيكل ، في وسطها زُناز على بيتان :
زُنازها في خَصَرِها يَطْرَبُ وريحها من طيها أَطْبُ
وَوَجْهها أَحْسَنُ من حَلِيها ولونها من لونها أعجبُ
وقرات في زُناز وقاية لبعض القصريات :
أليس عَجِيبًا أَنْ يَتَّضِعَ لِي وَإِنَّا لَا نَخْلُو وَلَا تَتَكَلَّمُ
ورأيت جارية أبلية لبعض الختتين ، وقد علفت طبلًا في عنقها بزناز
عليه مكتوب :

أَوْتَا مِنْ بَدَنِي كُلِّهِ قُتَّ مَنِّي مَفْضِلًا مَفْضِلًا

وعلى نكتها مكتوب :

فَأَبْرَأَ قَاضِي الْجِسْمِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ لَهُ قِيًّا^(١)
واخجلنا منهم ومن قولهم : مَا ضَرَّكَ الْبُعْدُ لَنَا شَيْئًا
بِأَيِّ وَجْهِ أَتَلَقَّاهُمْ إِذَا رَأَوْنِي بَعْدَهُمْ حَيًّا
وكان على نكتة هاتف جارية العاجي مكتوبًا :

وَلِي عَاذِلٌ قَدْ شَفَّ قَلْبِي بِعَذَلِهِ وَوَأَشْرِي بِبَيْلِ الْحُبِّ يَرْمِي مَقَاتِلِي
كُنِّي حَزَنًا، والحمد لله، أَنَّنِي تَقَطَّعَ قَلْبِي بَيْنَ وَاشٍ وَعَاذِلٍ
وكتبت خاضع المغنية على زناز كانت تشد به طرثها :
مَا أَتَيْتَ الْمَشُوقَ فِي نَفْسِهِ وَأَبَيْنَ الذَّلَّ عَلَى الْعَاشِقِ

وأخبرني من قرأ على طرفي نكته لعينة :

ما أراي حلت النكته إلا لمناك
وإتما خلتي للنكته إنجكز العداك

وأخبرني آخر أنه قرأ على نكته لبعض المواجن :

إقطع النكته حتى تذهب النكته أصلاً
ثم قل للردف أهلاً بك ياردف وسهلاً

وكتبت سلم جارية لم إلى قتي كانت تحبه في منديل ديبقي بالذهب :

هاً ندأ يسقطني لليل
عن فرشي أفسس عوادي
لو يجد السلك على دقة
خلقاً لأضحي بعض حسادي

وكتبت إليه في منديل آخر :

لا تسأل كيف حالي بعد فرقتكم
ها فأنظري وأجلي طرف تمتحن
تري لي لم يدع مني ميوى شبح
لو لم أقبل ها أنا للناس لم أين

وقرات على منديل لبعض الطراف ، وقد أدرج فيه كتابا :

وإني لتشتاني لذكرائك فترة
كما انتفض المصفور بلاء القطر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما ينتاسكن الدهر

وكتب آخر على منديل :

إن بعض العتاب يدعو إلى العتاب ويؤدي به الحبيب الحبيب
وإذا ما القلوب لم تضر السحب فلن يعطف العتاب القلوبا

وأخبرني من رأى على منديل مسك لبعض الطراف :

أنا مبعوث إليكم أنس مولاتي لديك

صَنَنْتِي بِسِدِّهَا فَاَمْسَحِي بِي شَفَتَيْكَ

وكتب آخر على منديل أهدها :

أَنَا مَسْدِيلُ حُبٍّ لَمْ يَزَلْ نَاشِئًا بِي مِنْ دُمُوعِ مُقَلَّتَيْهِ

ثُمَّ أَهْدَانِي إِلَى مَحَبَّتِهِ نَمْسَحُ الْقَهْوَةَ بِي مِنْ شَفَتَيْهِ

وقرأت على منديل لبعض الطراف :

إِنْ يَكُنْ حَبْلُكَ مِنْ حَبْلِي وَهِيَ وَإِلَى شَوْقِي إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى

لَمْ يَذْكُرْ نَبِيَّكَ شَوْقٌ حَادِثٌ إِنَّمَا يَذْكُرُ مَنْ كَانَ سَهَا

وكتبت أسماء بنت غضيض، جارية خُدونة ابنة المهدي، على نكتها

من الوجهين :

جَلَدْتُ عَلَى أَعْظَمِ دِقَاقٍ مَسَكْنُ أَنْفَاسِهِ التَّرَاقِي

تَوَقَّدُ أَحْشَاؤُهُ فَيُطْفِئُ حُرْقَتَهَا هَاطِلُ الْمَسَاقِي

لَوْلَا تَسْلِيهِ بِالتَّبَسُّكِ إِذَا جَنَيْنَاهُ بِالنَّحْرَاقِ

يَلَرَّبُ عَجَلُ وَفَاةٍ رُوحِي قَبْلَ مَجْجُومِي عَلَى الْفِرَاقِ

وكتبت على منديلها :

إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْعَاتِبِ الْمُذْنِبِ

صَدِّ بِلَا جُرْمٍ، وَلَوْ قَالَ: لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ، لَمْ أَشْرَبِ

وكتب آخر على منديل أهدها :

أَيَا مَنْ لَا أَرْجِي مِنْهُ رَحْمًا وَلَا مِنْ رَقْعِهِ مَا عِشْتُ عِتْقًا

لَقَدْ أَقْنَدْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ حَتَّى بَكَيْتُ دَمَا لِفَقْدِكَ لَيْسَ بِرَقَا

وكتبت عتبان، جارية النطاف، على منديل وجهت به إلى أبي نواس، وكانت تحبه :

أما يُخْشَى مَنْ أَحْسَنَ أَنْ يَنْضَبَ أَنْ يَرْضَى
أما يَرْضَى بَأْسَ صِرْ تٌ عَلَى الْأَرْضِ لَهُ أَرْضًا

٤٥ — باب ما وجر على القصور والو-ائر

واليسط والمرافق والمقاعد

قال علي بن الجهم : قرأتُ على سِترٍ لبعض أمهات ولد المأمون :
هَجَرْتَنِي كَيْ أَجَارِيَكُمُ بِفَعْلِكُمْ لَا تَهْجُرْنِي فَإِنِّي لَا أَجَارِيَكِ
قَلْبِي مُجِبٌ لَكُمْ رَاضٍ بِفَعْلِكُمْ إِسْتَرْزَقَ اللَّهُ قَلْبُ لَا يُجَارِيَكِ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لِأَذَقَ أَهْلَ دَارِكُمْ وَكُنْتُ فِيهَا مَضَى مَوْلَى مَوْلَا إِلَيْكَ
وكتب بعض ولد المتوكل على ستره :

يَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ فِيهَا لِأَصْرَفَهَا أَكْثَرَتْ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ
إِرْجِعْ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِنْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عُلُوٌّ
وكتب موسى الهادي بن المهدي على ستره :

يَا أَيُّهَا الرَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الْهَوَى لَيْسَ يُورِثُ الدَّقْمَا
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِكَ الْغَدَاةَ لَمَّا لُمْتُ مُجِبًّا إِذَا شَكَا أَلَمَا
وكتب بعض الظرفاء على غِندَةِ له :

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ عَمَّنْ شَفَعَهُ الدَّقْمُ وَهَدَهُ فَلَقَى الْأَحْزَانَ وَالْأَلَمَ
جُدْ بِالْوَصَالِ لِمَنْ أَمِيتَ تَمْلِكُهُ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
أخبرني من قرأ على غِندَةِ لبعض الظرفاء :

لَمْ أَذُقْ يَا سُولَ قَلْبِي لِلْكُرَى مُذْ غَيْتَ طَعْمَا
تَرَكَ الدَّمْعُ عَلَى خَدِّي لَمَّا قَاضَ رَسْمَا

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب :

تشكى المحبون الصبابة ليتي تحملت ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت لروحى لذة الحب وحدها فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

وأخبر بعض الكتاب أنه قرأ على بساط لبعض أهل الهوى :

أحسن من قهوة وعود توريد خديك يا وصيد
نأيت عني فذاب جنى وهذب الشوق والصدود
وطال سقني لبعدي حي وملني الأهل والبعيد

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا مقدم
أجد الملامة في هواك لذينة حبا لذكرك فليلمني اللوم
وأهنتني فأهنت نفسي عامدا ما من يهون عليك بمن أسكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ صار حظي منك حظي منهم

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه :

سامع عني أن تلذ بطرفة واشغلها بالدمع عن كل منظر
وأشكر قلبي فيك حسن بلائيه أليس به أفاك عند التذكر

وكتب بعضهم على بساط :

كنت حبيهم صونا وتهكرا فما يرى غير إضماري به وم
قوم بذلك لهم صفو الوداد جازوا عليه ولا كافوا ولا رجوا
هم علموني البكال أذقت قدهم ياليتهم علموني كيف أبقيهم

٦٦ - باب ما روي على المناس والمجل

والأسرة والكلل

قرأت على كلة معصرة^(١) لبعض الكتاب بالذهب :

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتِي أَبْكِ وَتَبْكِينَ مِنَ الطُّولِ

عَدُوَّ عَيْنِكَ وَشَاكِهَها أَصْبَحَ مَشْغُولًا بِمَشْغُولِ

وأخبرني بعض الظرفاء أنه قرأ على منصة لبعض أعيان :

تَقُولِ، وَقَدْ جَرَدْتَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا: أَلَسْتَ تَخَافُ الْيَوْمَ أَهْلَكَ وَأَهْلِي؟

فَقُلْتُ: كَلَّا نَا خَافْتُ بِكَاهُ، فَهَلْ هُوَ إِلَّا قَتَلْتُكَ الْيَوْمَ أَوْ قَتَلِي؟

وقرأت على كلة حرير اسماء بنو بالذهب :

سَهَرْتُ وَعَافَقْتُهَا لَيْلَةً عَلَى مِثْلِهَا يَحْتَسِدُ الْحَاسِدُ

كَأَنَّا جَمِيعًا وَثُوبُ الدُّجَا عَلَيْنَا لِيُضِرَّنَا وَاجِدُ

وقرأت على كلة لبعض الظرفاء :

قَبِئْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسَدِ وَيَنْتَسَا حَدِيثَ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبَ بِهِ الْخَر

حَدِيثُ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ يُوحَى بِنَعْضِهِ لِأَصْبَحَ حَيًّا بَعْدَ مَا ضَمَّهُ الْقَبْرِ

وقرأت على وجه أريكة لبعض الهاشميين :

جَلَلَتْ نَحْلَةَ الْبُلُوْى قَوَادِي وَسُلْطَتِ الشَّهَادَ عَلَى رُقَادِي

دَعَيْنِي لَا أَبُوحُ بِكُلِّ وَجْدِي أَلَيْسَ النَّارُ مِنْ طَرَفِي زَنَادِي

وَبَتْ خَلِيَّةٌ وَسَلَبَتْ نَوِي أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سَهَادِي

(١) المناس : جمع المنصة : الكرسي ترفع عليها العروس في جلالتها ، أو الثياب المرفوعة والفرش الموطأة . المجمل : جمع الحجة : السر يضرب العروس .

(٢) الكلل : جمع الكلة : السر الرقيق ، غشاء رقيق يحاط كالبيت يتوق به من البعوض ، ويرف بالناموسية .

(٣) صفر الثوب : صبغه بالعففر ، وهو صبغ أصفر اللون .

وكتب بعض الطرفاء على حَجَلَةٍ له معصرة بالذهب :
دعني أمت والشمْلُ لم يَتَشَعَّبِ ولا تَبْعُدِي أَفْدِيكَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ
سقى الله لِيلا ضَمْنَا بَعْدَ هَجَعَةٍ وأدقِ قوادًا من قوادِ مُعَذِّبِ
فَبِنَّا جَمِيعًا لو تَرَاقى رُجاجةٌ من الرّاحِ فيما بيننا لم تُشْرَبِ

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ على حَجَلَةٍ مكتوبا :
نَشَرْتُ عَلَى غَدَائِرًا من شَعْرِهَا حَذَرَ الْفَضِيحَةِ والعدوِّ الْمُؤَبِّقِ (١)
فُكَّاهُ وَكَأَنِّي وَكَأَنِّي صُبْحَانِ بَأَنَّا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ
ودخلتُ على بعض الكتاب في يوم شديد الحرّ ، وهو على دكان ساج
مكتوب في وجهه بِاللَا زُورْد :

حَرُّ حُبٍّ وَحَرُّ هَجَرٍ وَحَرٌّ أَيْ شَيْءٌ يَكُونُ مِنْ ذَا أَمْرٍ
وعلى الجانب الآخر :

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ حُبٌّ عَلاَقَةٌ وَحُبٌّ يَمْلَأُ وَحِبٌّ هُوَ الْقَتْلُ (٢)
وأخبرني بعض من قرأ حول سرير لبعض الطرفاء :

وَبَجْدُولَةٍ أَمَّا بِجَالٍ وَشَاكِهَا فَتُضَنُّ وَأَمَّا رَدْفُهَا فَكُتِيبُ
لَهَا الْقَمَرُ السَّارَى شَقِيقٌ وَإِنِّهَا تَطْلُعُ أَحْيَانًا لَهُ قَيْغِيبُ
أَقُولُ لَهَا ، وَاللَّيْلُ مُرَخٍّ سُدُولُهَا عَلَيْنَا : بِكَ الْعَيْشُ الْحَسِيسُ يَطِيبُ
هَعَالَتْ : نَعَمْ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرُنَا يَبْغِدَادَ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ خَيْبُ

وكتب بعض الطرفاء على سرير له آبنوس بعاج :
إِنَّ طَيْفَ الْخِيَالِ أَرْقَى عَيْنِي مَا لِعَيْنِي وَمَا لِطَيْفِ الْخِيَالِ

(١) التندائر : جمع التندرة ، التندوة ، الضفيرة . المؤبق : المهلك .
(٢) العلاق : التودد والتذلل والابداء بالسان من الأكرام والود ما ليس في القلب .

جَمَعَ اللهُ بَيْنَ كُلِّ مُحِبٍّ قَدْ جَفَّاهُ الْحَبِيبُ بَعْدَ الْوَصَالِ
وَكُتِبَ عَلَى مَنْصَتِهِ بِالذَّهَبِ :

يَنَامُ الْمُسْعِدُونَ وَمَنْ يَلُومُ وَتُوقِظُنِي وَتُوقِظُهَا الْهُومُ
صَحِيحٌ بِالنَّهَارِ لِمَنْ يَرَانِي وَلَيْلِي لَا أَنَا مُ وَلَا أُنِيْمُ

٤٧ — باب ما يكتب على الخماسة والأبواب

ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علي بن الجهم : رأيت في صدرة مكتوباً بألوان فصوص منضدة^(١) :

لَا تُطِيعُ النَّفْسَ فِي السُّلُوِّ إِذَا أَحْبَبْتَ حَتَّى تُذَيِّبَهَا كَمَدًا
مَنْ لَمْ يَذُقْ لَوْعَةَ الصُّدُودِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الذَّلِّ وَالشَّقَا أَبَدًا^(٢)
فَذَلِكَ مُسْتَطَرَفُ الْقَوَادِ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَجَابَهُ جَدَدًا

وأخبرني أبو جعفر القاري قال : أخبرني بعض شيوخنا أنه قرأ في

صدر مجلس لأمير المؤمنين المأمون :

هَلْ مِنْ هَوَيْتٍ وَدَغَ مَقَالَةٍ حَاكِدٍ لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدٍ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا أَزْرُ الْهَوَى مُتَوَسِّدَيْنِ بِمَعْصَمٍ وَبِسَاعِدٍ
هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَالْسِدِ هَلْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى

وقرأت على وجه مستنظر لبعض الكتاب :

هَبَّتْ شِمَالٌ قَلَّتْ مِنْ بَلَدٍ أَنْتَ بِهِ طَابَ ذَلِكَ الْبَلَدُ
وَقَبْلَ الرِّيحِ مِنْ صَبَابَتِهِ هَلْ قَبْلَ الرِّيحِ قَبْلَهُ أَحَدُ

(١) منضدة : ضم بعضها الى بعض (٢) الروع: حرة الحزن والهوى والوجد .

وأخبرني أحمد بن الحسين بن النجّم المقرئ أنه قرأ على مستنظر لبعض الكتاب :

لى إلى الريح حاجة لو قَضَتْها كنت للريح ما حَيَّيتُ غُلَامًا
حَجَّبوها عن الرِّيحِ لَأَنِّي قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا
لو رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانِ وَلَكِنْ مَنَعُوها يَوْمَ الرِّيحِ السَّكَلَامَا
أخبرني عبد الحميد اللطفي أنه قرأ على باب مجلس بمطبعة :

لَا يَمْتَنِعُكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعْوَى نَزُوعِ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ (١)
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ
وفي صدر المجلس أيضا مكتوب :

إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ غَرِيبًا فَرَجِّهَا وَلَا تَكْتَرِثْ فِيهَا نَزُوعًا إِلَى الْوَطَنِ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مَنَلُ بَلَدَةٍ وَخَيْرُهَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ
وقرأت على باب دار خدشاً في المص بعود :

مَلَأَ رَحْمَتُ مَوْهَبِي بِفِنَائِكُمْ مَتَرَضًا لِنَسِيمِكُمْ أَنْتَشَقْ
مَتَلَدًا أَبْكِي لِمَا قَدْ حَلَّ بِي مِثْلَ الْفَرِيقِ بِمَا يَرَى يَتَعَلَّقُ (٢)
وأخبرني صديق لي أنه قرأ على باب دار بالحجاز :

يَا دَارُ إِنْ غَزَا لِي فِيكَ عَذْبِي فَهْ دَرَكِ مَا تَحْوِينَ يَا دَارُ
الدَّارُ تَمْلِكُنِي وَيَحْيِي وَصَاحِبُهَا قَلْبِي مَلِيكَانِ رَبُّ الدَّارِ وَالدَّارُ
يَا دَارُ لَوْ لَا غَزَا لِي فِيكَ تَعْلَقُنِي مَا كَانَ لِي فِيكَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

(١) خفض العيش : سهل وكان هيناً . الدعة : الراحة وخفض العيش : نزول إلى أهله : اشتاق

(٢) المتلد : التحير ، التلفت يمينا وشمالا .

وأخبرني من قرأ على باب دار باصطخر منقوشاً بحجر :
أرى الدَّارَ مِنْ بَعْدِ الْحَبِيبِ وَلَا أَرَى حَبِيبِي مَعَ الْبَاقِينَ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ^(١)
فِيَا عَجَبًا إِذْ فَارَقَ الْجَارُ جَارَهُ أَلَيْسَ شَدِيدًا فُرْقَةُ الْجَارِ لِلْجَارِ

٤٨ - باب مما وجد للمخترفات والقراف

مكتوباً على النعال والخفاف

قال الماوردي: كتبت جارية للمارقى على نعلها بالذهب :
لَمْ أَلْقَ ذَا شَجَنِ يَنُوحُ بِحَبِّهِ إِلَّا حَسِبْتُكَ ذَلِكَ الْمَحْبُوبَا
حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَاقٍ أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبَا
وكان على نعل جارية سعيد الفارسي :

لَا تَأْتَنَنَّ مِنَ الْخَضُوعِ لِيَنَّ تَحِبُّ وَدَارِهِ
إِخْضَعْ لَهُ فَلَطَالَمَا مُلِكْتَ حَلًّا لِزَارِهِ

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوى بذهب .
وَلَا إِنِّي لِأَشْفَاقِي عَلَيْكَ وَصَبُوتِي إِلَيْكَ كَأَنِّي فِي الْمَنَامِ أَرَاكَ
تُحَدِّثُنِي نَفْسِي إِذَا غَبَتِ سَاعَةٌ بِأَنْ لِقَاءَ الْمَوْتِ دُونَ لِقَاءِكَ
وكتبت ميم المغنية على نعلها :

أَقْسَمْتُ مُقْلَتُهُ لَا تَقْتَنِي عَنْ قَوَادِي أَوْ تَرَاهُ قَطْعًا
فَلَقَدْ بَرَّتُ قَهْلٌ مِنْ مَطْمَعٍ أَنْ تَرَى مَا قَطَعْتَ مُجْتَمَعًا ؟

وأهدى سعيد بن حميد نعلًا إلى صديق له وكتب عليها :
نَعْلٌ بَعِثْتُ بِهَا لَتَلْبَسَهَا قَدَمٌ بِهَا تَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أَشْرَكَهَا خَدَى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدَى^(٢)

(١) العرصة : ساحة الدار . (٢) شرك التعل : جعل لها شركاء ، والشراك : سير التعل .

وكتبت جارية على بن عيسى بن يزيد، كاتب اسحاق بن ابراهيم، على خفيها :
 نُؤْلِمُهُ الْأَلْحَاطُ لَمَّا بَدَا محتجبا عن لحظات العباد
 مَنَزِلُهُ فَكَمْ وَلَكِنَّهُ يَسْكُنُ مِنِّي فِي سَوَادِ الْفَوَازِ
 وأهدى بعض الكتاب نعلا وكتب على شراكها :

لِي فَوَازٌ شَفَعَهُ الْحَزَنُ ن وَأَضْنَاهُ الصَّدُودُ
 وهوأي كل يوم هو يَنْحِي وَيَزِيدُ

وكتب بعض الطرفاء على خف له محالسي بالذهب :

لَوْلَا شِقَاؤُهُ جَدَّى مَا عَرَفْتُمْ إِنْ الشَّقَى الَّذِي يَشْقَى بِنِ عَرَفَا^(١)
 طَافَ الْهَوَى بِعِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا
 وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الطرفاء عليها مكتوب :
 يَا بِي أَنْتَ سَيِّدِي وَمَتَايَ جَعَلَ اللَّهُ وَالَّذِي فِدَاكَ
 لَكَ خَدْيٌ مِنَ الثَّرَى لَكَ نَعْلًا قَدْ لِلنَّعْلِ مِنْ فَوَادِي شِرَاكَ^(٢)
 وقرأت على نعل سندی مدهون :

جَعَلْتُ خَدْيِي لَهُ أَرْضًا قَلْتُ : طَأْمَنْ فَوْقَهَا وَأَرْضِي
 قَال : لَا تَخْلُتْ : بِلِي سَيِّدِي صَبْرًا عَلَى الْحُبِّ وَإِنْ مَضَا^(٣)

٤٩ - باب ما يكتب بالخط في الرواة والبرشام^(٤)

وعلى الأقدام والراح^(٥)

كتبت ذويت جارية حمدونة على وطأتها اليمنى :

إِعْلَمِي يَا أَحَبُّ مِنِّي إِلَيَّا أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ يَقْضِي عَلَيَّا

(١) الجذ: الحظ. (٢) قدالتى: قطعه طولاً. (٣) مض: ألهو أوجع. (٤) الرواة: موضع القدم. الرشح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشبه المرأة بين عاتقها وكعبيها. (٥) الراحة: باطن اليد.

وعلى اليسرى :

إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رَجُوعًا إِلَيْكُمْ لَمْ أُعِدْ لِلْفِرَاقِ مَا دُمْتُ حَيًّا
وَكُتِبَتْ لِبَنِي جَارِيَةِ عَبَّاسِ النَّدِيمِ عَلَى رَاحَتِهَا بُكٌّ^(١) وَعَبْرٌ فِي الْيَمْنَى :

وعلى اليسرى :

لَا أَبْتَغِي سُقْيَا السَّحَابِ لَهَا فِي عَبْرَتِي خَلْفَ مِنَ السَّقْيَا^(٢)
وَكُتِبَتْ جَارِيَةِ السَّعْدِيَّةِ عَلَى رَاحَتِهَا الْيَمْنَى بِالْحَنَاءِ :

رَفَعْتُ لِلْوَدَاعِ كَفًّا خَضِيًّا فَتَقَبَّلْتُهَا بِدَمْعٍ خَضِيبٍ
وعلى اليسرى :

وَأَشَارَتْ إِلَى غَزَا بِحَقٍّ نَعْتُهُ مَثَلُ فِضْلِهِ فِي الْقُلُوبِ
وَكُتِبَتْ جَارِيَةِ ابْنِ السَّاحِرِ عَلَى وَطْأَتِهَا الْيَمْنَى :

وَمَا أَنَا عَنْ قَلْبِي بِرَاضٍ لِأَنَّهُ أَشَاطَ دَمِي مِمَّا أَتَى مُتَطَوِّعًا^(٣)

وعلى اليسرى :

تَمَنَّى رَجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَسْمَعَا
قَالَ الْمَاورِدِيُّ : رَأَيْتُ عَلَى رَاحَةِ قَائِدٍ ، جَارِيَةٍ لِبَعْضِ جَوَارِي الْمَأمُونِ ،
الْيَمْنَى بِالْحَنَاءِ :

فَدَيْتُكَ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى هَوَاكَ قَلْبِي مَا يُنَازِعُنِي سِرْوَاكَ^(٤)

وعلى اليسرى :

أَحْبَبُكَ لَا يَبْعُضُنِي بَلَى بِكُلِّي وَإِنْ لَمْ يَبْقَ حَبْلُكَ مِنْ جَرَاكَ

(١) السك : ضرب من الطيب (٢) الخلف : البدل والعوض (٣) أشاطه : أحرقه
(٤) جبل : خلق وفطر

وقرأت في كُفٍّ جارية بالنقش :

إذا قيل : ما تشكو؟ أشار إلى الحشا
فأول ما تشكو وآخره الهجر
فيا ليت قلبي صار صخرًا كقلبه
ولم يبله الشوق للمبرح والفكر^(١)
وأخبرني من رأى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت في وشاحها وقدميها:
عزموا المقامة أم تراهم أزمعوا
يا طول وجدى إنهم لم يربعوا^(٢)
ومراة للبين تحبب أننا
شمس على غصن يغيب ويطلع^(٣)
كتبت إلى على شقائق خدها
سطرًا من العبرات : ماذا تصنع ؟
فأجبتها بلسانٍ صديقٍ ناطقٍ :
ما في الحياة من التفرق مَطْعُ

وكتبت الماهانية على كفّ جاريتهَا شِكْرِيخَ بالخناء :

أبي الحب إلا أن أكون معذبًا
ونير أنه في الصدر إلا تلها
فواكيدًا حتى متى أنا واقفٌ
بيابِ الهوى ألقى الهوان وأنصبا

٥٠ - باب ما يكتب على الجبين والقدم

ويطرف^(٤) به ذوو الصباية والوجد

قرأت على جبين جارية لنخاس بالعالية^(٥) وقد أخرجها للعرض :
وشادن أحسن خلق الله
في كفه سيفُ رسول الله^(٦)
قد كتب الحسنُ على وجهها
سطينَ بالعنبر باسم الله
على يدي رضوانٍ منسوجةٍ
صنعةُ حسنٍ في طراز الله

(١) المبرح : المتعب ، الترمج (٢) ربيع المكان : أقام . (٣) المراة : من خامرها الحرف . البين : الفرة (٤) أطرفه بكذا : أتعبه به . (٥) النالية : أخلط من الطيب . (٦) الشادن : ولد الطيب ، والمراد : جارية ترمعت .

أنا غريقٌ في بحار الهوى شبه قتلٍ في سبيل الله
وأخبرني من رأى على جبين جارية نخاس مكتوباً في سطرين :
إذا حُجِبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ قَدْ هَا وتكفيك قَدْ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
وحسبك من خمرٍ تفوتك ريقها ووالله مامن ريقها حسبك الخمرُ
وقال علي بن الجهم : رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران
الكاتب مكتوباً بالمسك :

رَضِيتُ عَلَى رَغْبِي بِحُبِّكَ فَأَعْدِلْ وَلَا تُسْرِقْ إِذَا صَارَ فِي يَدِكَ الْحُكْمُ
مَتَى يَظْفَرُ الْمَظْلُومُ مِنْكَ بِحَقِّهِ إِذَا كُنْتَ قَاضِيَهُ وَأَنْتَ لَهُ خَصْمُ
قال المازني : كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية :
صِرْمَتِي ثُمَّ لَا كَلَمْتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خَشْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ (١)
وَلَا هَمَّتْ وَلَا نَفْسِي تَحَدَّثَنِي قَلْبِي بِذَاكَ وَلَا يَجْرِي عَلَى بَالٍ
وقال الجاحظ : كتبت مؤلف جارية الصخرى على جبينها :

وَمَحْسُودٌ بِالْحَسَنِ كَالْبَدْرِ وَجْهَهَا وَالْحَاضِ عَيْنَيْهَا نَجْمُهَا وَتَهْلُمُ
مَلَكْتُ عَلَيْهَا طَاعَةُ الشُّوقِ وَالْهَوَى وَعَلِمْتُهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْهُ تَعْلَمُ
قال : وقرأت على جبين قينة بالسكر مكتوباً بغالية وعنبر :
يَا قَرَأَ لَاحَ فِي الظَّلَامِ عَلَيْكَ مِنْ مُقَلَّتِي السَّلَامُ

وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك :
الْعَيْنُ تَفْقَدُ مَنْ تَهْوَى وَتُبْصِرُهُ وَنَاطِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنْ النَّظَرِ
وظلوم هذه كان يحبها العباس بن الأحنف ، وفيها يقول :

إِنِّ بِالْكَرْخِ مِنْزَلًا لَفَزَالِ
وَالْمُحْيَى قَائِدِي إِلَيْهِ وَشَوْقِي لَيْسَ بِالشَّوْقِ وَالْمُحْيَى لِي يَدَانِ
لَسْتُ أَنْسَاكَ يَا ظَلُومُ وَعَهْدِ السُّلْهِ حَتَّى أَلْفَ فِي أَكْفَانِي
فَتَنِي بِي فَأَنْتِ أَعْرَفُ مِنِّي بِحِفَاطِي فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٥١ - باب ما يطلع به النفع والترح والمستقبليات

ويُعدّل به تنزيه الورد والياسمين والخيريات

أخبرني بعض شيوخنا من الكتّاب بالسكر قال : قرأتُ على طَبَقَيْنِ
أهدأهُمَا بعضُ الثُّرْسِ إِلَى بعضِ الكُتَابِ ، قد نُضِدُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ السُّوسَنِ
وَالْيَاسَمِينِ وَالشَّقَاتِقِ وَالرِّيَاحِينَ ، عَلَى أَحَدِهِمَا مَكْتُوبٌ :

شَادَنُ رَاحٍ نَحْمَرُ رَحَةَ مَاءٍ مُسْرِعًا وَجَتَاهُ كَالْتَفَاحِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَضْدَرَّهُ الْمَاءُ فِي غِلَالَةِ رَاحٍ

وعلى الآخر :

رَقٌّ حَتَّى حَبِيبَتُهُ وَرَقٌّ أَلْوَرُ دَيْدِيَا يَرْفُ فِي بَيْنِ الرِّيَاضِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَلْبَسَهُ الْمَاءُ مُخْمَرَةً فِي بَيَاضِ

قال : ورأيتُ بَيْنَ يَدَيِ بعضِ الكُتَابِ طَبَقَ وَرْدٍ أَحْمَرٍ مَكْتُوبٍ

فيه بِالْأَبْيَضِ :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ يُعْجِبُهُ زَهْرُ الرَّيِّعِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا عَجَائِبَهَا وَرَاحَتِ الرَّاحُ فِي أَنْوَاعِهَا الْجَدِيدِ

وأخبرني من رأى طبق ربحان مكتوب في دَوْرِهِ بِياسمين ونِسرين: ^(١)
 فَأَرْجُ رُبحانَ بِمِسكِ وَعَنْبِرٍ بِسَدِّ وَكَافُورٍ بِقُحْضَةٍ بِكَنْ ^(٢)
 بِأَطْيَبَ رِيًّا مِنْ حَبِيٍّ لَوْ أَتَيْتِي وَجَدْتُ حَبِيٍّ خَالِيًّا بِمَكَانٍ ^(٣)
 وقرأت في تفلج أترجة أهديت لبعض الظرفاء:

هِيَ فِي الْعَالَمِ كَالشَّمْسِ أَضَاءَتْ فِي الْبِلَادِ
 وَهِيَ فِي كُلِّ كَمَالٍ قَدْ عَلَتْ فَوْقَ الْعِبَادِ
 راخبرني من قرأ في تفلج تَفَاحَةٍ:

أَنَا إِلَى الْعَاشِقِ مَنْسُوبَةٌ أَهْدِي لِلْمُحِبِّوبِ وَعُجُوبَةٌ
 وَعَلَى تَفَاحَةٍ أُخْرَى مَفْلُجَةٌ:

خَطَّتْ يَمِينِي فَوْقَ تَفَاحَةٍ: أَفَلَقْنِي فَجَرُّكَ يَا قَاتِلِي

وحضرت هدية لبعض منظرقات القيان إلى بعض طرفاء الكتاب، وفيها
 تَفَاحَةٌ، في تفلجها مكتوب:

لَيْسَ تَفَاحَةٌ بِأَطْيَبَ طَيِّبًا مِنْ حَبِيبٍ مُعَاتِقٍ لِلْحَبِيبِ
 وَأُتْرَجَةٌ فِي تَفْلِجِهَا مَكْتُوبٌ:

أَهْدَى هِلَالٌ لِكُلِّ يَوْمٍ إِذَا بَدَأَ التَّغَرَّ بِانْقِسَامِ

وطبق خيريات ^(٤) مكتوب في تعديله:

بِأَطْيَبَ رَائِحَةٍ فَاحَتْ لِبُسْتَانٍ مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ وَرُبحانِ
 وَبِياسمينٍ ذِكْرِي زَادَنِي طَرَبًا حَتَّى تَكْشِفَ عَنِّي كُلَّ أَحْزَانِ

(١) النسرين: ورد أيضا عطرى الراحمة.

(٢) أهدى: عود يتغير به. الدمنة: العير من النعم. (٣) الربا: الريح الطيب.

(٤) الخيرات: جمع الخيري، المتشور الأصفر، وهونبات ذو زهر ذكر الراحمة.

٥٢ - باب ما كتب على الفتى والكات

ومو قريح ومورطاك والجمامات^(١)

قرأتُ على كأس لبعض الطرفاء:

إذا فكرتُ خاطبي مثالُ وإن أغضيتُ نهيي خيالُ

ولى حال إذا ما الكأس طابتُ لِشاربيها وللتذمانِ حالُ^(٢)

وقرأتُ على كأس لبعض الكتاب:

إشربْ على ذِكْرهم إذ حيلَ دونهُم عَيْنَاكَ مِنْهُمْ على بَالٍ إذا شربوا

نَدْعُو المُنَى قُرْبَهُم والدارُ مازحةٌ حَتَّى يُنَاجِيَهُمْ قَلْبٌ وما قُربوا

وعلى كأس:

إذا لم يَمَزْجِ التذمانُ كأسِي جعلتُ مِرْاجَهَا ماءَ الجفونِ

وإنْ صَحَّكَوا بِكَيْتٍ، وإنْ تَنَتَّوا أَجَبْتُهُمُ بِاللَوَانِ الحنينِ

وكتبَ عِيدَ المَاجِنِ على كأسه:

إشربْ هِنَاءً لَا تَخَفْ طَائِفاً قَدَّامَ الطَّوْافِ أَهْلَ الطَّرْبِ^(٣)

وكتبَ بعضُ الكُتَّابِ على قدح له:

وما لَيْسَ العُشَّاقُ ثَوْباً من الهوى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا بَقِيَّةَ مَا أُبْلِيَ^(٤)

وَلَا شَرِبُوا كَأْساً من الحُبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا وَشُرِبَهُمْ فَضْلِي^(٥)

(١) الجمامات: جمع الجمام: الكأس

(٢) التذمان: المتآمن على الشرب، والرفيق والصاحب.

(٣) الطائف: السلس. الطواف: كثير الطواف.

(٤) أخلق الشيء: صيره بالياً

(٥) الفضل: البقية

وبعث نشوان الكرامة إلى علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي برطل
عليه مكتوب :

يا باعِثَ الشُّكْرِ مِنْ طَرْفِ يُلْقَبُهُ هَارُوتُ ، لَا تُسْقِي خَرًّا بِكَاسَيْنِ
وَيَا مُحَرِّكَ عَيْنِيهِ لِيَقْتُلَنِي إِنْ أُخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنَ مِنْ عَيْنِي

وأخبرني من قرأ على قَتِينَةٍ^(١) بين يدي أبو دلف العجلي :

وَقَهْوَةٍ كَوَكْبًا يَزْهَرُ يَفُوحُ مِنْهَا الْمُسْكُ وَالْعَنْبَرُ^(٢)
يُنْفِصُكُمَا مِنْ كَفِّهِ أَخَوْرُ كَانَهَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ
وكتب آخر على طاس :

لَا تَحْسَبِي أَنْ طَوَّلَ الدَّهْرَ غَيْرَنِي بَلْ زَادَنِي كَلْفًا يَا أَمْلَحَ النَّاسِ
لَمْ يَجْرِ ذِكْرُكَ فِي لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ إِلَّا مَزَجَتْ بِدَمْعِي عَنْده كَابِي
كَمْ عَاذِلٍ قَدْ لَحَاكَ فِيكَ قَلْتُ لَهُ : شَلَّتْ يَمِينُكَ هَلْ بِالْحَبِّ مِنْ بَاسٍ^(٣)

وأخبرني يحيى بن محمد المسلمي أنه قرأ على كأس لقينة :

إِشْرَبِ الْكَأْسَ عَلَى صَرَفِ الزَّمَنِ قَلَمًا دَكَمَ سُرُورٌ أَوْ حَزَنٌ
لَأَمَّا كَانَ لِيَنْثَلِي سَكَنٌ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ طَرًّا فَظَنَنْ^(٤)
وقرأت على قدح :

إِشْرَبْ وَسَقِّ حَبِيبَكَ الرَّاحَا وَبُخْ مِنْ الْوَجْدِ بِالَّذِي بِأَحَا

(١) القتينة : إناء من زجاج يحمل فيه الشراب .

(٢) القهوة : الخمر .

(٣) لهاء : شتمه وسبه وعابه . شلت يده : يبيت .

(٤) طرًّا : جميعاً . ظنن : سار ودخل .

وعلى آخر :

إشربْ وَسَقِّ الحبيبَ بِاساقِ وَسَقِّ فَضْلَ كَأْسِهِ الْباقِ
وَسَقِّ فَضْلَ مَا تَخَلَّفَ فِي الْكَأْسِ بَعْدَ بَقِيَّةِ إِشْفَاقِ

وعلى آخر :

فَدَيْتُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى طَرْبِ يُدِيرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْكَاسَا
أَلْتَمَنِي خَدَّهُ وَقَالَ أَلَا دُونَكَ مَا قَدْ مَنَعْتُهُ النَّاسَا

وكتبت بنت المهدي^(١) على قدح بالذهب :

إشربْ عَلَى وَجْهِ النَّزَا لِ الْأَعْيَدِ الْحَسَنِ الدَّلَالِ
إشربْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : يَا غُلُّ الْبَابِ الرِّجَالِ

وكتب بعض الطرفاء على قتيبة :

فَقُلْتُ لَهَا ، وَقَدْ أَبْدَيْتُ سُكْرِي : أَلَا رَدِّي فَوَادَ الْمُسْتَهَامِ
فَقَالَتْ : مَنْ أَفَقَلْتُ : أَنَا . فَقَالَتْ : مَتَى أَلْقَيْتَ قَسَكَ فِي الزَّحَامِ

وقرأت على قتيبة مدهونة مكتوب عليها بالذهب :

أَحْسَنَ مِنْ مَوْقِفٍ عَلَى طَلَلٍ كَأْسُ عُقَارِ تَجْرِي عَلَى نَمِيلٍ^(٢)
يُدِيرُهَا أَهْيَفُ بِهِ حَوْرٌ مُغْتَدِلُ الْخَلْقِ رَاجِعِ الْكُفْلِ^(٣)
إِذَا تَمَشَّى بِهَا مَصْفَقَةٌ رَأَيْتَ فِيهَا تَلَهَّبَ الشُّعْلُ

(١) عليّة بنت المهدي

(٢) الطلل : الشاخص من الآثار . الغار : الخمر

(٣) الأهيف : ضامر البطن رقيق الحصر . الكفل : البحر أو الودف

وعلى جام :

إشربَ هَيْثَا فِي أَمِّ النِّعَمِ طَابَ لَكَ الْعَيْشُ بِطَيْبِ التَّدِيمِ

وعلى آخر :

وَكُوِّسْ كَأَنَّهُمْ نَجْمٌ طَالِمَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِينَا

طَالِمَاتٍ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

٥٢ - باب ما يكتب على أواني الفضة والذهب

ومرهوره الصيني المذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع : حدثني أبي قال : رأيت على صينية
بين يدي المأمون مكتوباً فيها :

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ أَبَامِ تَجَلَّسْنَا إِذْ تَجَعَلَ الرُّسُلُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَدَقَا

وَإِذْ جَوَّاحِثًا تَبْدَى سَرَائِرُنَا وَشَكَّلْنَا فِي الْهَوَى تَلْقَاءَ مُتَفَقَا

لَيْتَ الرِّشَاةَ بَنَّا وَالْعَاشِقِينَ لَنَا فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا تَوَاكَلَهُمْ غَرَقَا

أَوَلَيْتَ مَنْ ذَمَّنَا أَوْعَابَ تَجَلَّسْنَا شَبَّتْ عَلَيْهِ خِرَامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ على صينية ، بين يدي الحسن بن وهب ،

مفعلة^(١) بالنصوص بألوان شتى :

مَنْ كَانَ لَا يَزُحُّنِي عَاشِقَا أَحْضَرْتُهُ أَوْضَحَ بُرْهَانِ

إِنِّي عَلَى رِطْلَيْنِ أَسْقَاهُمَا أَرْوَحُ فِي أَثْوَابِ سَكْرَانِ

وَكُنْتُ لَا أَسْكُرُ مِنْ رِسْمَةٍ يَتَّبِعُهَا رِطْلٌ وَرِطْلَانِ

(١) فصل القصد : جعل بين كل خروطين خروطة أو جوهرية عاكفة لها

فصار لي من غمرات الهوى والشكر سُكرَانِ عَجِيَانِ

والشعر للحسن بن وهب

وكتب بعض الظرفاء على صينية له صيني :

حُتُّ التَّدَامَى بِمَا جَلَّ النَّخَبُ وَحُتُّ كَأْسُ التَّدَمَانِ يَا بَابِي^(١)
إِنْ لَمْ تُدْرِهَا وَالْكَأْسُ مُتَرَعَّةٌ حَتَّى تُمِيتَ الْمَمُومَ لَمْ تَطِيبِ
وكتب آخر على صينية له :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا صَبَا بِي اللَّيْبُ وَبَاكَرْتَنِي الشُّمُولُ وَالطَّرِبُ
وكتب آخر على قضيب مدهون :

أَصْبَحْتُ يُشْبِهُنِي الْقَضِيبُ وَأَنْتَ يُشْبِهُكَ الْقَضِيبُ
غُضْنَانُ إِلَّا أَنْ ذَا بِالِ وَذَا غُضْنٌ رَطِيبُ

وقرأت في مِذْبَةِ^(٢) لبعض الكتاب :

تَعَلَّمْتُ أَنْوَاعَ الرَّضَى خَوْفَ سَخَطِهِ وَعَلَّمَهُ حَيٌّ لَهُ كَيْفَ يَنْضَبُ
وَلَى أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ وَلَكِنْ يَلَا قَلْبَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
وعلى آخر :

دَلُّ الْبِكَاءِ عَلَى عَيْنِي فَأَرْقُبَهَا طَائِيٌّ يُطِيلُ الْبِسْكَاءَ مِنْ ظِلِّهِ فَرَقَا^(٣)
لَوْ مَسَّ غُضْنًا مِنَ الْأَغْصَانِ مَنْجَرِدًا لَأَخْضَرَ فِي كَفِّهِ وَأَسْتَشْمَرَ الْوَرَقَا
وأخبرني أبو جعفر القاري^(٤) قال : أخبرني من قرأ على مروحة
ببيتين للقطامي :

(١) التَّدَامَى : جمع التَّدَمَانِ . النَّخَبُ : الشربة من الخمر وغيرها يشربها الرجل لصحة

حبيه أو عيشه (٢) المِذْبَةُ : ما يدفع به كل مروحة (٣) الفرق : الفزع

قد يذرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربمافات بعض القوم أمرهم مع التأني وكان الحزم لو عجلوا
قال : فحضرني بيتان ، فكتبت على الجانب الآخر :
لا ذا ولا ذاك في الإفراط أحمد وأخذ الأمر ما في الفعل يتبدل
إفراط ذا في التأني فوت حاجته وليس يقدم عتراً دونها العجل
وقرأت على مروحة لبعض الظرفاء :

مُخْتَمِلٌ حَسْبُكَ لِي سَاعَةً ذَاكَ إِذَا أَجْهَدَكَ الْحَرُّ
غَيْرِكَ مِنِّي طَالِبٌ مِثْلَ مَا تَطْلُبُهُ يَا أَيُّهَا الْحَرُّ
وكتب بعض الأدباء على مروحة :

إِنْ رُوحَ الْحَيَاةِ فِي حَرَكَاتِ الْمَرَاوِحِ
كَمْ بَنَاتٌ لَطِيفَةٌ مِنْ ظِلَاءِ سَوَائِحِ (١)
حَرَكَتِهَا فَتَفْسَتْ عَنْ خُدُودِ رَوَاشِحِ

وقرأت على قوس جُلاّحٍ مكتوباً بالذهب :
بَيْنَا الطَيْرُ فِي الْمَوَى يَتَكَلَّفُ إِذْ سَقَيْنَاهُ جُرْعَةَ الْمَوْتِ صِرْفًا
وَنَزَعْنَا مِنَ الْقَرِينِ قَرِينًا وَجَعَلْنَا هُنَاكَ بِالْإِلْفِ إِلْفًا
وكتبت على قوس أهديتها بعض إخواني :
لَمَّا رَأَيْتُ الطَّيْرَ عَالِي الْمُرْتَقَى هَيَّأْتُ قَوْسًا يَأْلَاهَا وَبُنْدَقًا (٢)
ثُمَّ غَدَوْنَا إِذْ غَدَوْنَا حَلَقًا فَلَمْ يَحْمِ حَتَّى هَوَى مُمَزَقًا

(١) السوايح : جمع السائح : الذي يأتي من جهة معين

(٢) البندق : كل ما يرمى به

٥٤ — باب ما يكتب على العبد والنفاء والسرنايات

والطبول والمعازف والدفوف والنايات

كتبت قصعة المغنية على عودها :

ما طافَ حبٌّ لِإنسانٍ يَلدُّ به حتى يكون به في الناس مُشْتَهراً
فاخْلَعْ عِذارَكَ فيما تَسْتَلِدُّ به واجسُرْ فإنَّ أخا اللذاتِ مَنْ جَسَرَ

وكتب غمارق على عوده :

كَم لَيْلَةٍ نَادَمَنِي ذِكْرُهُ يُسْعِدُنِي المثلثُ والزُّرُّ^(١)
حتى إذا اللَّيْلُ جَلَا نَفْسَهُ على الدَّجَى لِمُقَسَمِ النُّورِ
أصبحتُ مُسْتَوْرًا لِحَيْرَانِهِ والوصلُ بِالْهَجْرَانِ مُسْتَوْرٍ

وكتب بعض المغنين على عوده :

سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تُفَنِّ ، وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِي لَفَنَنْتِ
تَجَمَّعْتُ عَلَى الحَوْدِ ذَنْبًا عَلَيْهِ فَيَا وَيْلَتِي مِنْهَا وَمِمَّا تَجَمَّعْتُ

وأهدى بعض الكتاب إلى قينة ، كان يهواها ، عودًا وكتب عليه :

مَنْ ذَا يَبْلُغُ نَحْلَةً عَنْ عَبْدِهَا أَنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ بَعْدَتْ قَرِيبُ
تَسْتَطِيقِينَ بِحُسْنِ صَوْتِكَ أَعْجَمًا يَدْعُو بِذَلِكَ صَوَابَهُ فُجِيبُ
فَالْعُودُ يَشْهَدُ وَالْفَنَاءُ بِأَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ فِي الْأَنَامِ مُصِيبُ

وقال على بن الجهم : قرأت على مضراب لقينة :

أُحِبُّكَ جَا لَسْتُ أَبْلُغُ وصفه

وَلَا عُسْرَ مَا أَصْبَحْتُ أَضْمُرُ فِي صَدْرِي^(٢)

(١) المثلث : ناك أوتار العود . والزر : أحد أوتاره ، أى أرضها صوتا ، وهو رابع الأوتار
(٢) العسر : الشدة والضيق

وَأَسْكَنْتُمْ مَا أَلْقَاهُ مِنْكُمْ تَشْجَعًا لَعَلَّ إِلَهَ الْخَلْقِ يُدْنِيكَ مِنْ نَحْرِي

وعلى مضراب آخر :

يَا ذَا الَّذِي أَنْكَرَنِي طَرَفُهُ إِذَا ذَابَ جَسْمِي وَعَلَانِي شُحُوبُ
مَا مَسَّنِي ضَرْبُ وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الطَّيِّبُ

وعلى آخر :

نَضَوُ مُهْمُومٍ بُكَاءَ وَحْقٍ لَهُ دَمَعٌ حَادَاهُ الضَّنَى فَأَسْبَلَهُ
وَطَالَ لَيْلُ الْهَوَى عَلَيْهِ وَمَا أَمَرَ لَيْلَ الْهَوَى وَأَطْوَلَهُ
وَكُنْتُ كَرَامَةٍ عَلَى طَبَلِهَا :

يَا نَفْسًا لَيْسَ يَنْقَضِي أَمَدُهُ وَيَا قُوَادًا أَذَابَهُ كَدُّهُ
وَيَا غَيْبًا جَفَاهُ سَيِّدُهُ تَقَطَّعَتْ مِنْ جَفَائِهِ كَبِيدُهُ

وكنبت أخرى على ناي :

فَكَيْفَ صَبْرِي وَبَيْتُ الصَّبْرِ لِي فَرَجُ وَالطَّرْفُ يُعَشِّقُ مَنْ فِي طَرَفِهِ غُنْجُ^(١)

وقرات على معزفة :

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى وَتَسْتَطِيلُ فَإِنِّي عَبْدُكَ الذَّلِيلُ
أَعْرَضْتَ عَنِّي وَخُنْتَ عَهْدِي وَجُرْتَ فِي الصَّدِّ يَا مَلُولُ
كَيْفَ اخْتِيَالِي وَلَيْسَ يَأْتِي مِنْكَ كِتَابٌ وَلَا رَسُولُ
وعلى آخر :

أَلَدَ عِنْدِي مِنَ الشَّرَابِ قَتِيلُ أَنْيَابِكَ الْمَذَابِ
وَلَمْ خَدَّ كُلُّونٍ خَيْرَ قَدْ شَقَّ كَثْرَةُ الْعِتَابِ

وقرأت على دف:

يَا بَدْعًا فِي بَدْعٍ جَارَتْ عَلَى مِنْ مَلَكْتَ^(١)
أَرَيْتُ لَصَبٌ قَسَهُ مَعًا بِهِ قَدْ تَلَفَتْ

وعلى آخر:

مَا سَرَّنِي أَنْ لَسَانِي وَلَا أَنْ قُوَايَ مِنْكَ يَوْمًا خَلَا
وَأَنْ لِي مُلْكُ بَنِي هَاشِمٍ يُجَنَّبِي إِلَى أَوَّلًا أَوَّلًا

وقرأت على طنبور:

يَا أَوَّلَ الْحَسَنِ يَا مَنْ لَا ظَيْرَ لَهُ هَلَّتْ سَحَابٌ عَيْنِي نَفْعُهُ الزَّيْرِ
وَأَيُّ مُرْتَقَةٍ غَرِبَ لَا تُسْحُ دَمَا مِنْ طَائِفٍ عِنْدَ تَعْمَاتِ الطَّنَائِيرِ^(٢)

وعلى طنبور آخر:

بَكَيْتُ مِنْ طَرَبٍ عِنْدَ السَّاعِ كَمَا يَبْكِي آخِرُ قَضَصٍ مِنْ حُسْنٍ تَذَكِيرٍ
وَصَاحِبِ الْعِشْقِ يَبْكِي عِنْدَ شَجْوَتِهِ إِذَا تَجَاوَبَ صَوْتُ الْبَيْمِ وَالزَّيْرِ^(٣)

٥٥ - باب ما يكتب على موقعهم

من مستطرف الكلام

كتب بعض الكتاب على قلم أهداه:

إِنِّي لَا تَعْجَبُ إِذْ يَزْهَوُ بِهِ قَلَمٌ أَنْ لَا يَلِينُ قَيْدِي حَوْلَهُ وَرَقًا

(١) البدع: جمع البدعة: ما أحدث على غير مثال سابق

(٢) اللزقة: اللزقة. القرب: عرق في العين تجري منه الدمع

(٣) البيم: أغلظ لوتار العود، وأغلظ أصواته

يَا لَيْتِي قَلَمٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ أَلْتَدُ بَاطِنَ كَفِيهِ إِذَا مَشَقَّا^(١)
وعلى آخر:

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّانُ أَشْرَقَ نُورُهُ وَلَمْ يَكِ لِلشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورٌ
فِيَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ فِي بَطْنِ كَفِّهِ لَهُ قَلْبًا إِنْ الْحُبُّ شَكُورٌ

وكتب عمر بن إبراهيم البصري على قلم أهداه لبعض غلمان ديوان الخراج:

يَا قَرَّ الدِّيَّانُ يَا مُلَيْسَ قَلْبِي سَقَمًا
كَأَنَّمَا فِي كَبْدِي أَنْتَ تَمْحُطُ الْقَلْبَا
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مَعَا جِدًّا وَعَيْنًا وَقَا^(٢)

وأخبرني من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان:

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّانَ حَارَتْ عِيُونُنَا وَقَلْنَا كَمَا قَالَتْ صَحَابَاتُ يُوسُفَ
فَيَمُشُّوْا وَالتَّشْوِيرُ فِي حَرَكَاتِهِ فَيُورِثُنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ يُوصَفُ

وقرأت على قلم:

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّانَ حَارَتْ عِيُونُنَا وَكَادَتْ قُلُوبُ النَّاظِرِينَ تَطِيرُ
فِيَا نِعْمَتًا إِنْ لَمْ تَصِبْكَ عِيُونُهُمْ لَكَ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْعِيُونِ مُجِيرُ

وعلى آخر:

أَفْدَى الْبَنَانُ وَأَفْدَى الْخَطُّ مِنْ عِلْمٍ وَقَدْ تَطَرَّفَ بِالْحِنَاوِ وَالنَّمِّ^(٣)
كَأَنَّمَا قَابِلُ الْقِرَاطِ إِذَا مَشَقَّتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ

(١) مشق في الكتابة: مدحروفا

(٢) الجيد: المتق

(٣) النعم: شين له ثمة حمراء، يشبه بها البنان المنضوب

٥٦ - باب ما يكتب على الدراهم والدنانير

التي ضربت للملوك في المقاصير

قال علي بن الجهم : قرأت على دينار في خلافة المتوكل من ضرب الدار :
وَأَصْفَرَ صَاغَتْهُ الْمُلُوكُ تَطَرُّبًا بِأَسْمَانِهَا فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْفَخْرُ
بِاسْمِ أَمِينِ اللَّهِ زِينَتُ سَطُورِهِ كَمَا زَيْنَ بِالتَّفْصِيلِ فِي نَظْمِهِ الدَّرُّ
هُوَ الْمَلِكُ الْأَمُونُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِهِمْ إِنْ أَغَبَ الْقَطَرُ يُسْتَنْزَلِ الْقَطَرُ
لَهُ غُرَّةٌ فَيُنَاقِشُهُ جَعْفَرِيَّةٌ بِهَا تُضْحَكُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ

قال : ورأيت على دينار من ضرب المتوكل أيضا مكتوبا عليه
وَأَصْفَرَ مِنْ ضَرْبِ دَارِ الْمُلُوكِ يُلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ جَعْفَرُ
وَقَرَأْتُ عَلَى دَرِّهِمْ مِنْ ضَرْبِ الْمُنْتَصَرِ :

دَرِّهِمْ أَيْضُ مَلِيحُ الْمَعَانِي بِسَطُورِ مَبِينَاتِ حِسَانِ
صَاغَهُ الصَّائِغُ الْمُنَقُّ بِالْحُسْنِ نَ لِيُهْدَى صَبِيحَةُ الْمَهْرَجَانِ
فِيهِ إِسْمُ الْإِمَامِ أَكْرَمُهُ اللَّهُ وَوَقَّاهُ نَائِبَاتِ الزَّمَانِ

وَقَرَأْتُ عَلَى دَرِّهِمْ :

أَخِي دَرِّهِمِي مَادَامَ ، وَالنَّاسُ إِخْوَتِي فَانْغَابَ عَنِّي غَابَ كُلُّ صَدِيقِ
هَذِهِ جُمْلَةٌ تَمَّا بَلَّغْنَا وَفِيهَا كِفَايَةٌ لِمَنْ اكْتَفَى ، وَيَبَانُ لِمَنْ تَبَيَّنَ وَاقْتَفَى ،
وَمَا اسْتَوْعَبْنَا كُلَّ مَا انْتَهَى إِلَيْنَا ، وَلَوْ قَصَدْنَا إِلَى تَكْثِيرِ مَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا ،
وَإِنَّمَا قَصَدْنَا التَّخْفِيفَ ، لَا التَّأْلِيفَ ، وَالْاِقْتِصَارَ ، وَالْاِخْتِصَارَ ، وَلَيْسَ كُلُّ
مَا سَمِعْتَاهُ ذِكْرَانَهُ ، وَلَا كُلُّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ سَمْعَانَهُ ، وَقَدْ أَدْبَيْنَا بَعْضَ مَا بَلَّغْنَا ،

ووصفنا بعض ما استحسنّا، وخلقنا جدا بهزل، واعوجاجا بقصد، وجعلنا
كلّ ذلك في نظام، وإلى الله نرغب في السلامة والسلام.
والحمد لله بجميل التسديد، وهو المتفضل بالاعانة والتوفيق، وإياه
نستعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.
كمل الكتاب وتمّ بقوة الله ومنه، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله
على خيرته من خلقه محمد وآله، وحسبي الله وعليه أتوكّل.

فهرس الاعلام

— ١ —

أبو الأحمس ٢٠، ٢٦	أبو أمية جد النبي صلى الله عليه وسلم ١٧
الأحمس بن محمد الأنصاري ٦٠، ٦١	أبراهيم ١٩٤
١٩٥، ١٣٩، ٩٤، ٧٠، ٦٨	أبراهيم الأزدي ٩١
الأخطل ٨، ١٣١	أبراهيم بن حسن ١٠٥
ابن أذينة ٦٩	أبراهيم بن العباس ١٤٥
أردشير بن بابك ٥	أبراهيم بن محمد النحوي الواسطي
أزهر السنان ١٢	(أبو عبد الله) ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٨٦
اسحاق بن إبراهيم الموصل ٨٢، ٢٢١	٢٢٧
اسحاق الرافقي ٨٣	٢٠٨، ٢٠٥، ١٤٩، ٩٤، ٨٨
اسحاق بن علي الهاشمي ٢٢٦	أبراهيم بن المهدي ٨، ٣٤، ٦٣
اسحاق بن المنذر ١٩٣	الأحديب ٢٢١
اسحاق بن يحيى (واله مؤلف هذه	أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ ٢٢٥
الكتاب) ٢٥، ١٨٤	أحمد بن عبد الله ٥٠
أسعد بن عمرو ٦٨	أحمد بن عبد الله بن هشيم ١٩٣
أسماء ٦٨	أحمد بن عبيد بن ناصح ٣، ٤، ٩
أسماء بن خارجة الفزاري ١٤٩	١١، ١٢، ١٣، ١٦، ٥٢، ٨٩، ١٣٨
أسماء بنت غنيم ٢٢٩	أحمد بن غزال ١٢٢، ١٢٣
إسماعيل ٢٢٤	أحمد بن أبي قن ٩٧
إسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد ١٩٤	أحمد بن محمد بن غالب ١٩٣، ١٩٤
أبو الأسود الغزالي ٢٣	أحمد بن المنجم المجلد ١٩٣
الأصمعي ٣، ١٣، ٥، ١٩، ٥٢، ٥٧	أحمد بن يحيى دغلب ٨، ٩، ١١
٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ١٠٦، ١١١، ١٣٠	٢٢، ٢٧، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٥، ٥٥
ابن الأعرابي ١٢، ٥٢	٦٩، ٨٦، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٣٦
الأعشى ٧٦	١٣٩، ١٤٨
الأعور الشني ٨	أحمد بن يحيى بن الخطيم ٥٠
أكرم ابن صفي ٩، ٢٦، ٣٢، ٤٥	ابن آخر ١٢٥
أمامة ٦٩	الأخنف بن قيس ٢٤، ٢٩

الفرى ٢٨
قيف ٢٨

- ج -

الجاحظ (عمرو بن بحر)
ابن جرموز ١٠٤
جرير بن الحطيف ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ١٠٠
١٠١ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨
١٨٩

جرير بن عبد الله البجلي ٢٦ ، ٦٤
جعفر ٧٧ ، ٦٤
أبو جعفر ٩٧
أبو جعفر القاري ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
الجناس ٩٢
جمل ٦٤ ، ٦٨
جميل بن عبد الله بن ممر الطدري ٥٦
٥٧ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١
٨٢ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩
جناح ٢٢٥

- ح -

حاتم طي ٥ ، ٦٨
الحافظ السيوطي ٢٥
الحباب ٢٢٢
حبيب بن أوس (أبو تمام) ٣٤ ، ١٠٠
حبشة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
الحجاج بن يوسف ٤٧
أبو حذرد الأسلي ١٠٩ ، ١١٠
أبو حرب ٢٢١ ، ٢٢٥
الحرقة بنت النعمان ١٩
حسان بن ثابت الأنصاري ١٣٤
الحسن البصري ٣٠
حسن بن الحسن بن علي ٢٨ ، ١٠٥

أبو أمانة ٢٦
أمرؤ القيس بن حجر ١٠ ، ١٣٢
الأميس ١٩٠
ابن أمية ٥٠
أنس بن مالك ٢٦ ، ١٩٦
الأوزاعي ١٢
أوس بن حجر ٢٧
أيوب السجستاني ٣٩

- ب -

الباغندي ١٤
بثينة ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٧
البحري (الوليد بن عبيد)
بند ٦٨
البراء بن عازب ٢٥
بشار بن برد الثقلي ٢٢ ، ٥٠ ، ٩٦
١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧
بشامة بن عمرو المري ١١
بشر بن أبي عازم الأسدي ٦٨
بشر بن السري ٣١
بشر بن موسى الأسدي ٣
أبو بكر بن أبي الدنيا ٢٦
أبو بكر الصديق ٤١ ، ١٠٢ ، ١٨٤
بكر بن عبد الله المزني ٨
بنان ٢٢٠
بنان الشاعرة ٢٢٣
أم البنين ١٨

- ت -

تبارج الكوفية ٢٢٣
أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)
توبة بن الخيزر ٦٨

- ث -

ثابت البناني ٢٦

— د —

دبسية ٢٢٥
دعبل بن علي الخزامي ١٢٣٠٤٥
دعد ٦٨
أبو دلف العجلي ٢٤٤
ابن الدمينية ٦٩
ابن أبي الدنيا ٨٧
أبو دهل أحمى ٦٩

— ذ —

أبو ذؤيب الحنظلي ١٢٧٠٧١ ١٤٥٠ ١٥٧٠
الذلقاء ٦٨
ذويت ٢٣٧

— ر —

رامي ٢٢١
رؤية بن السجاج ٣
ريصة الرأي ٩
أبو ريصة العامري الكوفي ١٠٤
أبو الرجال ١٩٦
الرشيد ٢٢٥ ٢٢٦
ابنة الرصافية ٢٢٥
ابن أبي الرعد ٨٧
رقاعة الفقمي ١٢٨
رقية بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
ذو الرمة ٦٨ ١٨٨
ريسان العذري ٦٩

— ز —

الزهر بن بكار ٩٤٠ ٩٤٠ ١٣٦٠ ١٤٨٠

٢٢٤٠ ١٨٩

أبو الحسن بن الروي (علي بن العباس
ابن الروي)

الحسن بن عليل (أبو علي العززي)

الحسن بن علي ٢٨

الحسن بن قان ٢٠١/٢٠٢

الحسن بن وهب ٢٠٩ ٢١٦ ٢٢٥٠

٢٤٧٠ ٤٢٦

الحسين الخليل ١٤٦ ١٥٥٠

الحسين بن مطهر ٥٥ ٦٩

حسن بن ضمضم ١٠٨

حسن بن عارب ١٥٩

الحكم بن معمر الحضري ١٥٩

الحكمي (أبو نواس)

حدوة بنت المدي ١٢٥ ٢٣٧٠

حزة ٦٨

الحيدى ١٤

— خ —

خاضع ٢٢٧

خالد الأسدي ٢٨

خالد خيلوي ١٦٦

خالد بن صفوان ٢٤ ٣١ ٢٨٠

خالد بن الوليد ١١٠

الخطي بن بدر ٩

خلف بن صفوان ١٤

خلوب ٣٦

الخليج (الحسين الخليل)

الخليل بن أحمد ٢ ١٢ ١٩٣٠

خنث ٢٢٣

ابن أبي خيشة ١٠٢ ١٣٩٠

الخيردان ٢٢٠

سكينة بنت الحسين ٦٧ ، ٧٧
 سلامة القس ٥٤ ، ٦٨
 سلم ٢٢٨
 سلم بن كتيبة ٤٠
 سلية بن الفضل ١١٠
 ابن السلي ٢٢٣
 سليمان بن دلود ١٣ ، ١٦ ، ١٩
 سليمان بن عبد الملك ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢
 سليمان بن عياش السعدي ١٣٦
 سماك بن حرب ١٥٠
 ابن سهل بن سعد (عباس بن سهل)
 سهل بن سعيد الساعدي ٢٤
 سهل بن نصر ١٩٣
 سويد بن أبي كاهل ٦٥
 ابن سيرين (محمد بن سيرين)

— ش —

شاذن ٢٢٣
 أبو الشبل ١٢٢
 شبل ١٨
 شريط ٢٤٠
 شريك بن عبد الله القاضي ٩١
 الشعي ٢ ، ٧ ، ١٠
 شحات ٢٢٦
 شارج ٢٢٩
 شمة الطنورية ٢٢٦
 ابن أبي شيبة ١٨٤
 أبو الشيص ٦٩ ، ١٣٠ ، ١٧٥

— ص —

صالح بن حسان ١٠٥
 أبو صخر الهذلي ٦٩
 الصخرى ٢٤٠

الزبير بن العوام ١٠٤
 زرزور ٢٢٢
 زول ٢٢٣
 زليخة ١٥٤
 أبو زهرة ٣٩
 الزهري ١٢
 زهير بن أبي سلى ٢١ ، ١٤٤
 ابن زياد (عبيد الله بن زياد)
 أبو زيد ٣٣
 زير ١٠٥
 زين ٢٢٤
 زينب ٦٨

— س —

سائب خاثر ٩٢ ، ١٣٦
 أبو السائب المخزومي ٨٩
 ابن الساحر ٢٣٨
 سحيم عدي بن الحساس ٢٣٨
 سعاد ١١٢ ، ١٣٤
 السعدية ٢٣٨
 سعيد بن حميد ٢٠٠ ، ٢٢٦
 سعيد بن العاص ١٥ ، ١٠٧
 سعيد القارسي ١٣٦
 سعيد بن قيس ٢٣١
 سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري

١٩٣

سعيد الساجي ٢٢ ، ٣٣
 سعيد بن المسيب ٩١
 سعيد المقبري ١٩٢
 سفيان ١٤
 سفيان الثوري ٩٤
 أبو سفيان ٩٤
 ابن السكيت (يعقوب بن اسحاق)

أبو العباس بن الفضل الربيع ٦٧
 العباس بن الفضل بن الربيع ٢٤٦
 أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)
 عباس التميمي ٢٣٨
 عبد الحميد المظلي ٢٣٥، ٩٧
 عبد الله بن أبي بكر ١٨٤، ١٠٢
 عبد القيس ٢٢، ٢٩
 أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي
 الواسطي (قتوبه)
 عبد الله بن إدريس ١٨٤
 عبد الله بن بكر السهمي ٤٠
 عبد الله بن أبي بكر الصديقي ١٨٤
 عبد الله بن حسن بن الحسن ١٠٥
 عبد الله بن الحسن بن علي ١٩
 عبد الله بن سبط بن عجلان ٢٩
 عبد الله بن شبيب ٩٠، ٩١
 عبد الله بن صالح ٢١
 عبد الله بن طاهر ١٧
 عبد الله بن عباس ٤٠٢، ٩٣، ٩٦
 ١٩٤، ١٠٥، ٩٨
 عبد الله بن عبد الرحمن القس ٥٣
 عبد بن عبد الله بن طاهر ١٧٩، ٢٣
 عبد الله بن عقبة ١٠٩
 عبد الله بن عمرو بن غنم ١٠٥
 عبد الله بن المبارك ٢١
 أبو عبد الله بن مسرف ١٥٠
 عبد الله بن مسعود ٢٦، ٣٠
 عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
 عبد الله الواسطي (أبو عبد الله إبراهيم
 ابن محمد)
 عبد المطلب ١١
 عبد الملك بن مروان ٤٠، ٤٤، ٤٧
 ٨٣، ٧٧، ٥٦، ٥٢

مصحة بن صفوان ٩٣
 الصمة بن عبد الله القشيري ٦٩
 — ض —
 ضب بن القرافة ١٠٧
 — ط —
 طاهر ٢٣٩
 ابن الطرية ٦٩
 طرقة ٢٠
 الطرماح ٢٢
 أبو العليب الوشا- ١٠١، ٩٠، ٥٠، ٥٥
 ٥٦، ٦٠، ١١٤، ١١٥، ١٤٧، ١٩١
 ٢٤٨، ٢٠٥
 — ظ —
 ظوم ٢٤٠
 — ع —
 عائشة ١٨٤
 عائكة بنت زيد بن عمرو بن قبيل
 ١٠٣، ١٠٢
 العاجي ٢٢٧
 عارم ٢٢٥
 ابن عاصم ٢٢٦
 عامر بن مصحة ١٢٣
 ابن عباس (عبد الله بن عباس)
 أبو العباس (أحمد بن يحيى ثعلب)
 العباس بن الأخف ٤٩، ٦٢، ٦٣
 ٦٩، ١٧٨، ١٨٦، ٢٤٠
 عباس بن سهل بن سعد الساعدي ٥٧
 أبو العباس الشيباني ١٧

العلاء بن أسلم ٣
 عل ٢٢٢ بن علي أديم ٦٨
 علي بن ثابت الكاتب ٤٥
 علي بن الجهم ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٩١ ، ١٩٩
 ٢٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ١٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
 أبو علي الحسن بن عليل المنزى ٢٩ ،
 ١٨٩ ، ٩٤
 علي بن أبي طالب ١٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨٤
 علي بن العباس بن الرومي ٦٦ ، ٩٢ ،
 ١٣٤
 علي بن عمرو الأنصاري ١٠٤
 علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي ٢٤٤
 علي بن عيسى بن زياد ٢٣
 علي بن هشام ٤٢ ، ٤٤
 عليه بنت المهدي ١٢٧ ، ٢٤٥
 عمارة بن عقيل ٤
 ابن عمر ٣٨
 عمر بن إبراهيم المصري ٢٥٢
 عمر بن الخطاب ٤ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
 ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٨٤
 عمر بن أبي ربيعة ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧١ ،
 ١١٥ ، ١٩٧
 عمر بن شبة ١٣٠
 عمر بن عبد العزيز ١٣ ، ١٤ ، ٢١
 عمر بن لجأ ٩٥
 عمر بن هبيرة ٣٩
 عمرو ٦٨
 عمرو بن بحر (الجاحظ) ٢٧ ، ٧٩ ،
 ٩٧ ، ١٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠
 عمرو بن العاص ٢٠ ، ٤٠
 عمرو بن عجلان ٦٨ ، ٦٩
 أبو عمرو البوق ٢٠

عبد بن شريك ١٩٢
 عبيد الله بن زياد ٤٠
 عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر ١٠ ، ٤٩ ،
 ١٤٥ ، ١٥٢
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
 مسعود ١٣٩
 عبيد الله بن قيس الرقيات ٦٨ ، ١٣٦
 عبيد اللاجي ٢٤٢
 أبو عبيدة ٣٢٠
 العتاق ٣٦ ، ٤٠
 أبو العتاهية ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٤٢ ،
 ٦٩ ، ٨٧
 عتبة ٦٩
 عتبة بن هبيرة الأسدي ١٦
 العتي ٨٠ ، ٤
 ابن أبي حقيق ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٣٦
 عثمان بن عطاء بن مسلم ٣١
 عثمان بن عفان ١٠٧ ، ١٠٨
 ابن عجلان ١٩٢
 عدى بن حاتم ٤٦
 عدى بن زيد العبادي ١٦
 العرجي ٦٥
 عروة بن أزيعة الليثي ٦٢
 عروة بن حزام الغنوي ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
 ٧١ ، ٧٢ ، ١١١
 عروة بن الزبير ٩٦
 عروة بن الورد ١٤١
 عريب ٢١٩
 عزة كثير ٦٨ ، ١٣٨
 عطاء بن مسلم ٣١
 الطبري ١٢٨ ، ١٩٠
 عفراء بنت هلال ٦٨ ، ٧٢ ، ١١١
 عكرمة ١٩٤

قيصة ٢٧١ ، ٦٨ ، ٤٧
 قصة ٢٤٩
 القناني ١٣٧ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٧ ، ١١٩ ، ٢٤٧
 قيس بن الحنابلة الخزاعي ٤٦
 قيس بن ذريح ٨١ ، ٦٨
 ابن قيس الرقيات ٩٢
 قيس بن الملوح (بنون بن عامر) ٦٠ ،
 ٨٠ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٨
 قيصر ١٠

- ك -

كثير عزة ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ،
 ٧٧ ، ٩٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥
 أو كثير المنزل ٦٩
 كثيرة ٦٨
 كبرى ١٠
 كتب الأحبار ٢٩
 كتب بن زهير ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠
 ابن الكلي ٥٠
 الكيت بن زيد ٨٦

- ل -

لامى ٢٢٥
 أبو لؤلؤة ١٠٣
 لبنى ٦٨ ، ٢٢٨
 لغة ٦٨
 لقمان ٧
 لم ٢٢٨
 ليلي الأخيلية ٦٨
 ليلي بنت صبيح ٦٨
 ليلي العامرية ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤

- م -

ماجن ٢١٩

عمرو بن قان ٧١
 عمرو بن مرة الجهني ٢٠
 عميرة ٦٨
 عنان ٢٢٩
 عيسى بن جعفر بن المنصور ٢٢٥
 عيسى بن مريم ٧
 أبو العيثاء ٢٧ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٧
 ابن عيثة ٣١

- غ -

الغمر بن ضاراد ٦٨

- ف -

فاطمة بنت حسن بن علي ١٠٥
 فاطمة بنت محمد بن عمران ٢٤٠
 فاطمة بنت المنذر ٦٨
 فالون ٦٨
 الفتح ٦٧
 ابنة الفرافصة بن الأحوص الكلبى
 (ناكه)

الفرزق ٧٨ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٨٨
 أبو الفضل الربيعي ١٠٤
 الفضل بن الربيع ٢٢٥
 فضل الشاعرة ٦٨ ، ١٢١
 الفضل بن عياض ١٨
 الفضل بن غسان البصري ٣١
 الفقيهي ٤٥
 فوز ٦٩

- ق -

قائد ٢٢٨
 قابوس ٦٨
 قاسم الزبيدي ٩٦

محمد بن عبد الله بن ظاهر ٢٥٠ ،
 ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٩
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦ ،
 ١١٠ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠
 ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٩٨
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٨٤
 ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٥٤
 محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
 محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
 محمد بن عبد الملك الزيات ٢٠١ ، ٢١٧
 محمد بن أبي الصنابة ٦
 محمد بن علي بن الحسين ٣٩
 محمد بن عمرو بن مسعدة ٢١٩
 محمد بن القرات ١٩٣
 محمد بن المأمون ٢٢٢
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١١٠
 محمد بن نصر الحارثي ٣١
 محمد بن واسع ٣١
 محمد بن يحيى ٩١
 محمد بن يزيد (المبرد) ١٨٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧
 ٢٧ ، ١٢٨
 أبو محمد البريدي ١٦٠ ، ١٦٩
 محمد بن يونس القيسي ١٩٦
 محمود الوراق ١٤ ، ١٨٠ ، ٥٦ ، ٥٩
 ١٣٧
 غارق ٦٦ ، ٢٤٩
 ابن غارق ٦٦
 الخليل السطري ٦٨ ، ١٣٠
 الدائقي ١١٠
 الدلة البكرية ١٠٤
 ابن مرجانة ٩١
 مرقش الأصغر ٦٨

المارق ٢٢٢ ، ٢٣٦
 ماري مريم ٢٢٧
 المازني ٢٤٠
 مالك بن أنس ٩١
 مالك بن عمرو النسائي ١١٢
 المامانية ٢٢٦ ، ٢٣٩
 مؤلف ٢٤٠
 المؤمل بن أميل ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٨
 المأمون ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
 الماوردي ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
 ماوية ٦٨
 المبرد (محمد بن يزيد)
 المتوكل (الخليفة) ٦٧ ، ٧٩ ، ٢٣٠
 ٢٥٣
 المتوكل الكنتاني ٢١
 المتلس ١٤٤
 مقيم ٢٣٦
 المثنى بن عارضة ٤٣
 مجاشع ٢٨
 مجاهد ١٥ ، ٣٠
 جنون بن عامر (قيس بن المرح)
 محمد بن إبراهيم القاري ٤
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ٧٩ ،
 ٨٢ ، ٨٠
 محمد بن إبراهيم الحمداني ٤٥ ، ١٩٩
 محمد بن إسحاق ١١٠ ، ١٨٤
 محمد بن جعفر بن الزبير ٨٥
 محمد بن الجهم ٤٢
 محمد بن حرب ٣٧
 محمد بن حيد الخراساني ١١٠
 محمد بن خلف ١٥٧
 محمد بن سديد (ابن سديد) ٥٢

المهلب بن أبي صفرة ٤١٠ ، ٤٦٠
المهلبى ١٨
موسى ١٥٣
موسى بن اسماعيل المنقرى ١٣٠
موسى الهادى ٢٣٠
ابن ميادة ٦٩
الميلاد ٦٨
مية ٦٨ ، ٨٤

ن

نائلة بنت القراصة ١٠٧ ، ١٠٨
النابغة الذبياني ٢٣
ناعم ٢١٦
ناقم بن خليفة ١٤٤
نشوان ٢٢٣ ، ٢٤٤
نصيب ٦٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٦
الغلاف ٢٢٩
نعم ٦٨
التمان بن بشير الأنصارى ١١٢
التمان بن المنذر ١٩
التمر بن تولب ٦٨ ، ١٥٨
التهدى ٧٠ ، ٧١
أبو نواس (الحكى) ٢٢ ، ٩٦ ،
١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٢٩

— ه —

حاتف ٢٢٧
أبو هريرة ٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ١٩٢
١٩٣
الهزادى ٦٠
هشام ٦٠
هشام بن حسان ٨٢
هشام بن عبد الملك ١٢٨

مرفش الأكر ٦٨ ، ٧١
مروان بن أبي حفصة ٧٠ ، ١٩١
ابن أبي مريم ٩٢
مسمر بن كدام اللال ١٥
أبو مسلم الكلابى ١٨٩
مسلم بن الوليد ٩١
مسلة بن عبد الملك ٣٩
مشتاق ٢٢٦
مطرف بن الشخير ٢٣
المطيع بن إياس ١٨ ، ٢٤
مهاذ ٣٠
معان ٢١٦
معاوية بن أبي سفيان ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
٤٧ ، ١٠٩
معاوية بن قرة ٢٠
المستصم ٦٧
معم ١٠٥ ، ١٠٦
معنرة ١٩٤
المغيرة بن أبي صفام البكرى ١٠٤
المغيرة بن أبي عقيل ١٠٤
المقعع الكندى ٢٣
مكاثم ٢١٩
ملك ٩٧ ، ٢٣٦
أبو الملقح ١٨٤
ابن أبي مليكة ١٨٤
المتصر ٢٥٣
التصور ٤ ، ٢٩
ابن المنكدر ١٤
منهلة ٦٨
منية ٦٨
ابنة المهدي (عليه بنت المهدي)
مهدى بن الموح الكلابى ١٨٩
المهذب ٦٨

- ي -

يحيى بن أكرم ١٦
يحيى بن أيوب ١٩٢
يحيى بن خالد البرمكي ٣٦
يحيى بن أبي كثير ١٢
يحيى بن ماسويه ٦٧
يحيى بن محمد المصلي ٢٤٤
يزيد بن بيان ١٩٦
يزيد بن جبل ٤٤
يزيد بن عبد الملك ٥٤
يعقوب بن اسحاق (ابن السكيت) ٥١٠٢٧
أبو يعقوب الحريري ٤٩
يعقوب بن عتبة بن المنيرة الثقفي ١١٠
يعقوب بن يزيد القمار ٤٣
يعلى بن منبه ١٤
يوسف ١٥٤
يوسف الأعور ٢٧
يونس ١٢
يونس بن عبيد ١٨

الملاي ٣٨

هند ٧٠٠٦٩٠٦٨

هند ابنة الفرافصة ١٠٧

الهيثم بن أسعد النخعي ٩

الهيثم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥

الهيثم بن عدي ٨٢ ١١٣٠ ١٥٣٠

- و -

أبو وائل الأضاحي ٨٩

واته بن الأسقع ١٤٩

واجد الكوفي ٢٢٦

واصل مولى بن عينة ٣١

أبو وجرة السعدي ٦٩

الوضاح بن ثابت الكاتب ١٩٩

وجاح ابن ٦٨

الوليد ٣٠

الوليد بن عبيد البحرى ٦٨

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١	تصدير :	٤٣	١٢ - باب ما جاء في قبح خلف المواعيد
ب	الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية	٤٤	١٣ - الحديث على كتاب الر
	على عهد المؤلف	٥١	١٤ - سنن الطرف
ع	موضوعات الكتاب	٨٢	١٥ - من مات من شدة النقد
ف	نسخ الكتاب	٨٦	١٦ - من وصف الحب
	آثارنا في الكتاب	٨٨	١٧ - ما في مرة الهوى
ق	ما صار إليه الكتاب	٨٩	١٨ - ما سئل عنه أهل الصدق
	وجه	٩٩	١٩ - ما جاء فيمن تصف في عجب
	التعريف بالمؤلف :	١١٥	الجزء الثاني من كتاب الموشى
	نسبه	١١٦	مقدمة الجزء الثاني
ر	مولده	١١٦	٢٠ - باب صفة ذم القيان
	عصره	١٤٤	٢١ - ما جاء في مصارمة ذوى النذر
	علمه	١٥١	٢٢ - النهى عن الهوى
ش	شعره	١٦٠	٢٣ - ذكر زى الطرفة في اللباس
ت	مصنفاته	١٦١	٢٤ - زى الطراف في التكك
ث	وفاته		والنعال والحفاف
١	خطبة الكتاب	١٦٢	٢٥ - زيم الخصوص في الخواتيم
٣	مطلب في الحد		والعموص
٦	١ - باب البيان عن حدود الأدب	١٦٢	٢٦ - زيم في التطر والطيب
١٣	٢ - النهى عن عازجة الأخلاء	١٦٢	٢٧ - في منظرقات النساء
١٥	٣ - الأمر باختيار الأخوان	١٦٤	٢٨ - زيم الخفاف لرى الرجال
٢٠	٤ - الحديث على محبة الأخوان	١٦٧	٢٩ - ذكر زى الطرفة في العلمام
٢٥	٥ - صفة المتحابين في الله عز وجل	١٧١	٣٠ - ذكر زيم في الشراب
٢٨	٦ - البشاعة بالأخوان	١٧٢	٣١ - ذكر الأشياء التي يتغير الطرفة
٢٠	٧ - اتفاق القلوب		من أهدائها
٢٢	٨ - النهى عن استعمال الإقراط	١٧٨	٣٢ - ما قيل في صفة الورد
	في حب الصديق	١٨١	٣٣ - ذكر التفاح
٢٤	٩ - الأمر بإغيا بزيارة الإجاب	١٨٤	٣٤ - ما جاء في السواك
٢٧	١٠ - شرائع المروة وصفها	١٩٢	٣٥ - صفة ذوى التطرف
٤١	١١ - ما جاء من فضل الصدق		

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٩٩	٣٦- باب ما اختير من الفاظ الادباء	٢٣٠-٤٥	باب ما وجد على السطور والوسائد
	في المكتبات	٢٣٢-٤٦	د ما وجد على المناصر والمجلد
٢٠٣	٣٧- د ما ضمنوه كتبهم من الاشعار	٢٣٤-٤٧	د ما يكتب على المجالس والابواب
٢١٠	٣٨- وما ضمنوه كتبهم من السلام		
٢١١	٣٩- باب ما كتبوه على العنايات	٢٣٦-٤٨	د ما وجد للتطريعات والطراف
٢١٣	٤٠- د ما يكتب على الفصوص	٢٣٧-٤٩	د ما يكتب بالحناء في الوضوء والوشاح
٢١٤	وما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم		
٢١٤	وفي ضرب آخر	٢٣٩-٥٠	د ما يكتب على الجبين والحد
٢١٥	وما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم	٢٤١-٥١	د ما يطلع به التفاح
٢١٦	وفي ضرب آخر	٢٤٣-٥٢	د ما يكتب على القناني والكاسات
٢١٦	وفي ضرب منه آخر	٢٤٦-٥٣	د ما يكتب على أواني الفضة والذهب
٢١٧	٤١- باب ما وجد على التفاح		
٢١٩	٤٢- د ما وجد على ذيول الاقصة والاعلام	٢٤٩-٥٤	د ما يكتب على الميدان والمضارب
٢٢٢	٤٣- د ما وجد على الكرازين والصائب	٢٥١-٥٥	د ما يكتب على الاعلام
		٢٥٣-٥٦	د ما يكتب على الدرام والذناير
٢٢٦	٤٤- د ما وجد على الزناير	٢٥٥	خمس الاعلام

تصويب ما في الكتاب من أخطاء

الصفحة	سطر	المطأ	المصواب	الصفحة	السطر	المطأ	المصواب
١	١٦	عن ما	عما	٤٨	٨	السراء	السراء
١	٢١	الحق	الحق	٤٨	٢٠	شجاعته	شجاعته
٢	٢	وقل ما	وقلما	٤٩	٤	الزيت	الزيت
٢	٦	لا ترضين	لا ترضين	٥٦	١٦	صادقته	صادقته
٣	١٢	تطية	تطية	٦٢	٢١	بيننا	بيننا
٤	٢١	منطوى	منطو	٧٢	١	وكفأ	وكفأ
٥	٢١	الثالثة	الثالثة	٧٥	٢	ش رتي	ش رتي
٦	١٢	وليس	وليس	٧٥	١٠	الطلع	الطلع
٨	٩	نصت	أصت	٧٥	٢١	ضم النون	ضم النون
٨	١٤	وقصه	أوقصه	٧٨	٦	تخلف	تخلف
٩	٢٠	شذاته	شذاته	٧٩	٤	عل	عل
٩	٢	تد	تد	٧٩	١٩	فا لخلق	فا لخلق
٩	١٢	لحيته	لحيه	٨١	١٤	غطة	غطة
١١	٤	تينا	تينا	٨٢	١	من	من
١١	١٦	عمرو	عمرو	٨٢	١٣	رايت	رايت
١٤	١٩	وغره	أوغره	٩١	٥	يخبركم	يخبركم
١٥	١	كلام	كلام	٩١	٥	مصيب	مصيب
١٥	١٠	وقتين	وقتين	٩٣	٢	بشابه	بشابه
١٦	٢	أكرم	أكرم	٩٣	١٣	والى أرغب	والى أرغب
١٦	١٧	الزيتى	الزيتى	٩٣	١٨	جائ غير منه	جائ غير منه
١٧	١٨	فأنا	فأنا	١٠٣	١	بائن	بائن
١٨	٢٠	عنا	عنا	١٠٣	١١	عائكة	عائكة
٢١	٧	الحلى	الحلى	١٠٤	١٢	الذى	الذى
٢١	٦	أباه	أباه	١٠٥	١٦	وعمد	وعمد
٢٩	١٨	أمرأيا	أمرأيا	١٠٨	١	بنة	بنة
٣٠	٦	ونيت	ونيت	١٠٨	١١	تومن	تومن
٣١	٢١	الغصا	الغصا	١٠٩	٢	البلان	البلان
٣٣	١٠	مدنا	مدنا	١١٢	٢	فهامى	فهامى
٣٣	٢٢	جند	جند	١١٧	١٠	الاماء	الاماء
٣٥	٨	جند	جند	١٢٣	٤	العتن	العتن
٣٥	١١	ومليل	ومليل	١٢٣	٥	دونها	دونها
٣٦	٤	فأنا	فأنا	١٢٤	١٥	لم	لم
٤٠	١٤	فأنا	فأنا	١٢٤	٥	أعرب	أعرب
٤٣	٥	فأنا	فأنا	١٢٤	٢	فأنا	فأنا
٤٣	٥	فأنا	فأنا	١٢٤	٥	سبل	سبل
٤٣	١٤	فأنا	فأنا	١٢٤	٢٠	الزرقان	الزرقان
٤٥	٢	فأنا	فأنا	١٣٠	٤	مظلم	مظلم
٤٨	٧	فأنا	فأنا	١٣٠	٥	أخبركم	أخبركم

المفصلة	الطر	التأ	المصوب	المفصلة	الطر	التأ	المصوب
١٣٠	١٣	بالصوب	بالصوب	١٨٢	١١	تأ كل غاخه	تأ كل غاخه
١٤٣	٣	بلياقته	بلياقته	١٨٢	١٢	فائتر والتتر	فائتر والتتر
١٤٤	٩	غله	غله	١٨٦	١٠	جوارى	جوارى
١٤٤	٨	الا - أسماء	ألايا - أسماء	١٨٧	٤	بنمته	بنمته
١٤٦	٦	اختيار	اختيار	١٨٨	٧	النر	النر
١٤٦	٨	لتقصوا	لتقصوا	١٨٨	١٠	جوى	جوى
١٤٦	١٤	قبل - دما أتاخذ	قبل - دما أتاخذ	١٨٨	١٢	برد تحذر	برد تحذر
١٤٨	١٢	نصيب	نصيب	١٩١	٢	واعترى	واعترى
١٥٧	٣	ليل	ليل	١٩١	٣	فأعفى	فأعفى
١٥٨	٢	فأعي	فأعي	١٩٧	٤	ومدارته	ومدارته
١٥٩	٦	يجز	يجز	١٩٨	٢٠	والقة	والقة
١٦١	١٩	لقتن	لقتن	١٩٩	٦	خوتنا	خوتنا
١٦٣	٢	يستلوه	يستلوه	٢٠٠	١١	حد	حد
١٦٥	٩	بالأريسم	بالأريسم	٢٠٠	١٩	بقرى	بقرى
١٦٦	٣	الطرف	الطرف	٢٠١	٩	وتل ما	وتل ما
١٦٦	٢٠	أرنيه	أرنيه	٢٠١	١٢	منه	منه
١٦٧	٧	يهدى	يهدى	٢٠١	١٢	عنى	عنى
١٦٧	١٩	٢١	٢١	٢٠٢	١٨	يتوقع كتاب جواب	يتوقع جواب
١٦٩	٥	والأريسان	والأريسان (٢) ثم	٢٠٢	٢١	اللد	اللد
١٧٠	٨	عن ما	صحح الأرمم التالية	٢٠٣	٩	عزته	عزته
١٧٠	١٦	الطار	عما	٢٠٤	٦	مكتته	مكتته
١٧١	١	تيتك	الطار	٢٠٦	١٦	كالجنان	كالجنان
١٧١	٦	الوم	وتيتك	٢٠٧	١	وميته	وميته
١٧٢	١٣	الطار	الوم	٢٠٨	٥	فأحي	فأحي
١٧٣	٧	إس	الطار	٢٠٩	١٢	الحين	الحين
١٧٦	٥	بل أتا شيتان	إس	٢١٤	٦	تولام	تولام
١٧٨	٣	يشبه	بل أتا شيتان	٢١٥	٦	يكشف	يكشف
١٧٨	١١	أين	يشبه	٢١٩	١٢	جى	جى
١٧٨	١٣	وزنته	ين	٢١٩	١٥	من	من
١٧٨	١٤	بالطيب	وزنته	٢٢٤	٧	هيئات اذك	هيئات اذك
١٧٩	٨	يمن	بالطيب	٢٢٣	١٠	وحر	وحر
١٧٩	١٢	يجه	يمن	٢٢٣	١٠	أمر	أمر
			يجه	٢٢٤	٥	المحالى	المحالى



مكتبة الخانجي

١١ ش. محمد العزيز بالقاهرة
٣٩٠٦١٤٨ ت ١٣٧٥
٣٩١٥١٤٨